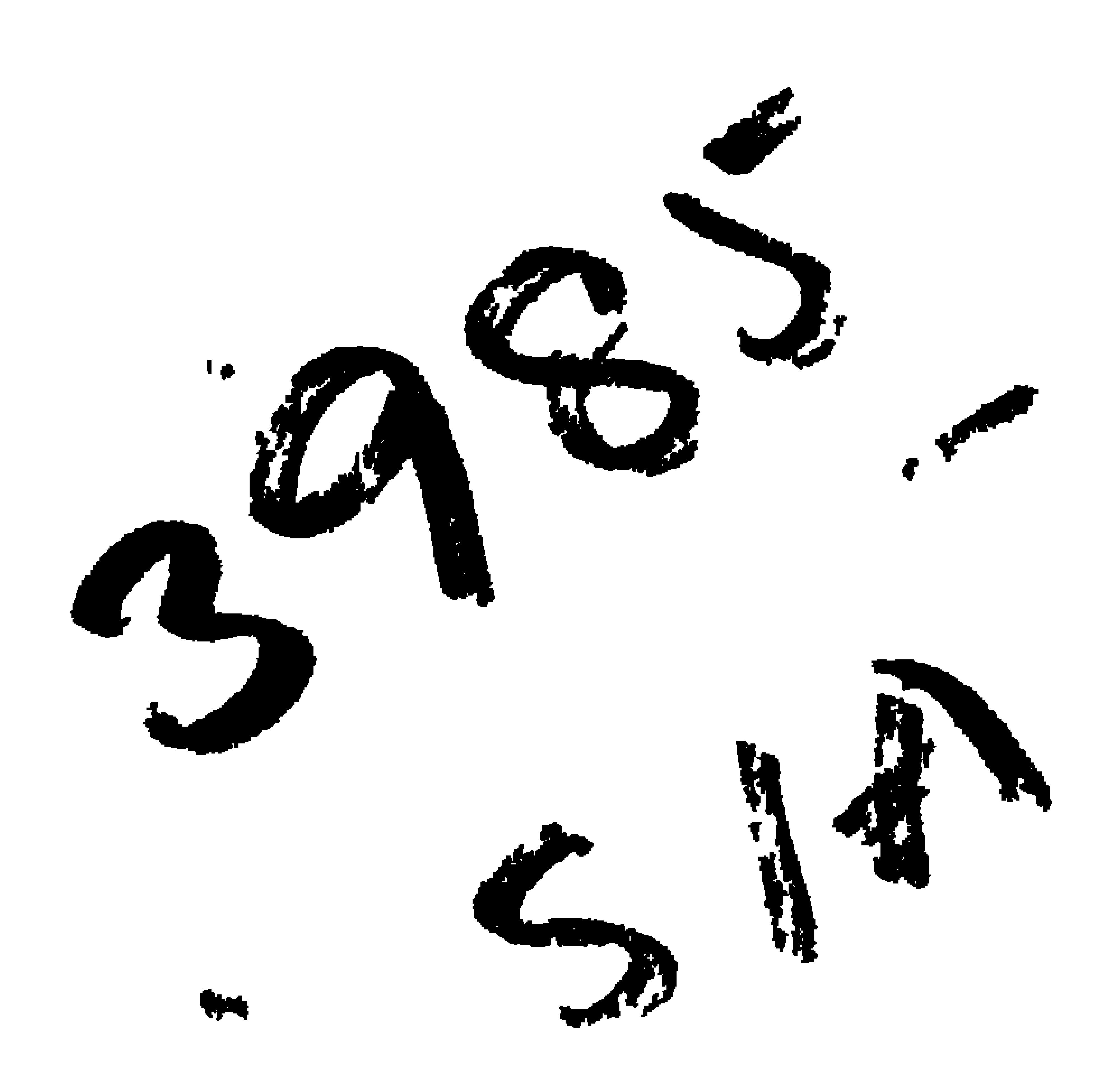


كتاب

كليلة ودمنة

لبيدبا الفيلسوف الهنديّ

عرّبهُ عن البهلوية المنشئ البليغ اللغويّ المشهور
عبد الله بن المقفَّع

نقّحهُ وضبطهُ وعلّق حواشيهُ الشيخ خليل اليازجي اللبناني
عُفي عنهُ

حق طبعهِ محفوظ

طبع برخصة مجلس معارف ولاية سوريا الجليلة

طبع ثانيةً في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٨

بسم الله العليم الحكيم

و بعدُ فيقول الفقير اليهِ تعالى خليل بن ناصيف اليازجي اللبناني لا يخفى شدَّة افتقار المدارس في هذه الايام الى كتاب فصيح العبارة يليق ان يحتذاهُ التلامذة في النثر المُرسل مشتملٍ على كثيرٍ من الالفاظ اللُّغوية الفصيحة المُتداوَلة بين الكتّاب لتجري على اقلامهم و يقتبسوا سرَّ وضعها في مواضعها ذاهبٍ المذاهب المختلفة في ضروب الكتابة من حقيقةٍ ومجاز واطنابٍ وايجاز الى غير ذلك مما يتدربون بهِ على الخوض في اساليب الكلام. ويكون مع ذلك لطيف الموضوع مناسبًا لاذواق التلامذة على اختلاف درجاتهم في السنّ والمعرفة منطويًا من المعاني على المفيد لعقولهم المهذِّب لنفوسهم المدرِّب لهم في سيرتهم وتصرُّفهم بين الناس حتى لا تكون فوائدهُ مقصورةً على اللفظ فقط

وقد وجدت كتاب كليلة ودمنة المشهور الواضع له بيدبا[1] الفيلسوف الهنديّ والمعرّب بقلم المنشئ البليغ عبد الله بن المقفّع[2] اليق كتابٍ لهذه

---

١ نشأ في اثناء القرن الرابع قبل المسيح

٢ هو عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة واسم ابيهِ داذَوَيه من اهل فارس والمقفع لقبٌ غلب عليهِ لان الحجاج بن يوسف الثقفي عذَّبهُ لخيانةٍ ارتكبها فتقفعت يدهُ اي تقبضت فقيل له المقفع وقيل بل الذي عذَّبهُ ابو الحجاج المذكور

كانت اقامة عبد الله المذكور بالبصرة وكان كاتبًا فيها لعيسى بن عليّ عمّ المنصور الخليفة العباسيّ وبها توفي. وكانت وفاتهُ قتلاً قتلهُ سفيان بن معاوية امير البصرة بامر المنصور في حديث طويل ليس هنا موضعهُ. وكان معاصرًا للخليل بن احمد صاحب العروض ولعبد الحميد الكاتب المشهور. ومن حديثهِ مع الخليل انهُ اجتمع

الغايات جميعها فانهُ جامعٌ لهذه المقاصد باسرها متكفّلٌ بالاتيان عليها كلها لما هو معروفٌ بهِ من فصاحة العبارة ورشاقة اللفظ وعلوّ الطبقة في اساليب الانشاء بحيث يصح ان يكون دستورًا للكتابة يُنسَج على منوالهِ ويُجرَى على مثالهِ. متضمّنٌ من فكاهة ظاهرهِ ونفاسة باطنهِ شيئًا كثيرًا في كونهِ مُخرَجًا مَخرَجَ قصصٍ لطيفة جارية على افواه البهائم وألسنة الطير يتبطنها من الآداب والنصائح والمواعظ والامثال والحكمة والفلسفة والتهذيب والتدريب في الدنيا والدين معًا الى غير ذلك ما يصح ان يسمى بهِ مرآة الزمان على ما هو غنيٌّ عن البيان. فهو للصغير كتاب تهذيبٍ وتخريج وللمتعلم سِفرَ بلاغةٍ وانشاء. وللمتلهّي مجموع قصصٍ ونوادر وللمستبصر مجلة حكمةٍ وفلسفةٍ فيصح ان يصحَبَ التلميذ في جميع اطوار دروسهِ فلا يعدم من فوائدهِ في كل حالةٍ نصيبًا

وقد وُفّقتُ الى الظفر بنسخة من هذا الكتاب قد خُطّت مذ نحو ثلاثمئة سنة فوجدت بينها و بين النسخة المطبوعة في مصر فروقًا كثيرة منها بالزيادة

بهِ مرّةً فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع فقال علمهُ اكثر من عقلهِ وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل فقال عقلهُ اكثر من علمهُ. وكان بينهُ و بين عبد الحميد صداقة شديدة حتى ان السفاح لما طلب عبد الحميد ليقتلهُ استخفى منهُ في احد البيوت ومعهُ ابن المقفع فجاءها الطلب وهما في البيت فقال الذين دخلوا عليهما ايكما عبد الحميد فقال كلٌّ منهما انا خوفًا على صاحبهِ وخاف عبد الحميد ان يسرعوا الى ابن المقفع فقال ترفقوا بنا فان كلاً منا لهُ علامات فوكلوا بنا بعضكم و يمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا واخذوا عبد الحميد. وهي من المروءَات النادرة

وصنف ابن المقفع المصنفات الحسان. قيل لهُ مرةً من ادّبك فقال نفسي اذا رايت من غيري حسنًا اتيتهُ وان رايت قبيحًا ابيتهُ. ومن كلامهِ في النثر قولهُ شربت الخُطَب ريًّا ولم اضبط لها رويًّا فغاضت ثم فاضت فلا هي نظامًا وليس غيرها كلامًا. ولهُ شعرٌ جيد ذُكر في ديوان الحماسة منهُ ثلاثة ابيات في رثاء يحيى بن زياد وقيل عبد الكريم بن ابي العوجاء وهي

ومنها بالنقص ومنها بالاختلاف ❊ اما الزيادة فاهمُّها ما صُدِّر به باب بعثة برزويه في هذه النسخة الى قوله اما بعد ❊ واما النقص فقد خلت النسخة المذكورة من مقدمة الكتاب وباب السائح والصائغ وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين ومن ذكر باب عرض الكتاب تحت هذا العنوان وانما ذُكر فيها في أثناء بعثة برزويه ممتزجًا بها في الكلام مستفادًا بالضمن من بعض الكلام المجاور له انه لعبد الله بن المقفع وقد اشير الى ذلك في فهرسها . ومن الغريب ان في فهرسها المشار اليه ذكر رسالة لبزرجمهر بن البختكان في مدح كسرى وذكر باب السائح والصائغ وهما غير موجودين فيها . وهذا دليلٌ على ما في النسخة المذكورة من الخلل التشويش والفساد فان ذلك فاشٍ فيها ذاهبٌ كل مذهبٍ ولاسيما في النسخ فانه قلما خُطَّ كتابٌ ووقع فيه من الخطاء ما وقع فيها او حدث من التحريف والتصحيف بين نسختين من كتابٍ ما حدث بين هاتين النسختين حتى لا يكاد يُظَنُّ ان النسختين لكتابٍ واحد ❊ واما الاختلافات فكثيرة فاشيةٌ بينهما من اوّل الكتاب الى آخره لا يكاد يخلو سطر من شيء منها بين لفظيٍّ ومعنويٍّ مما لا يقع تحت الحصر ولا فائدة من ذكره وانما اشرنا اليه على وجه الاجمال دلالةً على ما احتملت هذه النسخة من التمحيص والبحث والعناية ❊ ثم وجدت بين نسخة مصر المشار اليها والنسخة المطبوعة في باريس باعتناء البارون سلبستري دساسي فروقًا ايضًا في بعض الاماكن اخصها خلوُّ نسخة باريس المذكورة من باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين واختلافٌ في ديباجة باب السائح

رُزئنا ابا عمروٍ ولا حيٌّ مثله فللهِ ريب الحادثات بمن وقع
فان تكُ قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلةٍ ما في انسدادٍ لها طمع
فقد جرَّ نفعًا فقدنا لك اننا امنّا على كل الرزايا من الجزع

وكانت ولادته بين السنة السادسة والتاسعة بعد المئة للهجرة ووفاته بين السنة الثانية والاربعين والخامسة والاربعين وكانت حياته ستًّا وثلاثين سنة رحمه الله تعالى

والصائغ . وقد تدبرت الديباجتين فلم اجد احداهما يصح ان تنطبق تماماً على المثل المضروب له الباب فجمعت بينهما و زدت عليهما زيادات اقتضاها سياق المثل

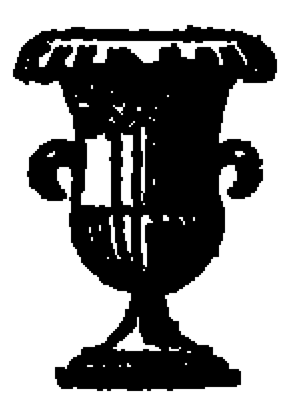
وقد جمعت بين النسخ الثلاث وطبّقت بينها بان اخترت من كلٍّ منها احسنها مع نقل المزيد في نسخة الخط المشار اليها واصلاح ما في النسخ الثلاث من اغلاط النساخ وغيرها و زيادات أُخَر زدتها مما عنّ للخاطر الضعيف للرّبط بين مَواصل الكلام او لاستدعاء المقام لها او لاستحسان موقعها او استطراداً جرّ اليهِ سياق الكلام مما يُظَن ان النسخة الاصلية لم تخلُ عن شيء بمعناهُ وغير ذلك مما جرأني عليهِ الرغبة في رد هذا الكتاب الجليل ما امكن الى رونقهِ القديم وان كان يقصر عن ذلك ذَرْعي و يضيق وُسعي ولكنني فعلت رجاء ان استعين بهِ عليهِ وانطرّق منهُ اليهِ فتيسر لي ان اجمع من النسخ الثلاث نسخةً وافيةً جديرةً بان تنزّل منزلة النسخة الاصلية وقد علقت عليها تفسيرًا لما فيها من غريب اللفظ وضبطتُ الفاظها بالشكل الكامل[1] لتجري الفاظ اللغة على السنة التلامذة مفسّرةً مضبوطةً تعميماً للفائدة

و بقي ان هذا الكتاب قد اشتمل في أثناء قصصهِ وامثالهِ ومَساق كلامهِ على بعض الفاظٍ وعباراتٍ وقصصٍ وامثالٍ لا تصبو اليها آداب هذا العصر ولا يصلح اقرآؤُها في المدارس وتداوُلها بين العموم . فعُنيت بتلافي ذلك بابدال الالفاظ والعبارات بغيرها مما يحلُّ محلها ويخلو من المحذور . واما القصص والامثال فمنها ما امكن تبديل بعض كلماتهِ بدون مسّ سائره وهو مثَل القرد والنجار ومثَل الحرّاث وامرأتيهِ ومثَل الباز يار وزوجة المرزبان ومثل ابن آوى والاسد والحمار * ومنها ما لزم تبديل جانب منهُ وهو قصة

(1) قد اعتمدت في ضبط الاسماء الاعجمية فيها على ما تدنا [illegible] لغموض حقيقتها وخفائها الا ما امكن الوصول الى حقيقتهِ منها

المرأة والرجل وقصة امرأة الاسكاف وامرأة الحجام وواقعة ايلاذ مع ايراخت وحورقناه من باب ايلاذ وبلاذ وايراخت وواقعة ابن الشريف مع المصوّر من باب ابن الملك واصحابه * ومنها ما لزم تبديل موضوعه بآخر مع المحافظة على مغزاهُ وهو مثل الخادم والرجل ومثل الخازن والمصوّر * ومنها ما لم يكن بدٌّ من اسقاطهِ برمّته ووضع سواهُ مع المحافظة المذكورة وهو مثل الرجل واللصوص ولم يرد غيره * ولا يخفى ما في كل ذلك من خشونة المركب ووعورة المسلك للدخول فيه بين مثل واضع الكتاب ومعرّبه . وعساي ان اكون فيه على هدايةٍ وسدادٍ والله الهادي الى سبيل الرّشاد والسلام

م



نبذة

في تاريخ هذا الكتاب وحيثيته ملخَّصة بتصرُّف يسير من فصلٍ مطوّل في مجلة الطبيب لسنتهِ الثانية

سنة ١٨٨٤

اجمع المحققون ان هذا الكتاب من اوضاع الهند· واختلف في واضعهِ وزمن وضعهِ فقيل هو بيدبا لعهد الاسكندر على ما في مقدمة الكتاب وقيل غيرهُ قبل الميلاد بالفي سنة وقيل بمئتي سنة وقيل غير ذلك والله اعلم

ولم يتقلب على كتاب ما تقلب على هذا الكتاب من الاطوار ولا بلغ كتاب ما بلغ اليهِ من ترامي الذكر وبُعد الشهرة وكثرة تداوُل الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم واجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواهُ من الكتب الموضوعة والاقاصيص المصنوعة وذلك لما اشتمل عليهِ من الاغراض الادبية والسياسية وما استبطنهُ من فنون العلم والحكمة تحت ثوب الفكاهة واللهو بحيث اخذ من كل فؤادٍ موضعاً وكان فيهِ لكل ناظرٍ ارب ولكل مطالعٍ لذة

وقد انفرد عن سائر ما كُتِب في هذا النوع بمزّيتين هما حدُّ الإعجاز. أُولاهما كثرة ما فيهِ من الحكايات المتواصلة والامثال المتداخلة بحيث يجد فيهِ المتفكه فنوناً من الحديث ذاهبةً كل مذهب على ارتباط بعضها ببعض وايراد كلٍّ عن سبب. والثانية انهُ لم يُخطَّ فيهِ حرفٌ الاَّ قُصِد بهِ شيءٌ من الحكمة العائدة الى توفير مادة العقل وتهذيب السيرة والسريرة والدربة في الاحوال المَعاشيّة والمَعاديّة فهو من الوجهين غايةٌ في بابهِ لا تجد لهُ مثيلاً في جميع ما اشبههُ من التصانيف حتى انهُ معدودٌ من كنوز الحكمة المشرقيّة بل الحكمة الآدميّة التي لم يجتمع منها في كتابٍ ما اجتمع فيهِ على

صغر حجمهِ وقلة جرمهِ . ولذلك عُنِيَت كل امَّة من ام الحضارة مذ عهد
الفرس والعرب من بعدهم الى عهدنا هذا بنقلهِ الى لسانها فقد نُقِل الى
الفارسيَة والعربية واليونانية واللاتينيـة والعبرانيَّة والسريانية والطليانية
والاسبانيولية والفرنسوية والالمانية والتركية والمَلَقية والهندية الحديثة وغيره
وذلك قلَّما وقع لكتاب غيرهِ . وكل هذه النُسَخ ما خلا النسخة الفارسية
مأخوذ عن نسخة ابن المقفَّع هذه . وما زال مطمحًا لنظر الملوك ومحلاً
لارتياحها وإيثارها وشغلاً شاغلاً لاهل العلم حتى استخدم كثيرًا من اكابرهم
وخاصتهم بنقلهِ وتهذيبهِ ومعارضتهِ ونظمهِ شعرًا وتحويل ما لا يوافق رأيها
منهُ الى ما يوافقهُ . وحسبك انهُ على كثرة نسخهِ في كل لسان لا تكاد تجد
واحدة منها تطابق الاخرى بل كثيرًا ما ترى في اللسان الواحد منهُ عدة
نسخ كل واحدة منها صورة مستقلة وهو منتهى العجب

وكل الكتاب معرَّبٌ الا باب عرض الكتاب فانهُ عربي الوضع لعبد
الله ابن المقفَّع زادهُ عند تعريبهِ لهذا الكتاب شرح فيهِ بيان ما تضمنهُ
والغاية التي جرى اليها واضعهُ والثمرة التي ينبغي للحكيم ان يلتمسها فيهِ . وقد
عارض في هذا الباب سائر ابواب الكتاب بما اودعهُ من الحكمة وضرب
الامثال ممَّا دلَّ على ما أُوتيهُ من قوة الذهن ونُبل النفس وسعة الخاطر
فضلاً عما اودع الكتاب برمتهِ من الفصاحة والسبك وحسن اختيار
الالفاظ والاساليب حتى لا يتبين فيهِ اثر للتعريب فهو آيةٌ في الفصاحة
وغايةٌ في الرشاقة



باب

مقدمة الكتاب

قدّمها بهنود بن سحوان ويعرف بعليّ بن الشاه الفارسيّ. ذكر فيها السبب الّذي من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهنديّ رأس البراهمة[1] لدبشليم ملك الهند كتابه الّذي سمّاه كليلة ودمنة وجعله على ألسن البهائم والطّير صيانةً لغرضه فيه من العوامّ. وضنًّا[2] بما ضمّنه عن الطّغام[3]. وتنزيهًا للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها[4]. إذ هي للفيلسوف مندوحة[5]. ولخاطره مفتوحة. ولمحبّيها تثقيف[6]. ولطالبيها تشريف. وذكر السبب الّذي من أجله أنفذ[7] كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه رأس أطبّاء فارس إلى بلاد الهند لأجل كتاب كليلة ودمنة. وما كان من تلطّف برزويه عند دخوله إلى الهند حتّى حضر إليه الرّجل الّذي استنسخه له سرًّا من خزانة الملك ليلًا مع ما وجد من كتب علماء الهند. وقد ذكر

١ عباد الهنود ٢ بخلًا ٣ الارذال الادنياء ٤ خيارها ٥ متسعة ٦ تقويم ٧ ارسل

ٱلَّذِي كَانَ مِنْ بَعْثَةِ بَرْزَوَيْهِ إِلَى مَمْلَكَةِ ٱلْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ. وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَلْزَمُ مُطَالِعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَٱلْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَٱلنَّظَرِ إِلَى بَاطِنِ كَلَامِهِ. وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى ٱلْغَايَةِ مِنْهُ. وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرْزَوَيْهِ وَقِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ جَهْرًا وَقَدْ ذَكَرَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بُزُرْجُمْهُرُ بَابًا مُفْرَدًا يُسَمَّى بَابَ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبِ وَذَكَرَ فِيهِ شَأْنَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآنِ مَوْلِدِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ ٱلتَّأْدِيبَ وَأَحَبَّ ٱلْحِكْمَةَ وَٱعْتَبَرَ[1] فِي أَقْسَامِهَا. وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ ٱلَّذِي هُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ ٱلشَّاهِ ٱلْفَارِسِيُّ. كَانَ ٱلسَّبَبُ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ٱلرُّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ ٱلْمَغْرِبِ سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ. وَيُوَاقِعُ[2] مَنْ وَاقَعَهُ. وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ[3] مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ وَهُمُ ٱلطَّبَقَةُ ٱلْأُولَى حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ[4] وَقَهَرَ مَنْ نَاوَأَهُ[5] وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ[6]. وَتَمَزَّقُوا حَزَائِقَ[7]. فَتَوَجَّهَ بِٱلْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ ٱلصِّينِ فَبَدَأَ فِي

١ اي نظر وبحث ٢ يحارب ٣ سالمه ٤ علبهم ٥ عاداه ٦ اي مرقا ٧ قطعا

طَرِيقِهِ بِمَلِكِ ٱلْهِنْدِ لِيَدْعُوَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَٱلدُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ[1]. وَكَانَ عَلَى ٱلْهِنْدِ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ مَلِكٌ ذُو سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ. وَقُوَّةٍ وَمِرَاسٍ[2]. يُقَالُ لَهُ فُورٌ فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَأَهَّبَ[3] لِمُحَارَبَتِهِ. وَٱسْتَعَدَّ لِمُجَاذَبَتِهِ[4] وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ[5] وَجَدَّ فِي ٱلتَّأَلُّبِ[6] عَلَيْهِ وَجَمَعَ لَهُ ٱلْعُدَّةَ[7]. فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ. مِنَ ٱلْفِيَلَةِ[8] ٱلْمُعَدَّةِ[9] لِلْحُرُوبِ. وَٱلسِّبَاعِ[10] ٱلْمُضَرَّاةِ بِٱلْوُثُوبِ[11]. مَعَ ٱلْخُيُولِ ٱلْمُسْرَجَةِ وَالسُّيُوفِ ٱلْقَوَاطِعِ. وَٱلْحِرَابِ ٱللَّوَامِعِ.

فَلَمَّا قَرُبَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورٍ ٱلْهِنْدِيِّ وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنَ ٱلْخَيْلِ. ٱلَّتِي كَأَنَّهَا قِطَعُ ٱللَّيْلِ. مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي ٱلْأَقَالِيمِ. تَخَوَّفَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرٍ يَقَعُ بِهِ إِنْ عَجَّلَ ٱلْمُبَارَزَةَ. وَكَانَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رَجُلًا ذَا حِيَلٍ وَمَكَايِدَ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ. فَرَأَى[12] إِعْمَالَ ٱلْحِيلَةِ وَٱلتَّمَهُّلَ وَٱحْتَفَرَ خَنْدَقًا[13] عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ لِٱسْتِنْبَاطِ ٱلْحِيلَةِ وَٱلتَّدْبِيرِ

---

١ سلطانه ٢ شدة ٣ تهيأ ٤ منازعته ٥ اي جمع ما تفرق من قواه ٦ التجمع ٧ ما عدّ من مال وسلاح ونحوها ٨ جمع فيل ٩ المهيأة ١٠ الحيوانات المفترسة ١١ المعوّدة عليه ١٢ من الرأي ١٣ حفير يحفر حول اسوار المدن

لأمرِهِ وكيفَ ينبغي لهُ أنْ يقدِمَ على الإيقاعِ[١] بهِ. فاستدعى بالمنجّمينَ وأمرهمْ بالاختيارِ ليومٍ موافقٍ تكونُ له فيهِ سعادةٌ لمحاربةِ ملكِ الهندِ والنصرةِ عليهِ فاشتغلوا بذلكَ * وكانَ ذو القرنينِ لا يمرُّ بمدينةٍ إلّا أخذَ الصنّاعَ المشهورينَ من صنّاعِها بالحذقِ من كلِّ صنفٍ. فنتجتْ لهُ همّتهُ ودلّتهُ فطنتهُ أنْ يتقدّمَ إلى الصنّاعِ[٢] الذينَ معهُ أنْ يصنعوا خيلاً من نحاسٍ مجوّفةً عليها تماثيلُ من الرجالِ على بكرٍ تجري إذا دفعتْ مرّتْ سراعاً. وأمرَ إذا فرغوا منها أنْ تحشى أجوافُها بالنفطِ والكبريتِ وتلبسَ وتقدّمَ أمامَ الصفِّ في القلبِ. ووقتَ ما يلتقي الجمعانِ تضرمُ فيها النيرانُ فإنَّ الفيلةَ إذا لفّتْ خراطيمَها على الفرسانِ وهيَ حاميةٌ ولّتْ هاربةً. وأوعزَ إلى الصنّاعِ[٣] بالتشميرِ[٤] والانكماشِ[٥] والفراغِ منها. فجدّوا في ذلكَ وعجّلوا وقربَ أيضاً وقتُ اختيارِ المنجّمينَ فأعادَ ذو القرنينِ رسلَهُ إلى فورٍ بما يدعوهُ إليهِ من طاعتهِ والإذعانِ[٦] لدولتهِ. فأجابَ جوابَ مصرٍّ على مخالفتهِ مقيمٍ على محاربتهِ

---

١ البطش ٢ يامرهم ويوصيهم ٣ اشار اليهم ٤ الجد ٥ الاسراع ٦ الانقياد

فَلَمَّا رَأَى ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ[1] وَقَدَّمَ فُورٌ ٱلْفِيلَةَ أَمَامَهُ وَدَفَعَتِ ٱلرِّجَالُ تِلْكَ ٱلْخَيْلَ وَتَمَاثِيلَ ٱلْفُرْسَانِ فَأَقْبَلَتِ ٱلْفِيلَةُ نَحْوَهَا وَلَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا. فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِٱلْحَرَارَةِ أَلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ[2] وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ[3]. وَتَقَطَّعَ[4] فُورٌ وَجَمْعُهُ وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وَأَثْخَنُوا فِيهِمِ ٱلْجِرَاحَ[5]. وَصَاحَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ يَا مَلِكَ ٱلْهِنْدِ ٱبْرُزْ إِلَيْنَا وَأَبْقِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَالِكَ وَلَا تَحْمِلْهُمْ إِلَى ٱلْفَنَاءِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ ٱلْمُرُوَّةِ أَنْ يَرْمِيَ ٱلْمَلِكُ بِعُدَّتِهِ فِي ٱلْمَهَالِكِ ٱلْمُتْلِفَةِ وَٱلْمَوَاضِعِ ٱلْمُجْحِفَةِ[6] بَلْ يَقِيهِمْ بِمَالِهِ وَيَدْفَعَ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ. فَٱبْرُزْ إِلَيَّ وَدَعِ ٱلْجُنْدَ فَأَيُّنَا قَهَرَ صَاحِبَهُ فَهُوَ ٱلْأَسْعَدُ. فَلَمَّا سَمِعَ فُورٌ مِنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامَ دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى مُلَاقَاتِهِ طَمَعًا فِيهِ وَظَنَّ ذٰلِكَ فُرْصَةً. فَبَرَزَ إِلَيْهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ فَتَجَاوَلَا عَلَى ظَهْرَيْ فَرَسَيْهِمَا سَاعَاتٍ مِنَ ٱلنَّهَارِ لَيْسَ يَلْقَى أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً وَلَمْ يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ. فَلَمَّا أَعْيَا[7] ٱلْإِسْكَنْدَرَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَجِدْ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةً أَوْقَعَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ فِي

۱ عدته ۲ اي لا تقف ۳ داسته ٤ تشتت ٥ اي بالغوا في جراحهم ٦ المهلكة
۷ اعجز

عَسْكَرِهِ صَيْحَةً عَظِيمَةً ٱرْتَجَّتْ لَها ٱلْأَرْضُ وَٱلْعَساكِرُ. فَٱلْتَفَتَ فُورٌ عِنْدَ ما سَمِعَ ٱلزَّعْقَةَ وَظَنَّها مَكِيدَةً فِي عَسْكَرِهِ. فَعاجَلَهُ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمالَتْهُ عَنْ سَرْجِهِ أَتْبَعَها بِأُخْرَى فَوَقَعَ إِلَى ٱلْأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْهُنُودُ ما نَزَلَ بِهِمْ وَما صارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ حَمَلُوا عَلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِ فَقاتَلُوهُ قِتالًا أَحَبُّوا مَعَهُ ٱلْمَوْتَ. فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْإِحْسانَ وَمَنَحَهُ ٱللّٰهُ أَكْتافَهُمْ[1] فَٱسْتَوْلَى عَلَى بِلادِهِمْ وَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقاتِهِ[2]. وَأَقامَ بِٱلْهِنْدِ حَتَّى ٱسْتَوْسَقَ[3] لَهُ ما أَرادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَٱتِّفاقِ كَلِمَتِهِمْ. ثُمَّ ٱنْصَرَفَ عَنِ ٱلْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ ما قَصَدَ لَهُ

فَلَمَّا بَعُدَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ عَنِ ٱلْهِنْدِ بِجُيُوشِهِ تَغَيَّرَتِ ٱلْهُنُودُ عَمَّا كانُوا عَلَيْهِ مِنْ طاعَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي خَلَّفَهُ عَلَيْهِمْ وَقالُوا لَيْسَ يَصْلُحُ لِلسِّياسَةِ وَلا تَرْضَى ٱلْخاصَّةُ وَٱلْعامَّةُ أَنْ يُمَلِّكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلا مِنْ أَهْلِ بُيُوتِهِمْ فَإِنَّهُ لا يَزالُ يَسْتَذِلُّهُمْ وَيَسْتَقِلُّهُمْ. وَٱجْتَمَعُوا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلادِ مُلُوكِهِمْ. فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ وَخَلَعُوا ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي

---

١ اي مكنهُ منهم ٢ اي من يثق بهم ٣ اجتمع

كَانَ خَلَفَهُ عَلَيْهِمِ ٱلإِسْكَنْدَرُ . فَلَمَّا ٱسْتَوْسَقَ لَهُ ٱلأَمْرُ وَٱسْتَقَرَّ لَهُ ٱلْمُلْكُ طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَكَانَ مَعَ ذٰلِكَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا فَهَابَتْهُ ٱلرَّعِيَّةُ . فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّطْوَةِ عَبِثَ بِٱلرَّعِيَّةِ[١] وَٱسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ ٱلسِّيرَةَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَقِي حَالُهُ إِلَّا ٱزْدَادَ عُتُوًّا[٢] . فَمَكَثَ[٣] عَلَى ذٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ

وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي ٱلْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فَكَّرَ فِي وَجْهِ ٱلْحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدِّهِ إِلَى ٱلْعَدْلِ وَٱلإِنْصَافِ . فَجَمَعَ لِذٰلِكَ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ . ٱعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ ٱلْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْعَدْلِ وَلُزُومِ ٱلشَّرِّ وَرَدَاءَةِ ٱلسِّيرَةِ وَسُوءِ ٱلْعِشْرَةِ مَعَ ٱلرَّعِيَّةِ . وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا[٤] لِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ ٱلْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ ٱلْخَيْرِ وَلُزُومِ ٱلْعَدْلِ . وَمَتَى أَغْفَلْنَا[٥]

---

١ اي اساء معاملتهم ٢ تجبرًا ٣ اقام ٤ من رياضة الدابة اي نوطن انفسنا ونمهدها ٥ تركنا

ذٰلِكَ وَأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَنَا مِنْ وُقُوعِ ٱلْمَكْرُوهِ بِنَا وَبُلُوغِ ٱلْمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا أَنْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ ٱلْجُهَّالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي ٱلْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ مِنْهُمْ. وَلَيْسَ ٱلرَّأْيُ عِنْدِي ٱلْجَلَاءَ[1] عَنِ ٱلْوَطَنِ وَلَا يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلسِّيرَةِ وَقُبْحِ ٱلطَّرِيقَةِ وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ[2] بِغَيْرِ أَلْسِنَتِنَا وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَيَّأْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنَّا بِمُخَالَفَتِهِ وَإِنْكَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذٰلِكَ بَوَارُنَا[3]. وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَاوَرَةَ ٱلسَّبُعِ وَٱلْكَلْبِ وَٱلْحَيَّةِ وَٱلثَّوْرِ عَلَى طِيبِ ٱلْوَطَنِ وَنَضَارَةِ ٱلْعَيْشِ[4] غَدْرٌ بِٱلنَّفْسِ. وَإِنَّ ٱلْفَيْلَسُوفَ لَحَقِيقٌ[5] أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى مَا يُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ ٱلْمَكْرُوهِ وَلَوَاحِقِ ٱلْمَحْذُورِ وَيَدْفَعُ ٱلْمَخُوفَ لِٱسْتِجْلَابِ ٱلْمَحْبُوبِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فَيْلَسُوفًا كَتَبَ إِلَى تِلْمِيذِهِ يَقُولُ إِنَّ مُجَاوَرَةَ رِجَالِ ٱلسُّوءِ وَٱلْمُصَاحَبَةَ لَهُمْ كَرَاكِبِ ٱلْبَحْرِ إِنْ هُوَ سَلِمَ مِنَ ٱلْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ. فَإِذَا هُوَ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ ٱلْهَلَكَاتِ وَمَصَادِرَ ٱلْمَخُوفَاتِ عُدَّ مِنَ ٱلْحَمِيرِ ٱلَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا. لِأَنَّ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَهِيمِيَّةَ

---

١ الانتزاح ٢ مقاتلة ٣ هلاكنا ٤ اي طيبه ٥ اهلٌ

قَدْ خُصَّتْ فِي طَبائِعِها بِمَعْرِفَةِ ما تَكْتَسِبُ بِهِ ٱلنَّفْعَ وَتَتَوَقَّى ٱلْمَكْرُوهَ. وَذٰلِكَ أَنَّنا لَمْ نَرَها تُورِدُ أَنْفُسَها مَوْرِدًا فِيهِ هَلَكَتُها. وَأَنَّها مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوْرِدٍ مُهْلِكٍ لَها مالَتْ بِطَبائِعِها ٱلَّتِي رُكِّبَتْ فِيها شُحًّا (١) بِأَنْفُسِها وَصِيانَةً لَها إِلَى ٱلنُّفُورِ وَٱلتَّباعُدِ عَنْهُ. وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهٰذا ٱلْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أُسْرَتِي (٢) وَمَكانُ سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي وَبِكُمْ أَعْتَضِدُ (٣). وَعَلَيْكُمْ أَعْتَمِدُ. فَإِنَّ ٱلْوَحِيدَ فِي نَفْسِهِ وَٱلْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كانَ فَهُوَ ضائِعٌ وَلا ناصِرَ لَهُ. عَلَى أَنَّ ٱلْعاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ ما لا يَبْلُغُ بِٱلْخَيْلِ وَٱلْجُنُودِ

وَٱلْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ قُنْبُرَةً ٱتَّخَذَتْ أُدْحِيَّةً (٤) وَباضَتْ فِيها عَلَى طَرِيقِ ٱلْفِيلِ. وَكانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ. فَمَرَّ ذاتَ يَوْمٍ عَلَى عادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ فَوَطِئَ عُشَّ ٱلْقُنْبُرَةِ وَهَشَمَ بَيْضَها وَقَتَلَ فِراخَها. فَلَمَّا نَظَرَتْ ما ساءَها عَلِمَتْ أَنَّ ٱلَّذِي نالَها (٥) مِنَ ٱلْفِيلِ لا مِنْ غَيْرِهِ. فَطارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ باكِيَةً ثُمَّ قالَتْ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لِمَ هَشَمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ فِراخِي وَأَنا فِي جِوارِكَ. أَفَعَلْتَ هٰذا ٱسْتِصْغارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَٱحْتِقارًا لِشَأْنِي. قالَ

---

١ بخلاً ٢ قومي وعشيرتي ٣ استعين ٤ وكرًا ٥ اصابها

هو ٱلّذي حملني على ذلك . فتركته وٱنصرفت إلى جماعة ٱلطّير فشكت إليها ما نالها من ٱلفيل . فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه ونحن طيور . فقالت للعقاعق وٱلغربان أحبّ منكنّ أن تصرن معي إليه فتفقأن عينيه فإنّي أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى . فأجبنها إلى ذلك وذهبن إلى ٱلفيل فلم يزلن ينقرن عينيه حتّى ذهبن بهما وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلّا ما يقمّه[1] من موضعه . فلمّا علمت ذلك منه جاءت إلى غدير[2] فيه ضفادع كثيرة فشكت إليها ما نالها من ٱلفيل . قالت ٱلضّفادع ما حيلتنا نحن في عظم ٱلفيل وأين نبلغ منه . قالت أحبّ منكنّ أن تصرن معي إلى وهدة[3] قريبة منه فتنقّقن[4] فيها وتضججن . فإنّه إذا سمع أصواتكنّ لم يشكّ في ٱلماء فيهوي فيها . فأجبنها إلى ذلك وٱجتمعن في ٱلهاوية . فسمع ٱلفيل نقيق ٱلضّفادع وقد جهده ٱلعطش فأقبل حتّى وقع في ٱلوهدة فٱعتطم[5] فيها . وجاءت ٱلقنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيّها ٱلطّاغي ٱلمغترّ بقوّته ٱلمحتقر لأمري . كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثّتي

---

١ ساولة عن وجه الارض ٢ مستنقع ٣ هوّة ٤من النقيق وهو صوت الضفادع ٥ هلك

عِنْدَ عِظَمِ جُثَّتِكَ وَصِغَرِ هِمَّتِكَ ،

فَلْيُشِرْ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ بِما يَسْنَحُ[١] لَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ . قالُوا بِأَجْمَعِهِمْ أَيُّها ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلْفاضِلُ وَٱلْحَكِيمُ ٱلْعادِلُ . أَنْتَ ٱلْمُقَدَّمُ فِينا وَٱلْفاضِلُ عَلَيْنا . وَما عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنا عِنْدَ رَأْيِكَ وَفَهْمِنا عِنْدَ فَهْمِكَ ، غَيْرَ أَنَّنا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلسِّباحَةَ فِي ٱلْماءِ مَعَ ٱلتِّمْساحِ تَغْرِيرٌ[٢] وَٱلذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ . وَٱلَّذِي يَسْتَخْرِجُ ٱلسَّمَّ مِنْ نابِ ٱلْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِّبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ ٱلذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ . وَمَنْ دَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فِي غابَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ[٣] . وَهٰذا ٱلْمَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ ٱلنَّوائِبُ وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ ٱلتَّجارِبُ وَلَسْنا نَأْمَنُ عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ[٤] وَمُبادَرَتِهِ[٥] بِسُوءٍ إِذا لَقِيتَهُ بِغَيْرِ ما يُحِبُّ . فَقالَ ٱلْحَكِيمُ بَيْدَبا لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ . لٰكِنَّ ذا ٱلرَّأْيِ ٱلْحازِمَ لا يَدَعُ أَنْ يُشاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي ٱلْمَنْزِلَةِ . وَٱلرَّأْيُ ٱلْفَرْدُ لا يُكْتَفَى بِهِ فِي ٱلْخاصَّةِ وَلا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي ٱلْعامَّةِ . وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي[٦] عَلَى لِقاءِ دَبْشَلِيمَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَقالَتَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَٱلْإِشْفاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا

---

١ يعرضُ ويخطرُ ٢ اي تعريض النفس للهلكة ٣ قفزتهُ ٤ حدتهِ ٥ سبقهِ
٦ اي صممت

وَعَزَمْتُ عزماً وَسَتَعرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمُجَاوَبَتِي إِيَّاهُ. فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ. وَصَرَفَهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ.

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا اخْتَارَ يَوْماً لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ. حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَلْقَى عَلَيْهِ مُسُوحَهُ[1] وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ[2] وَأُرْشِدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ لَهُ إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ. فَدَخَلَ الْآذِنُ[3] عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ وَقَالَ بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةً. فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَفَّرَ[4] وَسَجَدَ لَهُ وَاسْتَوَى[5] قَائِماً وَسَكَتَ. وَفَكَّرَ دَبْشَلِيمُ فِي سُكُوتِهِ وَقَالَ إِنَّ هٰذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ. إِمَّا أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَّا شَيْئاً يُصْلِحُ بِهِ حَالَهُ. أَوْ لِأَمْرٍ لَحِقَهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ. ثُمَّ قَالَ إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ فِي مَمْلَكَتِهَا فَإِنَّ لِلْحُكَمَاءِ فَضْلاً فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ. لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ أَغْنِيَاءُ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْعِلْمِ وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالْمَالِ. وَقَدْ وَجَدْتُ الْعِلْمَ

---

١ جمع مسح وهو ثوب من شعر ٢ حاجبه ٣ صاحب الاذن ٤ اي خضع وتطامن ٥ اي نهض

وَالْحَيَاءِ إِلْفَيْنِ مُتَآلِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ مَتَى فُقِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُوجَدِ الْآخَرُ . كَالْمُتَصَافِيَيْنِ[١] إِنْ عُدِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَطِبْ صَاحِبُهُ نَفْساً بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُ تَأَسُّفاً عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَيُكْرِمْهُمْ وَيَعْرِفْ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ وَيَصُنْهُمْ عَنِ الْمَوَاقِفِ الْوَاهِنَةِ[٢] وَيُنَزِّهْهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذْلَةِ[٣] كَانَ مِمَّنْ حُرِمَ عَقْلَهُ وَخَسِرَ دُنْيَاهُ وَظَلَمَ الْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ وَعُدَّ مِنَ الْجُهَّالِ

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى بَيْدَبَا وَقَالَ لَهُ نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا بَيْدَبَا سَاكِتاً لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ وَلَا تَذْكُرُ بُغْيَتَكَ[٤] فَقُلْتُ إِنَّ الَّذِي أَسْكَتَهُ هَيْبَةٌ سَاوَرَتْهُ[٥] أَوْ حَيْرَةٌ أَدْرَكَتْهُ . وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذٰلِكَ فِي طُولِ وُقُوفِكَ وَقُلْتُ لَمْ يَكُنْ لِبَيْدَبَا أَنْ يَطْرُقَنَا[٦] عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرٍ حَرَّكَهُ إِلَى ذٰلِكَ . فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ فَهَلَّا نَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ . فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَخَذَ بِيَدِهِ وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَقَدَّمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ . وَإِنْ كَانَتْ بُغْيَتُهُ غَرَضاً مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذٰلِكَ فِيمَا أَحَبَّ . وَإِنْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ الْمُلْكِ وَمِمَّا لَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَبْذُلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

---

١ المتوادّين ٢ الضعيفة ٣ الرديئة ٤ طلبتك ٥ غالبته ٦ يأتينا

وَلا ينقادُوا إِلَيهِ نظرْتُ فِي قَدرِ عقُوبَتِهِ . عَلَى أَنَّ مثلَه لَمْ يَكُنْ لِيجترِئَ عَلَى إِدْخالِ نفسِهِ فِي باب مسئَلةِ الْمُلُوكِ . وَإِنْ كانَ شَيْئاً مِنْ أُمورِ الرَّعِيَّةِ يَقصِدُ فيهِ أَنْ أَصرِفَ عِنايَتِي إِلَيهِمْ نَظَرْتُ ما هوَ . فَإِنَّ الْحكَمآءَ لا يُشيرُونَ إِلَّا بِالْخَيرِ وَالْجُهَّالُ يُشيرُونَ بِضِدِّهِ . وَأَنا قَدْ فَسحتُ[1] لكَ فِي الْكَلامِ * فَلَمَّا سمعَ بيدَبا ذٰلِكَ مِنَ الْمَلِكِ أُفْرِخَ[2] عَنْهُ رَوعه[3] وَسُرِّيَ[4] ما كانَ وَقعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ثُمَّ قامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقالَ

أَوَّلُ ما أَقولُ أَنِّي أَسأَلُ اللّٰهَ تَعالَى بَقآءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ . وَدَوامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ[5] . لِأَنَّهُ قَدْ مَنَحَنِي الْمَلِكُ فِي مَقامِي هٰذا مَحَلًّا جعَلَهُ شَرَفاً لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ الْعُلَمآءِ . وَذِكْرًا باقِياً عَلَى الدَّهرِ عِنْدَ الْحُكَمآءِ . ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحاً بِما بَدا لَهُ مِنْهُ وَقالَ قَدْ عَطَفَ عَلَيَّ الْمَلِكُ بِكَرَمِهِ وَإِحْسانِهِ . وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ وَحَمَلَنِي عَلَى الْمُخاطَرَةِ فِي كَلامِهِ وَالْإِقْدامِ عَلَيْهِ نَصِيحَةٌ اخْتَصَصْتُهُ بِها دُونَ غَيْرِهِ . وَسَيَعْلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذٰلِكَ أَنِّي لَمْ

---

١ اي ادست ٢ انكشف وسكن ٣ فزعة ٤ اي زال ٥ المدى

أُقْصِرْ عَنْ غايَةٍ فِيما يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى ٱلْحُكَماءِ . فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلامِي وَوَعاهُ[١] عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذٰلِكَ وَإِنْ هُوَ أَلْقاهُ فَقَدْ بَلَغْتُ ما يَلْزَمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي . قالَ ٱلْمَلِكُ يا بَيْدَبا تَكَلَّمْ مَهْما شِئْتَ فَإِنَّنِي مُصْغٍ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ ما عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأُجازِيكَ عَلَى ذٰلِكَ بِما أَنْتَ أَهْلُهُ

قالَ بَيْدَبا إِنِّي وَجَدْتُ ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي ٱخْتَصَّ بِها ٱلْإِنْسانُ مِنْ بَيْنِ سائِرِ ٱلْحَيَوانِ أَرْبَعَةَ أَشْياءَ وَهِيَ جِماعُ[٢] ما فِي ٱلْعالَمِ . وَهِيَ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلْعِفَّةُ وَٱلْعَقْلُ وَٱلْعَدْلُ * وَٱلْعِلْمُ وَٱلْأَدَبُ وَٱلرَّوِيَّةُ[٣] داخِلَةٌ فِي بابِ ٱلْحِكْمَةِ . وَٱلْحِلْمُ وَٱلصَّبْرُ وَٱلْوَقارُ داخِلَةٌ فِي بابِ ٱلْعَقْلِ . وَٱلْحَياءُ وَٱلْكَرَمُ وَٱلصِّيانَةُ وَٱلْأَنَفَةُ[٤] داخِلَةٌ فِي بابِ ٱلْعِفَّةِ . وَٱلصِّدْقُ وَٱلْإِحْسانُ وَٱلْمُراقَبَةُ[٥] وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ داخِلَةٌ فِي بابِ ٱلْعَدْلِ * وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْمَحاسِنُ وَأَضْدادُها هِيَ ٱلْمَساوِئُ . فَمَتَى كَمَلَتْ هٰذِهِ فِي واحِدٍ لَمْ يُخْرِجْهُ ٱلنَّقْصُ فِي نِعْمَتِهِ إِلَى سُوءِ ٱلْحَظِّ مِنْ دُنْياهُ وَلا إِلَى نَقْصٍ مِنْ عُقْباهُ[٦] وَلَمْ يَتَأَسَّفْ عَلَى ما

---

١ حفظه ٢ اي جميع ٣ اعمال الفكر ٤ الترفع عن الدنايا ٥ التقوى
٦ آخرته

لَمْ يعنِ ٱلتَّوفيقُ ببقائهِ ولَمْ يحزنهُ ما تجري بهِ ٱلمقاديرُ[١] في ملكهِ ولَمْ يدهشْ[٢] عند مكروهٍ . فالحكمةُ كنزٌ لا يفنى على الإنفاقِ . وذخيرةٌ لا يضربُ لها بالإملاقِ[٣] . وحلَّةٌ لا تخلقُ[٤] جدَّتها . ولذَّةٌ لا تصرمُ[٥] مدَّتها * ولئن كنتُ عند مقامي بينَ يدي ٱلملكِ أمسكتُ[٦] عن ٱبتدائهِ بالكلامِ فإنَّ ذلك لَمْ يكنْ منِّي إلَّا لهيبتهِ والإجلالِ لهُ . ولعمري إنَّ ٱلملوكَ لأَهلٌ أَنْ يهابوا ولا سيَّما مَنْ هوَ في ٱلمنزلةِ ٱلَّتي جلَّ فيها ٱلملكُ عن منازلِ ٱلملوكِ قبلهُ . وقد قالتِ ٱلعلماءُ ٱلزمِ ٱلسُّكوتَ فإنَّ فيهِ ٱلسَّلامةَ . وتجنَّبِ ٱلكلامَ ٱلفارغَ فإنَّ عاقبتهُ ٱلنَّدامةُ * وحكيَ أنَّ أربعةً منَ ٱلعلماءِ ضمَّهم مجلسُ ملكٍ فقالَ لهم ليتكلَّمْ كلٌّ منكم بكلامٍ يكونُ أصلاً للأدبِ * فقالَ أحدهم أفضلُ خلَّةٍ[٧] ٱلعلماءِ ٱلسُّكوتُ . وقالَ ٱلثَّاني إنَّ منْ أنفعِ ٱلأشياءِ للإنسانِ أنْ يعرفَ قدرَ منزلتهِ منْ عقلهِ . وقالَ ٱلثَّالثُ أنفعُ ٱلأشياءِ للإنسانِ أنْ لا يتكلَّمَ بما لا يعنيهِ . وقالَ ٱلرَّابعُ أروحُ[٨] ٱلأمورِ للإنسانِ ٱلتَّسليمُ للمقاديرِ * وٱجتمعَ

---

١ احكام الزمان ٢ يتحير ٣ الفقر اي لا يفتقر صاحبها ٤ تبلى ٥ تقطع ٦ امتنعت ٧ خصلة ٨ تحصيل من الراحة

فِي بَعْضِ الزَّمانِ مُلُوكُ ٱلْأَقاليمِ مِنَ ٱلصِّينِ وَٱلْهِنْدِ وَفارِسَ وَٱلرُّومِ وَقالُوا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلٌّ مِنّا بِكَلِمَةٍ تُدَوَّنُ عَنْهُ عَلى غابِرِ[1] ٱلدَّهْرِ * قالَ مَلِكُ ٱلصِّينِ أَنا عَلَى ما لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلى رَدِّ ما قُلْتُ . قالَ مَلِكُ ٱلْهِنْدِ عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِٱلْكَلِمَةِ فَإِنْ كانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ وَإِنْ كانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ[2] . قالَ مَلِكُ فارِسَ أَنا إِذا تَكَلَّمْتُ بِٱلْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِها مَلَكْتُها . قالَ مَلِكُ الرُّومِ ما نَدِمْتُ عَلَى ما لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى ما تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا * وَٱلسُّكُوتُ عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْهَذَرِ[3] ٱلَّذِي لا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ . وَأَعْضَلُ[4] ما ٱسْتُضِلَّ[5] بِهِ ٱلْإِنْسانُ لِسانُهُ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ أَطالَ ٱللهُ مُدَّتَهُ لَمّا فَسَحَ لِي فِي ٱلْكَلامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ كانَ أَوْلَى ما أَبْدَأُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ تَكُونَ ثَمَرَةُ ذٰلِكَ لَهُ دُونِي وَأَنْ أَخْتَصَّهُ بِٱلْفائِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ ٱلْعُقْبَى[6] هِيَ ما أَقْصِدُ فِي كَلامِي لَهُ . وَإِنَّما نَفْعُهُ وَشَرَفُهُ راجِعٌ إِلَيْهِ وَأَكُونُ قَدْ قَضَيْتُ فَرْضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ

١باقي ٢ اهلكتهُ ٣ما لا ينبغي من الكلام ٤من قولهم داءٌ عضال اي يعجز الاطباء
٥حمل على الضلال ٦العاقبة

أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ ٱلْجَبَابِرَةِ ٱلَّذِينَ أَسَّسُوا ٱلْمُلْكَ قَبْلَكَ وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ وَبَنَوُا ٱلْقِلَاعَ وَٱلْحُصُونَ وَمَهَّدُوا ٱلْبِلَادَ وَقَادُوا ٱلْجُيُوشَ وَٱسْتَجَاشُوا[1] ٱلْعُدَّةَ. وَطَالَتْ لَهُمُ ٱلْمُدَّةُ. وَٱسْتَكْثَرُوا مِنَ ٱلسِّلَاحِ وَٱلْكُرَاعِ[2] وَعَاشُوا ٱلدُّهُورَ فِي ٱلْغِبْطَةِ[3] وَٱلسُّرُورِ. فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذٰلِكَ مِنِ ٱكْتِسَابِ جَمِيلِ ٱلذِّكْرِ. وَلَا قَطَعَهُمْ عَنِ ٱغْتِنَامِ ٱلشُّكْرِ. وَٱسْتِعْمَالِ ٱلْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوَّلُوهُ[4]. وَٱلرِّفْقِ[5] بِمَنْ وَلُّوهُ[6]. وَحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ فِيمَا تَقَلَّدُوهُ. مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غِرَّةِ[7] ٱلْمُلْكِ وَسَكْرَةِ ٱلِٱقْتِدَارِ. وَإِنَّكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ جَدُّهُ ٱلطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعْدِهِ قَدْ وَرِثْتَ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ ٱلَّتِي كَانَتْ عُدَّتَهُمْ فَأَقَمْتَ فِيمَا خُوِّلْتَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْجُنُودِ وَلَمْ تَقُمْ فِي ذٰلِكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَتَوْتَ وَعَلَوْتَ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَأَسَأْتَ ٱلسِّيرَةَ وَعَظُمَتْ مِنْكَ ٱلْبَلِيَّةُ. وَكَانَ ٱلْأَوْلَى وَٱلْأَشْبَهُ[8] بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلَافِكَ وَتَتَّبِعَ آثَارَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَقْفُوَ[9] مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ وَتُقْلِعَ[10] عَمَّا عَارُهُ لَازِمٌ

---

١ جمعوا ٢ الدواب ٣ حسن الحال ٤ ملكوه ٥ اللين واللطف
٦ تولوا عليه ٧ الاسم من الاغترار بمعناه ٨ اي الاليق ٩ تتبع ١٠ تكف

لكَ وَشَينهُ[1] وَاقِعٌ بكَ وَتَحْسِنَ ٱلنظَرَ بِرَعيَّتِكَ وَتَسنَّ لهمْ سنَنَ ٱلخَيرِ ٱلَّذِي يَبقَى بعدَكَ ذِكرُهُ . وَيُعقِبُكَ[2] ٱلجَمِيلَ فَخرُهُ . وَيكونُ ذٰلِكَ أَبقَى عَلَى ٱلسَّلامَةِ . وَأَدوَمَ عَلَى ٱلاِستِقَامَةِ . فإِنَّ ٱلجَاهِلَ ٱلمُغتَرَّ مَنِ ٱستَعمَلَ فِي أُمُورِهِ ٱلبَطَرَ وَٱلأُمنِيَّةَ[3] وَٱلحَازِمَ ٱللَّبِيبَ مَنْ سَاسَ ٱلمُلْكَ بِٱلمُدَارَاةِ وَٱلرِّفقِ * فَٱنظُرْ أَيُّهَا ٱلمَلِكُ فِيمَا أَلقَيتُ إِلَيكَ . وَلَا يَثقُلَنَّ ذٰلِكَ عَلَيكَ . فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهٰذَا ٱبتِغَاءَ غَرَضٍ تُجَازِينِي بِهِ وَلَا ٱلتِمَاسَ مَعرُوفٍ تَسُوقُهُ إِلَيَّ . وَلٰكِنِّي أَتَيتُكَ نَاصِحًا مُشفِقًا عَلَيكَ

فَلَمَّا فَرَغَ بَيدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَضَى مُنَاصَحَتَهُ أَوغَرَ قَلبَ ٱلمَلِكِ[4] فَأَغلَظَ لَهُ فِي ٱلجَوَابِ ٱستِصغَارًا لِأَمرِهِ وَقَالَ لَقَدْ تَكَلَّمتَ بِكَلَامٍ مَا كُنتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهلِ مَملَكَتِي يَستَقبِلُنِي بِمِثلِهِ وَلَا يُقدِمُ عَلَى مَا أَقدَمتَ عَلَيهِ . فَكَيفَ أَنتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ وَضَعفِ مُنَّتِكَ[5] وَعَجزِ قُوَّتِكَ . وَلَقَدْ أَكثَرتَ إِعجَابِي[6] مِنْ إِقدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسَلُّطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزتَ فِيهِ حَدَّكَ . وَمَا أَجِدُ شَيئًا فِي تَأْدِيبِ غَيرِكَ أَبلَغَ مِنَ ٱلتَّنكِيلِ بِكَ[7]

---

١ ضد الزين ٢ اي يورثك ٣ اي التعلل بالآمال ٤ ملأه غيظاً
٥ قوتك ٦ حملي على العجب ٧ معاقبتك بما يجعلك عبرةً لغيرك

فَذٰلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَساهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ ما رُمْتَ أَنْتَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجالِسِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ. فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيما أَمَرَ فَكَّرَ فِيما أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ[1] عَنْهُ ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ. فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ ٱلْمَلِكُ فِي طَلَبِ تَلامِذَتِهِ وَمَنْ كانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي ٱلْبِلادِ وَٱعْتَصَمُوا[2] بِجَزَائِرِ ٱلْبِحارِ. فَمَكَثَ بَيْدَبا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّاماً لا يَسْأَلُ ٱلْمَلِكُ عَنْهُ وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ * حَتَّى إِذا كانَ لَيْلَةٌ مِنَ ٱللَّيالِي سَهِدَ[3] ٱلْمَلِكُ سُهْدًا شَدِيدًا وَطالَ سُهْدُهُ فَمَدَّ إِلَى ٱلْفَلَكِ بَصَرَهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ[4] ٱلْفَلَكِ وَحَرَكاتِ ٱلْكَواكِبِ فَأَغْرَقَ[5] ٱلْفِكْرُ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى ٱسْتِنْباطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ ٱلْفَلَكِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ. فَذَكَرَ عِنْدَ ذٰلِكَ بَيْدَبا وَتَفَكَّرَ فِيما كَلَّمَهُ فِيهِ فَٱرْعَوَى[6] لِذٰلِكَ وَقالَ فِي نَفْسِهِ لَقَدْ أَسَأْتُ فِيما صَنَعْتُ بِهٰذا ٱلْفَيْلَسُوفِ وَضَيَّعْتُ واجِبَ حَقِّهِ وَحَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ سُرْعَةُ ٱلْغَضَبِ. وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ أَرْبَعَةٌ لا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي ٱلْمُلُوكِ. ٱلْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ ٱلْأَشْياءِ مَقْتاً[7]. وَٱلْبُخْلُ فَإِنَّ

---

١ تأخر ورجع ٢ أمتنعوا ٣ طار نومه ٤ استدارة ٥ بالغ وتعمق
٦ رجع عن رأيه ٧ بغضا

صَاحِبَهُ لَيسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ[١] وَٱلْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَاوِرَهُ. وَٱلْعُنْفُ[٢] فِي ٱلْمُحَاوَرَةِ فَإِنَّ ٱلسَّفَهَ لَيسَ مِنْ شَأْنِهَا وَإِنِّي أَتَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ مُبْلِغًا[٣] فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحِقُّ وَكَافَأْتُهُ بِخِلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ. وَمَا كَانَ هٰذَا جَزَآءَهُ مِنِّي بَلْ كَانَ ٱلْوَاجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَنْقَادَ لِمَا يُشِيرُ بِهِ. ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ

فَلَمَّا مَثَلَ[٤] بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ ٱلَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي وَعَجَّزْتَ رَأْيِي[٥] فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفًا. قَالَ لَهُ بَيْدَبَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلنَّاصِحُ ٱلشَّفِيقُ. ٱلصَّادِقُ ٱلرَّفِيقُ[٦]. إِنَّمَا نَبَّأْتُكَ[٧] بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ. قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدَعْ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ. فَجَعَلَ بَيْدَبَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ وَٱلْمَلِكُ مُصْغٍ إِلَيْهِ وَجَعَلَ دَبْشَلِيمُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ ٱلْأَرْضَ[٨] بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ. ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ[٩] إِلَى بَيْدَبَا وَأَمَرَهُ بِٱلْجُلُوسِ. وَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا إِنِّي

---

١ ميسرته ٢ القسوة والخشونة ٣ اي مبلغاً من طريق الدسيسة ٤ انتصب
٥ نسبته الى العجز ٦ من الرفق ٧ اخبرتك ٨ يضرب. ا لقصيب ونحوه وهو مما يفعله المفكر ٩ نظره

قَدِ ٱستَعذَبتُ كَلامَكَ وَحَسُنَ مَوقِعُهُ فِي قَلبِي وَأَنا ناظِرٌ فِي ٱلَّذِي أَشَرتَ بِهِ وَعامِلٌ بِما أَمَرتَ . ثُمَّ أَمَرَ بِقُيُودِهِ فَحُلَّتْ وَأَلقَى عَلَيهِ مِن لِباسِهِ وَتَلَقَّاهُ بِٱلقَبُولِ . فَقالَ بَيدَبا أَيُّها ٱلمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ ما كَلَّمتُكَ بِهِ نُهيَةً[1] لِمِثلِكَ . قالَ صَدَقتَ أَيُّها ٱلحَكِيمُ ٱلفاضِلُ وَقَد وَلَّيتُكَ[2] مِن مَجلِسِي هٰذا إِلَى جَمِيعِ أَقاصِي مَملَكَتِي . فَقالَ لَهُ أَيُّها ٱلمَلِكُ أَعفِنِي مِن هٰذا ٱلأَمرِ فَإِنِّي غَيرُ مُضطَلِعٍ بِتَقوِيمِهِ[3] إِلَّا بِكَ فَأَعفاهُ مِن ذٰلِكَ . فَلَمَّا ٱنصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ ٱلَّذِي فَعَلَهُ لَيسَ بِرَأيٍ . فَبَعَثَ فَرَدَّهُ وَقالَ إِنِّي فَكَّرتُ فِي إِعفائِكَ مِمَّا عَرَضتُهُ عَلَيكَ فَوَجَدتُهُ لا يَقُومُ إِلَّا بِكَ وَلا يَنهَضُ بِهِ غَيرُكَ وَلا يَضطَلِعُ بِهِ سِواكَ فَلا تُخالِفنِي فِيهِ فَأَجابَهُ بَيدَبا إِلَى ذٰلِكَ

وَكانَ عادَةُ ذٰلِكَ ٱلزَّمانِ إِذا ٱستَوزَرُوا وَزِيرًا أَن يَعقِدُوا عَلَى رَأسِهِ تاجًا وَيَركَبَ فِي أَهلِ ٱلمَملَكَةِ وَيُطافَ بِهِ فِي ٱلمَدِينَةِ . فَأَمَرَ ٱلمَلِكُ أَن يُفعَلَ بِبَيدَبا ذٰلِكَ . فَوُضِعَ ٱلتَّاجُ عَلَى رَأسِهِ وَرَكِبَ فِي ٱلمَدِينَةِ وَرَجَعَ فَجَلَسَ بِمَجلِسِ ٱلعَدلِ وَٱلإِنصافِ يَأخُذُ لِلدَّنِيءِ مِنَ ٱلشَّرِيفِ . وَيُساوِي بَينَ ٱلقَوِيِّ وَٱلضَّعِيفِ . وَرَدَّ ٱلمَظالِمَ

---

١ الاسم من النهي بمعناه ٢ قلدتك الولاية ٣ اي غير قادر عليه

وَوَضَعَ سُنَنَ ٱلْعَدْلِ . وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلْعَطَآءِ وَٱلْبَذْلِ . وَٱتَّصَلَ ٱلْخَبَرُ بِتَلَامِذَتِهِ فَجَآءُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ ٱللّٰهُ لَهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ فِيهِ وَشَكَرُوا ٱللّٰهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلسِّيرَةِ . وَٱتَّخَذُوا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ عِيدًا يُعَيِّدُونَ فِيهِ فَهُوَ إِلَى ٱلْيَوْمِ عِيدٌ يُعَيِّدُونَهُ فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَى فِكْرَهُ مِنِ ٱشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِوَضْعِ كُتُبِ ٱلسِّيَاسَةِ وَنَشِطَ[1] لَهَا فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا دَقَائِقُ ٱلْحِيَلِ . وَمَضَى ٱلْمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ وَٱلْعَدْلِ فِي ٱلرَّعِيَّةِ فَرَغِبَتْ[2] إِلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ عَلَى ٱسْتِوَآئِهَا وَفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ * ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ فَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ وَوَعَدَهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا وَقَالَ لَهُمْ لَسْتُ أَشُكُّ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نُفُوسِكُمْ وَقْتَ دُخُولِي عَلَى ٱلْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ إِنَّ بَيْدَبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ وَبَطَلَتْ فِكْرَتُهُ إِذْ عَزَمَ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَى هٰذَا ٱلْجَبَّارِ ٱلطَّاغِي . فَقَدْ عَلِمْتُمْ نَتِيجَةَ رَأْيِي وَصِحَّةَ فِكْرِي وَأَنِّي لَمْ آتِهِ جَهْلًا بِهِ لِأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ

---

١ خفّ وأسرع ٢ اي مالت برغبتها

اَلْحُكَمَآءِ قَبْلِي تَقُولُ إِنَّ الْمُلُوكَ لَهَا سَكْرَةٌ كَسَكْرَةِ الشَّرَابِ. فَالْمُلُوكُ لَا تُفِيقُ مِنَ السَّكْرَةِ إِلَّا بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَآءِ وَأَدَبِ الْحُكَمَآءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَآءِ وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَآءِ تَقْوِيمُ الْمُلُوكِ بِأَلْسِنَتِهَا وَتَأْدِيبُهَا بِحِكْمَتِهَا وَإِظْهَارُ الْحُجَّةِ الْبَيِّنَةِ اللَّازِمَةِ لَهُمْ لِيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْاِعْوِجَاجِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ * فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْعُلَمَآءُ فَرْضًا وَاجِبًا عَلَى الْحُكَمَآءِ لِمُلُوكِهِمْ لِيُوقِظُوهُمْ مِنْ سِنَةِ[1] سَكْرَتِهِمْ. كَالطَّبِيبِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ. فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَنْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ بَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ فِي زَمَانِ دَبْشَلِيمَ الطَّاغِي فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ قَالُوا كَانَ الْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جِوَارِهِ أَوْلَى بِهِ. وَالْاِنْزِعَاجُ[2] عَنِ الْوَطَنِ شَدِيدٌ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُكَمَآءِ بَعْدِي عُذْرًا. فَحَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيرِ أَوِ الظَّفَرِ بِمَا أُرِيدُهُ وَكَانَ مِنْ ذٰلِكَ مَا أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ

---

١ نوم ٢ التحول والانتقال

الأَمْثَالِ إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ . إِمَّا بِمَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ[1] فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ[2] فِي دِينِهِ . وَمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ الرَّغَائِبَ[3] * وَإِنَّ المَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ بَسَطَ[4] لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ ضُرُوبُ[5] الحِكْمَةِ . فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَيْنَ بَلَغَ مِنَ الحِكْمَةِ فَهْمُهُ . قَالُوا أَيُّهَا الحَكِيمُ الفَاضِلُ . وَاللَّبِيبُ العَاقِلُ . وَالَّذِي[6] وَهَبَ لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَالعَقْلِ وَالأَدَبِ وَالفَضِيلَةِ مَا خَطَرَ هٰذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ . وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا وَبِكَ شَرُفْنَا وَعَلَى يَدِكَ انْتَعَشْنَا[7] . وَلٰكِنْ سَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ . وَمَكَثَ المَلِكُ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّى لَهُ ذٰلِكَ بَيْدَبَا وَيَقُومُ بِهِ

ثُمَّ إِنَّ المَلِكَ دَبْشَلِيمَ لَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ المُلْكُ وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ فِي أُمُورِ الأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ ذٰلِكَ[8] بَيْدَبَا . صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي الكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الهِنْدِ لِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ . فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ[9] أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ

---

١ خسارة ٢ نقصان ٣ ما يرغب فيه ٤ اي اطلق ٥ اصناف ٦ الواو للقسم
٧ يقال انعش العاثر اي نهض من عثرته ٨ اغناه عنه ٩ اي خطر بباله

وَتَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ كَمَا ذَكَرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذٰلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِبَيْدَبَا . فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ ٱلْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا . وَإِنِّي فَكَّرْتُ وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنْبِئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ ٱلْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا وَذٰلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا . وَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ حُكَمَاؤُهَا . وَأَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أُولٰئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي خَزَائِنِي كِتَابٌ أُذْكَرُ بِهِ بَعْدِي وَيُنْسَبُ إِلَيَّ كَمَا ذُكِرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِكُتُبِهِمْ . وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ ٱلْعَامَّةِ وَتَأْدِيبَهَا عَلَى طَاعَةِ ٱلْمَلِكِ وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ ٱلْمُلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ فَيَسْقُطُ بِذٰلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ[1] ٱلْمُلْكِ . وَأُرِيدُ أَنْ يَبْقَى لِي هٰذَا ٱلْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَابِرِ ٱلدُّهُورِ * فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ جَدُّهُ . عَلَا نَجْمُكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ

---

١ معالجة

أيامك إنّ الذي قد طُبِعَ عليه الملكُ من جودة القريحة ووفور العقل حرّكه إلى عالي الأمور وسمت به نفسه وهمّته إلى أشرف المراتب منزلة وأبعدها غاية. وأدام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعانني على بلوغ مراده. فليأمر الملك بما شاء من ذلك فإني صائر[1] إلى غرضه مجتهد فيه برأيي* قال له الملك يا بيدبا لم تزل موصوفاً بحسن الرأي وطاعة الملوك في أمورهم. وقد اختبرت منك ذلك واخترت أن تضع هذا الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد فيه نفسك بغاية ما تجد إليه السبيل. وليكن مشتملاً على الجدّ والهزل واللهو والحكمة والفلسفة. فكفّر له بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك أدام الله أيامه إلى ما أمرني به وجعلت بيني وبينه أجلاً[2]. قال وكم الأجل قال سنة. قال قد أجّلتك وأمر له بجائزة سنيّة[3] تعينه على عمل الكتاب* فبقي بيدبا مفكراً في الأخذ فيه وفي أي صورة يبتدئ بها فيه وفي وضعه

ثمّ إنّ بيدبا جمع تلامذته وقال لهم إنّ الملك قد ندبني[4]

---

١ منته وواصل ٢ موعداً ٣ رفيعة ٤ دعاني

إِلَى أَمْرٍ فِيهِ فَخْرِي وَفَخْرُكُمْ وَفَخْرُ بِلادِكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ. ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ ٱلْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْغَرَضِ ٱلَّذِي قَصَدَ فِيهِ فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ ٱلْفِكْرُ فِيهِ * فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَّرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ أَنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِٱسْتِفْرَاغِ ٱلْعَقْلِ وَإِعْمَالِ ٱلْفِكْرِ. وَقَالَ أَرَى ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ إِلَّا بِٱلْمَلَّاحِينَ[١] لِأَنَّهُمْ يُعَدِّلُونَهَا. وَإِنَّمَا تَسْلُكُ ٱللُّجَّةَ[٢] بِمُدَبِّرِهَا ٱلَّذِي تَفَرَّدَ بِإِمْرَتِهَا[٣]. وَمَتَى شُحِنَتْ بِٱلرُّكَّابِ ٱلْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَّاحُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْغَرَقِ * وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يَعْمَلُهُ فِي بَابِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى ٱلِانْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ. فَخَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا مَعَهُ بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ[٤] مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ ٱلْهِنْدُ شَيْئًا وَمِنَ ٱلْقُوتِ مَا يَقُومُ بِهِ وَبِتِلْمِيذِهِ تِلْكَ ٱلْمُدَّةَ وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ[٥] وَرَدَّا عَلَيْهِمَا ٱلْبَابَ. ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ ٱلْكِتَابِ وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلِي وَتِلْمِيذُهُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ ٱلْإِتْقَانِ وَٱلْإِحْكَامِ. وَرَتَّبَ فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ بَابٍ مِنْهَا

---

١ النواتي ٢ معظم الماء ٣ ولايتها ٤ هيّأ ٥ حجرة

قائمٌ بنفسهِ وفي كلِّ بابٍ مسئلةٌ والجوابُ عنها ليكونَ لِمن نظرَ فيهِ حظٌّ[١] من التبصرةِ والهدايةِ · وضمَّنَ تلكَ الأبوابَ كتابًا واحدًا وسمَّاهُ كتابَ كليلةَ ودِمنةَ · ثمَّ جعلَ كلامَهُ على ألسُنِ البهائمِ والسباعِ والطيرِ ليكونَ ظاهرُهُ لهوًا للخواصِّ والعوامِّ وباطنُهُ رِياضةً[٢] لعقولِ الخاصَّةِ · وضمَّنهُ أيضًا ما يحتاجُ إليهِ الإنسانُ من سياسةِ نفسهِ وأهلهِ وخاصَّتهِ وجميعِ ما يحتاجُ إليهِ من أمرِ دينهِ ودُنياهُ وآخرتهِ وأُولاهُ[٣] ويحضُّهُ[٤] على حسنِ طاعتهِ للملوكِ ويجنِّبهُ ما تكونُ مجانبتهُ خيرًا لهُ * ثمَّ جعلهُ باطنًا وظاهرًا كرسمِ سائرِ الكتبِ التي برسمِ الحكمةِ فصارَ الحيوانُ لهوًا وما ينطقُ بهِ حِكمًا وأدبًا * فلمَّا ابتدأَ بيدبا بذلكَ جعلَ أوَّلَ الكتابِ وصفَ الصديقِ كيفَ يكونُ صديقانِ وكيفَ تقطعُ المودَّةُ الثابتةُ بينهما بحيلةِ ذي النميمةِ[٥] · وأمرَ تلميذهُ أن يكتبَ على لسانِ بيدبا مثلَ ما كانَ الملكُ شرطهُ[٦] في أن يجعلهُ لهوًا وحكمةً · فذكرَ بيدبا أنَّ الحكمةَ متى دخلها كلامُ النقلةِ أفسدها واستُجهلَ حكمتها

---

١ نصيب ٢ اي تمرينًا ٣ اي حياته ٤ يحثهُ ويدعوهُ ٥ نقل الاحاديث بقصد الافساد ٦ لشرطهِ

فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتِلْمِيذُهُ يُعْمِلَانِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا سَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ[1] لَهُمَا ٱلْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهِيمَتَيْنِ. فَوَقَعَ لَهُمَا مَوْضِعُ ٱللَّهْوِ وَٱلْهَزْلِ بِكَلَامِ ٱلْبَهَائِمِ وَكَانَتِ ٱلْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ. فَأَصْغَتِ ٱلْحُكَمَاءُ إِلَى حِكَمِهِ وَتَرَكُوا ٱلْبَهَائِمَ وَٱللَّهْوَ وَعَلِمُوا أَنَّهَا ٱلسَّبَبُ فِي ٱلَّذِي وُضِعَ لَهُمْ وَمَالَتْ إِلَيْهِ ٱلْجُهَّالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ وَلَمْ يَشُكُّوا فِي ذَٰلِكَ وَٱتَّخَذُوهُ لَهْوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى ٱلْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا ٱلْغَرَضَ ٱلَّذِي وُضِعَ لَهُ. لِأَنَّ ٱلْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي ٱلْبَابِ ٱلْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ ٱلْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ ٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى ٱلتَّحَفُّظِ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّعَايَةِ[2] وَٱلتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ ٱلْعَدَاوَةَ بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ لِيَجُرَّ بِذَٰلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ * فَلَمْ يَزَلْ بَيْدَبَا وَتِلْمِيذُهُ فِي ٱلْمَقْصُورَةِ حَتَّى ٱسْتَتَمَّ عَمَلَ ٱلْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ

فَلَمَّا تَمَّ ٱلْحَوْلُ[3] أَنْفَذَ إِلَيْهِ ٱلْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ ٱلْوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ. فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ ٱلْمَلِكَ فَلْيَأْمُرْنِي بِحَمْلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هٰذَا ٱلْكِتَابَ

---

١ اي كشف ٢ النميمة ٣ السنة

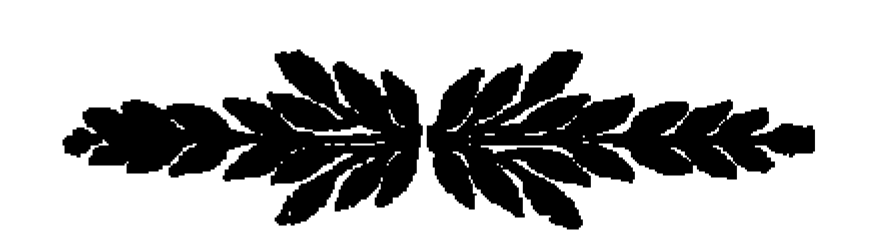
بِحَضْرَتِهِمْ(١) . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلرَّسُولُ إِلَى ٱلْمَلِكِ سُرَّ بِذٰلِكَ وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ * ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ وَكَرَاسِيُّ لِأَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ . فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَامَ فَلَبِسَ ٱلثِّيَابَ ٱلَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى ٱلْمُلُوكِ وَهِيَ ٱلْمُسُوحُ ٱلسُّودُ وَحَمَلَ ٱلْكِتَابَ تِلْمِيذُهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَثَبَ ٱلْخَلَائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ وَقَامَ ٱلْمَلِكُ شَاكِرًا فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ ٱلْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا ٱرْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنَّ هٰذَا يَوْمُ هَنَاءٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ وَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَجْلِسَ . فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ سَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْكِتَابِ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ فَٱزْدَادَ ٱلْمَلِكُ مِنْهُ تَعَجُّبًا وَسُرُورًا فَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ(٢) ٱلَّذِي فِي نَفْسِي وَهٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَٱطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ . فَدَعَا لَهُ بَيْدَبَا بِٱلسَّعَادَةِ وَطُولِ ٱلْجَدِّ(٣) وَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَمَّا ٱلْمَالُ فَلَا

---

١ حضورهم ٢ جاوزت ٣ بمعنى السعادة

حاجةَ لي فيهِ وأَمّا الكُسْوةُ فلا أَختارُ على لِباسي هٰذا شيئًا ولستُ أُخلي المَلِكَ(١) مِنْ حاجةٍ · قال المَلِكُ يا بيدَبا ما حاجتُكَ فكُلُّ حاجةٍ لكَ قِبلَنا(٢) مقضيَّةٌ · قال يأْمرُ المَلِكُ أَنْ يُدوَّنَ كتابي هٰذا كما دوَّنَ آباؤُهُ وأَجدادُهُ كتبَهُمْ · ويأْمرُ بالمحافظةِ عليهِ فإِنّي أَخافُ أَنْ يخرُجَ مِنْ بلادِ الهِنْدِ فيتَناولَهُ أَهلُ فارِسَ إِذا علِموا بِهِ · فالمَلِكُ يأْمرُ أَنْ لا يخرُجَ مِنْ بيتِ الحِكْمةِ · ثُمَّ دعا المَلِكُ بتلاميذِهِ وأَحسنَ لهمُ الجوائزَ

ثُمَّ إِنَّهُ لمّا مَلَكَ كِسرَى أَنوشِرْوانُ وكانَ مستأْثِرًا(٣) بالكُتُبِ والعِلْمِ والأَدبِ والنَّظرِ في أَخبارِ الأَوائلِ وقعَ إِليهِ(٤) خبرُ الكتابِ فلَمْ يقِرَّ قرارُهُ حتّى بعثَ بَرْزَوَيْهِ الطَّبيبَ وتلطَّفَ حتّى أَخرجَهُ مِنْ بلادِ الهِنْدِ فأَقرَّهُ(٥) في خزائنِ فارِسَ



١ اي اغنيه ٢ اي عندنا ٣ منفردًا ٤ اي بلغه ٥ اثبته

بابُ

بَعْثَةِ ٱلْمَلِكِ كِسْرَى أَنُوشِرْوانَ بْنِ قُبَاذَ بْنِ فَيْرُوزَ بَرْزَوَيْهِ بْنَ أَزْهَرَ الطَّبِيبَ إِلَى ٱلْهِنْدِ فِي تَحْصِيلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ غَيْبِهِ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى كُلِّ عِلْمٍ وَغَايَةٍ . ٱلدَّالِّ عَلَى ٱلْخَيْرِ ٱلْمُسَبِّبِ كُلَّ فَضِيلَةٍ . أَلْهَمَ عِبَادَهُ كُلَّ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ نَوَافِلِ[1] ٱلْخَيْرَاتِ . وَنَوَامِي ٱلْبَرَاكَاتِ . لِمَا أَمَرَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِكْمَةِ إِذْ أَمَرَهُمْ بِٱلشُّكْرِ لَهُ لِيَسْتَوْجِبُوا بِذٰلِكَ ٱلْمَزِيدَ مِنْهُ وَيُسَارِعُوا فِيمَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ تَبَارَكَ ٱللّٰهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ

وَقَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ لِكُلِّ مُسَبَّبٍ عِلَّةً وَلِكُلِّ عِلَّةٍ مَجْرًى يُجْرِيهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى يَدِ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِهِ وَيُقَدِّرُهَا لَهُ عَلَى أَيَّامِ دَوْلَتِهِ وَأَيَّامِ عُمْرِهِ . وَذٰلِكَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ عِلْمِ ٱنْتِسَاخِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَنَقْلِهِ مِنْ أَرْضِ ٱلْهِنْدِ إِلَى مَمْلَكَةِ فَارِسَ إِلْهَامٌ أَلْهَمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى

---

١ جمع نافلة وهي ما يستحسن عمله ولا يجب

كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ لِلْبَعْثِ فِي نَقْلِهِ وَنَسْخِهِ . لِأَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ . وَأَكْثَرَهُمْ حِكْمَةً وَأَسَدَّهُمْ رَأْيًا وَأَرْشَدَهُمْ تَدْبِيرًا . وَأَحَبَّهُمْ لِلْعُلُومِ وَأَبْحَثَهُمْ عَنْ مَكَامِنِ[1] ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ . وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى ٱلْخَيْرِ وَتَقَرُّبٍ بِهِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى وَإِلَى ٱقْتِنَاءِ مَا يَزِينُهُ بِزِينَةِ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ طَالِبِي ٱلْأَدَبِ وَٱلْعِلْمِ فِي مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ وَٱلنَّفْعِ وَٱلضَّرِّ وَٱلصَّدِيقِ وَٱلْعَدُوِّ . وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذٰلِكَ إِلَّا بِنُورِ ٱللهِ تَعَالَى فِي سِيَاسَتِهِ عَبِيدَهُ وَبِلَادَهُ لِإِقَامَةِ رَعِيَّتِهِ وَأُمُورِهِ * وَهُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْمُعَظَّمُ فِي قَوْمِهِ . كِسْرَى ٱلْمُتَزَيِّنُ بِزِينَةِ ٱلْبَهَاءِ . ٱلْفَاضِلُ ٱلْمَاجِدُ ٱلرَّشِيدُ ٱلسَّعِيدُ . ٱلَّذِي لَمْ يَعْدِلْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ مَضَى قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ . ٱلنَّاقِدُ[2] ٱلْبَصِيرُ ٱلْكَامِلُ ٱلْأَدَبِ ٱلْمُعِينَةُ لَهُ نَفْسُهُ عَلَى ٱلْتِمَاسِ فُرُوعِ ٱلْحِكَمِ . ٱلْمُسْتَعِينُ بِنُورِ ٱلْعَقْلِ وَجَوْدَةِ ٱلْفِكْرِ . ٱلَّذِي ٱخْتَصَّهُ ٱللهُ تَعَالَى بِهٰذِهِ ٱلْخِصَالِ ٱلْمَحْمُودَةِ . وَزَيَّنَهُ بِزِينَةِ ٱلْكَرَامَةِ وَتَوَّجَهُ بِهٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلسَّابِغَةِ[3] . حَتَّى أَذْعَنَتْ لَهُ ٱلرَّعِيَّةُ . وَطَاعَتْ لِسُلْطَانِهِ ٱلْبَرِيَّةُ . وَصَفَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَدَانَتْ[4] لَهُ ٱلْبِلَادُ وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْمُلُوكُ وَرَكَنَتْ إِلَى طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ .

---

١ مخابئ ٢ المميز ٣ اي الشاملة ٤ خضعت

وَذٰلِكَ مِنْحَةٌ[١] مِنَ ٱلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلا قَسَمَها لَهُ فِي دَوْلَتِهِ وَجَمَّلَهُ بِها فِي أَقْطارِ مَمْلَكَتِهِ

فَبَيْنَما هُوَ ذاتَ يَوْمٍ فِي عُنْفُوانِ[٢] دَوْلَتِهِ وَشَمْخِها[٣] وَعِزَّةِ مَمْلَكَتِهِ وَقَعْسِها[٤] إِذْ أَخْبَرَهُ بَعْضُ جُلَسائِهِ أَنَّ عِنْدَ بَعْضِ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ فِي خَزائِنِهِ كِتاباً مِنْ تَآلِيفِ ٱلْحُكَماءِ وَتَصانِيفِ ٱلْعُلَماءِ وَٱسْتِنْباطِ ٱلْفُضَلاءِ. وَقَدْ فُصِّلَتْ لَهُ غَرائِبُ مِنْ عَجائِبِهِ ٱلْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَفْواهِ ٱلْبَهائِمِ وَٱلطَّيْرِ وَٱلْوَحْشِ وَٱلْهَوامِّ[٥] وَخَشاشِ[٦] ٱلْأَرْضِ. مِمَّا تَحْتاجُ إِلَيْهِ فُضَلاءُ ٱلْمُلُوكِ لِسِياسَةِ رَعِيَّتِها وَنِظامِ أُمُورِ مَمالِكِها وَتَدْبِيرِها * فَدَعَتْهُ ٱلْحاجَةُ إِلَى ٱقْتِناءِ هٰذا ٱلْكِتابِ لِكَمالِ مُلْكِهِ. وَأَنَّهُ بِعَدَمِهِ ناقِصٌ وَبِتَحْصِيلِهِ كامِلٌ. وَبِٱتِّباعِهِ يَحْصُلُ عَلَى رِضَى ٱلْخالِقِ جَلَّ وَعَلا. وَٱنْقِيادِ ٱلْمَخْلُوقِ لَهُ وَزَجْرِهِ[٧] عَنِ ٱلْمَعاصِي ٱلَّتِي يَتَّبِعُها شِرارُ[٨] ٱلْخَلْقِ. وَيَتَجَنَّبُها أَصْفاهُمْ جَوْهَراً وَأَجْوَدُهُمْ طَبْعاً وَأَنْبَغُهُمْ[٩] حَسَباً[١٠] * وَإِنَّهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى ما أَرادَ مِنْ أَمْرِهِ وَهَمَّ بِٱقْتِنائِهِ وَنَسْخِهِ قالَ فِي نَفْسِهِ مَنْ لِهٰذا ٱلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ وَٱلْخَطْبِ[١١]

---

١ عطية ٢ معظم ٣ عظمها ٤ منعتها وعزها ٥ ما يقتل من الحشرات ٦ الحشرات مطلقا ٧ منعه ٨ اشرار ٩ اطهرهم ١٠ الحسب ما يعده الرجل لنفسه من المآثر ١١ معظم الامر

الْجَسِيمِ [١] وَالْأَدَبِ النَّفِيسِ الَّذِي بِهِ تَتَكَمَّلُ الْفَضَائِلُ. وَلَمْ تَتَزَيَّنْ بِهِ مُلُوكُ الْهِنْدِ دُونَ مُلُوكِ فَارِسَ. وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ مَشَقَّةً وَلَا صُعُوبَةً وَلَا مُخَاطَرَةً حَتَّى أَبْذُلَهَا فِي طَلَبِ هٰذَا الْكِتَابِ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى نُسَخِهِ وَاقْتِنَائِهِ عَلَى تَرْتِيبِ مَنَافِعِهِ وَعَجَائِبِهِ مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَوَضْعِ الْعُلَمَاءِ. لِيَقَعَ [٢] لَنَا اسْتِنْبَاطُهُ [٣] دُونَ سَائِرِ الْمُلُوكِ مِنْ أَحَادِيثَ مُعْجِبَةٍ وَفَضَائِلَ مُحْكَمَةٍ [٤] يَكَادُ الْعَقْلُ يَمُدُّ يَدًا إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا وَيَفْتَحُ فَمًا لِلَذِيذِ مَذَاقِهَا وَيَتَعَلَّقُ بِوَثِيقِ [٥] حَبْلِهَا. إِذْ يَرُوضُ [٦] النَّفْسَ بِالْعُدُولِ عَنْ مَسَاوِئِهَا وَيَعْدِلُ بِهَا عَنْ تَتَبُّعِ أَهْوَائِهَا

فَلَمَّا فَحَصَ كِسْرَى رَأْيَهُ السَّدِيدَ [٧] وَعَزْمَهُ الرَّشِيدَ فِيمَا صَمَّمَ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِهِ قَالَ. الْأَمْرُ فِي ذٰلِكَ جَلِيلٌ وَالْخَطْبُ عَظِيمٌ وَالشُّقَّةُ [٨] بَعِيدَةٌ وَالْمَسَافَةُ طَوِيلَةٌ شَاقَّةٌ [٩]. وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَنْتَخِلَ [١٠] مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَةِ أَصْلَبَهُمْ عُودًا [١١] وَأَجْوَدَهُمْ عَزْمًا وَحَزْمًا [١٢]. وَهٰذَا يُوجَدُ إِمَّا فِي كُتَّابِ الدِّيوَانِ وَإِمَّا فِي أَطِبَّةِ الْخَاصِّ. لِأَنَّ

---

١ بمعنى العظيم ٢ ايثبت ٣ استخراجه ٤ متقنة ٥ محكمتين ٦ اي يثقف ويهذب ٧ المصيب ٨ السفر ٩ صعبة ١٠ اي نختار ١١ اي احذقهم طبعًا ١٢ ضبطًا لامره

الْخَاصَّ وَالْعَامَّ تَجْمَعُ مَسَالِكُهُمَا جَمِيعَ الْفَضَائِلِ وَالْأَدَبَ وَفُنُونَ الْعِلْمِ وَمَحْضَ[1] الْحِكَمِ فِي أَنَاةٍ[2] وَتُؤَدَةٍ[3]. وَبُلُوغَ الْأَغْرَاضِ لِمُلُوكِهَا بِحُسْنِ الْحِيَلِ وَجُودَةِ الذِّهْنِ وَكَمَالِ الْمُرُوَّةِ وَكِتْمَانِ السِّرِّ وَإِظْهَارِ أَضْدَادِهَا.

فَلَمَّا تَمَّ عَزْمُهُ وَانْتَظَمَ سَأَلَ وُزَرَاءَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا وَيَجْتَهِدُوا فِي تَطَلُّبِ رَجُلٍ كَامِلٍ عَالِمٍ أَدِيبٍ. قَدْ جَمَعَ الْفَضَائِلَ بِحَذَافِيرِهَا[4] وَنُسِبَ إِلَى الْكَمَالِ مِنْ أَهْلِ الصِّنْفَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ. إِمَامًا كَاتِبًا نِحْرِيرًا[5] أَوْ طَبِيبًا فَيْلَسُوفًا مَاهِرًا قَدْ أَدَّبَتْهُ التَّجَارِبُ. عَارِفًا بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ خَبِيرًا بِاللُّغَةِ الْهِنْدِيَّةِ يَكْتُبُهُمَا جَمِيعًا حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي الْأَدَبِ مُوَاظِبًا عَلَى الطِّبِّ أَوِ الْفَلْسَفَةِ فَيَأْتُوهُ بِهِ * فَخَرَجَ أَهْلُ مَشُورَتِهِ وَوُزَرَاؤُهُ مُسْرِعِينَ فَبَحَثُوا عَمَّنْ هٰذِهِ صِفَتُهُ فَوَجَدُوهُ وَظَفِرُوا بِهِ. فَإِذَا هُوَ شَابٌّ جَمِيلُ الْوَجْهِ كَامِلُ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ذُو حَسَبٍ وَصِنَاعَةٍ شَرِيفَةٍ يُعْرَفُ بِهَا وَهِيَ الطِّبُّ. وَكَانَ مَاهِرًا فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ وَهُوَ بَرْزَوَيْهِ بْنُ أَزْهَرَ الْفَيْلَسُوفُ وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَطِبَّاءِ فَارِسَ. فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيِ

---

١ اخالص ٢ حلم ٣ تأنٍّ ٤ بأسرها ٥ عالمًا متقنًا

الْمَلِكَ كِسْرَى فَخَرَّ ساجِدًا وَعَفَّرَ(١) وَجْهَهُ طاعَةً لِلْمَلِكِ

فَشَرَحَ لَهُ الْأَمْرَ بِحَضْرَةٍ مِنْ وُزَرائِهِ وَخَواصِّهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. وَقالَ لَهُ أَيُّها الْحَكِيمُ الْفاضِلُ إِنِّي تَقَدَّمْتُ إِلَى وُزَراءِ دَوْلَتِي وَأَهْلِ نَصِيحَتِي أَنْ يَنْظُرُوا لِي رَجُلًا كامِلَ الْفَضْلِ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَاقْتِناءِ الْفَضائِلِ. كاتِمًا لِأَسْرارِ الْمُلُوكِ أُطْلِعُهُ عَلَى ما انْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرِي وَأُوصِلُهُ إِلَى مَكْنُونِ(٢) سِرِّي. فَيَأْخُذُ ذٰلِكَ بِقَبُولٍ وَإِقْبالٍ وَسِياسَةٍ وَإِذْعانٍ. وَيُظْهِرُ الْخِدْمَةَ وَيَمْحَضُ(٣) الْمِهْنَةَ(٤) وَيَبْذُلُ الْاجْتِهادَ فِي بُلُوغِ الْمَلِكِ مُناهُ وَأَمَلَهُ. وَيُمَيِّزُهُ عَلَى سائِرِ مُلُوكِ الدُّوَلِ لِيَصِلَ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَيُكافَأُ عَلَى ذٰلِكَ بِما يَبْقَى فِي عَقِبِهِ(٥) بِاذِلًا نَفْسَهُ فِيما لِسُلْطانِهِ * وَقَدْ ذُكِرَ عَنْكَ فَضائِلُ كَثِيرَةٌ وَحِكَمٌ شَرِيفَةٌ أَنْتَ بِفِراسَتِكَ(٦) أَهْلٌ لَها وَيَنْبُوعٌ تَصْدُرُ عَنْكَ. فَكُنْ عِنْدَ رَجاءِ الْوُزَراءِ وَالْأَصْفِياءِ فِيكَ(٧). وَأَنْزِلْ نَفْسَكَ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَخَيَّرْتَ(٨) لَها وَأَنْفِقْ مِنْ سَعَةٍ(٩) وَتَسَبَّبْ بِأَسْبابِ(١٠) مَنْ صَفا جَوْهَرُهُ وَطابَ

---

١ مرَّغ ٢ مستور ٣ يخلص ٤ بمعنى الخدمة ٥ ولده من بعده ٦ تصدق نظرك ٧ اي حقق املهم فيك ٨ اصطفيت ٩ اي توسع في انفاق المال ١٠ توسل بوسائل

عُنْصُرُهُ[١] . وَٱرْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَطَاعَةِ بَارِئِهِ بِطَاعَةِ سُلْطَانِهِ ٱلَّتِي أُمِرَ بِٱتِّبَاعِهَا وَنُهِيَ وَزُجِرَ عَنِ ٱلْخُرُوجِ عَنْهَا . فَإِنِّي قَدِ ٱخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ* وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابٍ بِٱلْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرَحِّلُكَ إِلَى أَرْضِ ٱلْهِنْدِ . فَتَلَطَّفْ فِي ذٰلِكَ بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ أَدَبِكَ وَنَاقِدِ رَأْيِكَ لِٱسْتِخْرَاجِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ وَمِنْ قِبَلِ[٢] عُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ تَامًّا كَامِلًا مَكْتُوبًا بِٱلْفَارِسِيَّةِ فَتَسْتَفِيدَهُ أَنْتَ وَتُفِيدَنَا إِيَّاهُ . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ ٱلْهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَٱحْمِلْهُ مَعَكَ . وَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ يُطْلَقَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَخْتَارُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَإِذَا نَفِدَ[٣] مَا تَسْتَصْحِبُهُ فَٱكْتُبْ إِلَيْنَا نُمِدَّكَ[٤] بِٱلْمَالِ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهِ ٱلنَّفَقَةُ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِنَا مَبْذُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلُومِ وَهٰذَا ٱلْكِتَابِ . فَطِبْ نَفْسًا وَقَرَّ[٥] عَيْنًا وَعَجِّلْ فِي ذٰلِكَ وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ ٱلْعُلُومِ وَٱعْمَلْ عَلَى مَسِيرِكَ[٦] إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى

---

١ اصله ٢ جهة ٣ فرغ ٤ نساعدك ٥ ابرد يكنى بقرّة العين عن السرور والغبطة ٦ اي على ما يتيسر لك

قَالَ بَرْزَوَيْهِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْتَ دَهْرًا طَوِيلًا سَعِيدًا وَمَلَكْتَ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ فِي خَفْضٍ[1] وَدَعَةٍ[2] مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا . إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ وَسَهْمٌ مِنْ سِهَامِكَ فَلْيَرْمِ بِي ٱلْمَلِكُ حَيْثُ شَآءَ مِنَ ٱلْأَرْضِ . مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱلْمَلِكُ أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامَهُ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ أَنْ يَعْقِدَ لِي مَجْلِسًا قَبْلَ سَفَرِي يَحْضُرُهُ ٱلْخَوَاصُّ لِيَعْلَمَ أَهْلُ ٱلطَّاعَةِ وَٱلْمَمْلَكَةِ مَا ٱسْتَخَصَّنِي بِهِ ٱلْمَلِكُ وَرَآنِي أَهْلًا لَهُ وَنَوَّهَ بِٱسْمِي[3] . فَلْيَفْعَلْ ذٰلِكَ مُنْعِمًا عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلطَّائِعِ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَرْزَوَيْهِ قَدْ رَأَيْتُكَ لِذٰلِكَ أَهْلًا وَأَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبْتَ وَأَذِنْتُ لَكَ فِيمَا سَأَلْتَ فَٱفْعَلْ مِنْ ذٰلِكَ حَسَبَ مَا تَرَاهُ مُوَافِقًا لَكَ مُنَوِّهًا بِٱسْمِكَ . ثُمَّ خَرَجَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ فَرِحًا مَسْرُورًا وَأَعَدَّ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَوْمًا أَمَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ فِيهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَخَوَاصُّ أُمَرَآءِ دَوْلَتِهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَنُصِبَ وَرَقِيَ عَلَيْهِ بَرْزَوَيْهِ ثُمَّ قَالَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ

---

١ سعة عيش ٢ سكينة ٣ رفعة

وَمَنَّ عَلَى عِبادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ. وَرَزَقَهُمْ مِنَ ٱلْعَقْلِ ما يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى إِصْلاحِ مَعايِشِهِمْ [١] فِي ٱلدُّنْيا وَيُدْرِكُونَ بِهِ ٱسْتِنْقاذَ [٢] أَرْواحِهِمْ مِنَ ٱلْعَذابِ فِي ٱلْآخِرَةِ. وَأَفْضَلُ ما رَزَقَهُمُ ٱللهُ تَعالَى وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمِ ٱلْعَقْلُ ٱلَّذِي هُوَ ٱلدِّعامَةُ لِجَمِيعِ ٱلْأَشْياءِ. وَٱلَّذِي لا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي ٱلدُّنْيا عَلَى إِصْلاحِ مَعِيشَتِهِ وَلا إِحْرازِ [٣] نَفْعٍ وَلا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِفَيْضِهِ مِنَ ٱلْخالِقِ ٱلْمُبْدِعِ ٱلْواحِدِ ٱلْأَحَدِ. وَكَذٰلِكَ طالِبُ ٱلْآخِرَةِ ٱلزَّاهِدُ ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلْمُنْجِي بِهِ نَفْسَهُ مِنْ عَمايَةِ [٤] ٱلضَّلالِ. لا يَقْدِرُ عَلَى إِتْمامِ عَمَلِهِ وَإِكْمالِهِ وَلا يَتِمُّ لَهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلسَّبَبُ ٱلْمُوصِلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَٱلْمِفْتاحُ لِكُلِّ سَعادَةٍ وَٱلْمُبَلِّغُ إِلَى دارِ ٱلْخُلُودِ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى وَلا بِغَيْرِهِ ٱكْتِفاءٌ. وَٱلْعَقْلُ غَرِيزِيٌّ [٥] مَطْبُوعٌ وَيَتَزايَدُ بِٱلتَّجارِبِ وَٱلْآدابِ. وَغَرِيزَتُهُ مَكْنُونَةٌ فِي ٱلْإِنْسانِ كامِنَةٌ فِيهِ كُمُونَ ٱلنَّارِ فِي ٱلْحَجَرِ. فَإِنَّ ٱلنَّارَ طَبِيعَتُها فِيهِ كامِنَةٌ لا تَظْهَرُ وَلا يُرَى ضَوْءُها حَتَّى يُظْهِرَها قادِحٌ مِنْ غَيْرِها. فَإِذا قَدَحَها ظَهَرَتْ طَبِيعَتُها بِضَوْئِها وَحَرِيقِها. وَكَذٰلِكَ

---

١ جمع معيشة ٢ انجاء ٣ امتلاك ٤ ضد الهداية ٥ طبيعي

اَلْعَقْلُ كَامِنٌ فِي الْإِنْسَانِ لا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهِرَهُ الْأَدَبُ وَتَعْضُدَهُ[١] التَّجَارِبُ. فَإِذَا اسْتَحْكَمَ[٢] كَانَ أَوْلَى بِالتَّجَارِبِ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُقَوِّي لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَالْمُعِينُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ رَذِيلَةٍ[٣]. فَلا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَقْلِ إِذَا مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى طُرُقِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ. وَمَنْ رُزِقَ الْعَقْلَ وَمُنَّ بِهِ عَلَيْهِ وَأُعِينَ عَلَى صِدْقِ قَرِيحَتِهِ بِالْأَدَبِ حَرَصَ عَلَى طَلَبِ سَعْدِ جَدِّهِ[٤] وَأَدْرَكَ فِي الدُّنْيَا أَمَلَهُ وَحَازَ[٥] فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَ[٦] الصَّالِحِينَ. فَالْعَقْلُ هُوَ الْمُقَوِّي لِلْمَلِكِ عَلَى مُلْكِهِ فَإِنَّ السُّوقَةَ[٧] وَالْعَوَامَّ لا يُصْلِحُونَ إِلَّا بِإِفَاضَةِ يَنْبُوعِ الْعَدْلِ الْفَائِضِ عَنِ الْعَقْلِ لِأَنَّهُ سِيَاجُ الدَّوْلَةِ

وَقَدْ رَزَقَ اللهُ مَلِكَنَا السَّعِيدَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَفْضَلَ الْحَظِّ وَأَجْزَلَهُ. وَمِنَ الْعِلْمِ أَجْمَلَهُ وَأَكْمَلَهُ. وَمِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَصْوَبَهَا. وَسَدَّدَهُ[٨] مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَى أَسَدِّهَا وَمِنَ الْبَحْثِ عَنِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ إِلَى أَنْفَعِهِ. وَبَلَّغَهُ مِنَ

---

١ تعينه ٢ تمكن ٣ ضد الفضيلة ٤ توفيقه واقباله ٥ نال ٦ اجر
٧ الرعية ٨ ارشده

فُنُونِ ٱخْتِلافِ ٱلْعِلْمِ وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ ٱلْفَلْسَفَةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَكَانَ هُوَ ٱلْقَابِلَ لِذٰلِكَ بِجُودَةِ ٱلْمَادَّةِ ٱلْقَابِلَةِ لِٱنْطِبَاعِ ٱلصُّوَرِ. فَبَلَغَ بِذٰلِكَ ٱلرُّتْبَةَ ٱلْقُصْوَى[1] فِي ٱلْفَضْلِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ . حَتَّى كَانَ فِيما طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ وَسَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ ٱلْعِلْمِ . أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابٍ بِٱلْهِنْدِ مِنْ كُتُبِ فَلاسِفَتِها وَعُلَمائِها مَخْزُونٍ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ . عَلِمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَٱلدَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ . وَمِفْتاحُ عَمَلِ ٱلْآخِرَةِ وَعِلْمِها وَمَعْرِفَةِ ٱلنَّجاةِ مِنْ أَهْوالِها . وَٱلْمُقَوِّي عَلَى جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ وَٱلْمُعِينُ عَلَى ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ فِي تَدْبِيرِهِمْ لِأُمُورِ مَمالِكِهِمْ وَآدابِ ٱلسُّوقَةِ[2] فِيما يَرْضُونَ بِهِ مُلُوكَهُمْ وَيُصْلِحُونَ بِهِ مَعايِشَهُمْ وَهُوَ كِتابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ *

فَلَمَّا تَيَقَّنَ ما بَلَغَهُ عَنْ ذٰلِكَ ٱلْكِتابِ وَكَشْفَ عَمَّا فِيهِ مِنَ ٱلْمَنافِعِ مِنْ تَقْوِيَةِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ رَآنِي أَهْلًا لِذٰلِكَ وَنَدَبَنِي إِلَى ٱسْتِخْراجِهِ وَٱللهُ ٱلْمُوَفِّقُ وَٱلسَّلامُ

فَعِنْدَ ذٰلِكَ ظَهَرَ لِلْمَلِكِ عِلْمُهُ وَنَجابَتُهُ وَشَهامَتُهُ[3] فَسَرَّ

---

١ مؤنث الاقصى بمعنى الابعد ٢ الرّعية ٣ ذكاء فؤاده

بِذٰلِكَ سُرُورًا شَدِيدًا . ثُمَّ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ بِإِحْضَارِ ٱلْمُنَجِّمِينَ وَأَنْ يَتَخَيَّرُوا لَهُ يَوْمًا سَعِيدًا وَطَالِعًا[1] صَالِحًا وَسَاعَةً مُبَارَكَةً لِيَتَوَجَّهَ فِيهَا فَٱخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا * فَسَارَ بَرْزَوَيْهِ بِطَالِعِ سَعْدٍ وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ ٱلْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَتَوَجَّهَ جَادًّا فِي طَلَبِ حَاجَتِهِ نَهَارًا وَلَيْلًا حَتَّى قَدِمَ بِلَادَ ٱلْهِنْدِ . فَجَعَلَ يَطُوفُ[2] بِبَابِ ٱلْمَلِكِ وَمَجَالِسِ ٱلسُّوقَةِ . وَيُجَالِسُ ٱلْحُكَمَاءَ وَيَسْأَلُ عَنْ خَوَاصِّ ٱلْمَلِكِ وَٱلْأَشْرَافِ مِنْ جُلَسَائِهِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ . وَجَعَلَ يَغْشَاهُمْ[3] فِي مَجَالِسِهِمْ وَيَتَلَقَّاهُمْ بِٱلتَّحِيَّةِ وَٱلسَّلَامِ . وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلْبَحْثِ عَنْهُ وَرِيَاضَتِهِ[4] بِهِ . وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فِيمَا يَطْلُبُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَسْأَلُهُمْ بَذْلَ ٱلدُّعَاءِ لَهُ بِبُلُوغِ آمَالِهِ مَعَ شِدَّةِ كِتْمَانِهِ لِمَا قَدِمَ بِسَبَبِهِ وَدَفْنِهِ لِسِرِّهِ . فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا يَتَأَدَّبُ عَلَى عُلَمَاءِ ٱلْهِنْدِ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِهِ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا . وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ يَسْتُرُ بُغْيَتَهُ[5] وَحَاجَتَهُ وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ يَبْحَثُ فِي مَطْلُوبِهِ بِحُنْكَةٍ[6] وَسِيَاسَةٍ

---

١ من اصطلاحات المنجمين والمراد وقتاً ٢ يجول ٣ يأتيهم ٤ تهذيب اخلاقه ٥ مطلوبه ٦ حسن تصرّف

وَعِفَّةٍ وَنَزَاهةٍ[١] . وَٱتَّخَذَ فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ أَصْفِيَاءَ[٢] كَثِيرِينَ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْهِنْدِ مِنَ ٱلْأَشْرَافِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ وَٱلسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ

وَكَانَ قَدِ ٱتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ رَجُلًا وَاحِدًا ٱصْطَفَاهُ لِسِرِّهِ وَٱخْتَصَّهُ لِمَشُورَتِهِ لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ وَحِكْمَتِهِ وَفَهْمِهِ وَكِتْمَانِهِ لِسِرِّ نَفْسِهِ وَلِمَا ٱسْتَبَانَ لَهُ مِنْ صِحَّةِ إِخَائِهِ[٣] . وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي ٱلْأُمُورِ وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ[٤] فِي جَمِيعِ مَا أَهَمَّهُ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ عَنْهُ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى يَبْلُوَهُ[٥] وَيَخْتَبِرَهُ وَيَنْظُرَ هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّهِ . وَلَمْ يَزَلْ يَبْحَثُ عَنْهُ وَيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى وَثِقَ بِهِ وُثُوقَ ٱلْأَكْفَاءِ[٦] بِٱلْأَكْفَاءِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ مَحَلٌّ لِكَشْفِ ٱلْأَسْرَارِ ٱلْجَلِيلَةِ ٱلْخَطِيرَةِ[٧] وَأَنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى مَا يُسْتَوْدَعُ مِنْ ذٰلِكَ غَيْرُ خَائِنٍ صَدِيقٌ صَدْقٌ[٨] .

ثُمَّ زَادَ لَهُ إِلْطَافًا[٩] وَبِهِ ٱحْتِفَاءً[١٠] وَعَلَيْهِ حُنُوًّا إِلَى أَنْ حَضَرَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي رَجَا فِيهِ بُلُوغَ أُمْنِيَّتِهِ[١١] وَٱلظَّفَرَ بِحَاجَتِهِ مَعَ طُولِ

---

١ أي طهارة ٢ مخلصين ٣ اخوّته ٤ تنبسط اليه نفسه ٥ يجرّبه
٦ الامثال والنظراء ٧ الرفيعة الشريفة ٨ صادق ٩ برًّا ١٠ مبالغة في الاكرام
١١ ما يتمناه

ٱلْغِيبَةِ وَعِظَمِ ٱلنَّفَقَةِ فِي ٱسْتِلْطَافِ ٱلْإِخْوَانِ وَمُجَالَسَتِهِمْ عَلَى ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ

وَإِنَّهُ لَمَّا وَثِقَ بِصَدِيقِهِ ٱلْهِنْدِيِّ ٱلَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَأَنِسَ بِهِ وَسَبَرَ[1] عَقْلَهُ وَٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ[2] فِي سِرِّهِ. قَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُمَا خَالِيَانِ يَا أَخِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي فَوْقَ ٱلَّذِي كَتَمْتُكَ لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذٰلِكَ. فَٱعْلَمْ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ بِلَادَكُمْ وَهُوَ غَيْرُ ٱلَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي. وَٱلْعَاقِلُ يَكْتَفِي مِنَ ٱلرَّجُلِ بِٱلْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ وَإِشَارَتِهِ فَيَعْلَمُ بِذٰلِكَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ. فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ ٱلْهِنْدِيُّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا لَهُ جِئْتَ وَإِيَّاهُ تُرِيدُ وَإِلَيْهِ قَصَدْتَ وَأَنَّكَ تَكْتُمُ مَا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ. فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ ذٰلِكَ مِنْكَ وَلَا ذَهَبَ عَنِّي مَا كَتَمْتَهُ. وَلٰكِنِّي لِرَغْبَتِي فِيكَ وَفِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِذٰلِكَ وَأُفَاجِئَكَ بِهِ لِأَنِّي قَدْ ظَهَرَ لِي مَا تَكْتُمُ وَبَانَ لِي مَا أَنْتَ لَهُ مُخْفٍ. فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذٰلِكَ وَأَفْصَحْتَ بِهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ وَمُظْهِرٌ لَكَ سَرِيرَةَ أَمْرِكَ وَمُعْلِمُكَ عَنْ سِرِّ حَاجَتِكَ ٱلَّتِي قَدِمْتَ

---

١ اي امتحن ٢ وثق به وركن اليه

بِسَبَبِهَا وَأَطَلْتَ مُقَامَكَ فِي طَلَبِهَا

وَذٰلِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا وَطِئْتَ أَرْضَنَا وَقَدِمْتَ إِلَى بِلَادِنَا لِتَسْلُبَنَا كُنُوزَنَا ٱلنَّفِيسَةَ فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتَسُرَّ بِهَا مَلِكَكَ. وَكَانَ قُدُومُكَ إِلَيْنَا بِٱلْمَكْرِ وَمُصَادَقَتُكَ لَنَا بِٱلْخَدِيعَةِ. وَلٰكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمُوَاظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَٱلتَّحَفُّظِ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ فِي ٱلْكَلَامِ مَعَ طُولِ مُكْثِكَ عِنْدَنَا عَلَى كَتْمِ أَمْرِكَ بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَأُمُورِكَ. ٱزْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ وَثِقَةً بِعَقْلِكَ وَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ. فَإِنِّي لَمْ أَرَ فِي ٱلرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْصَنُ[1] مِنْكَ عَقْلًا وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا وَلَا أَصْبَرُ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَلَا أَكْتَمُ لِسِرِّهِ. وَلَاسِيَّمَا فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ وَعِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ وَلَا شِيَمَهُمْ * وَإِنَّ عَقْلَ ٱلرَّجُلِ لَيَبِينُ فِي خِصَالٍ ثَمَانٍ. ٱلْأُولَى مِنْهَا ٱلرِّفْقُ. وَٱلثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ ٱلرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا. وَٱلثَّالِثَةُ طَاعَةُ ٱلْمُلُوكِ وَٱلتَّحَرِّي[2] لِمَا يُرْضِيهِمْ. وَٱلرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ ٱلرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ صَدِيقَهُ. وَٱلْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْمُلُوكِ أَدِيبًا

---

١ اثبت واحكم ٢ طلب الاحرى اي الأولى والافضل

مَلِقَ[1] ٱللِّسانِ • وَٱلسَّادِسةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَلِسِرِّ غَيْرِهِ حافِظًا •
وَٱلسَّابِعةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسانِهِ قادِرًا فَلا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِما يَأْمَنُ
تَبِعَتَهُ[2] وَلا يُطْلِعُ عَلَى سِرِّهِ إِلَّا ٱلثِّقاتِ • وَٱلثَّامِنةُ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ
فِي ٱلمَحافِلِ[3] بِما لا يُسْأَلُ عَنْهُ

فَمَنِ ٱجْتَمَعَتْ فِيهِ هٰذِهِ ٱلخِصالُ كانَ هُوَ ٱلدَّاعِيَ ٱلخَيْرَ إِلَى
نَفْسِهِ • وَهٰذِهِ ٱلخِصالُ كُلُّها قَدِ ٱجْتَمَعَتْ فِيكَ وَبانَتْ لِي مِنْكَ
فَٱللّٰهُ تَعالَى يَحْفَظُكَ وَيُعِينُكَ عَلَى ما قَدِمْتَ لَهُ وَيُظْفِرُكَ[4] بِحاجَتِكَ •
لِأَنَّكَ إِنَّما صادَقْتَنِي لِتَسْلُبَنِي عِلْمِي وَفَخْرِي وَإِنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسْعَفَ
بِحاجَتِكَ وَتُشْفَعَ[5] بِطَلِبَتِكَ وَتُعْطَى سُؤْلَكَ[6] • وَلٰكِنَّ حاجَتَكَ ٱلَّتِي
تَطْلُبُ قَدْ أَرْهَبَتْ نَفْسِي وَأَدْخَلَتْ عَلَيَّ ٱلفَرَقَ[7] وَٱلخَشْيَةَ * فَلَمَّا
عَرَفَ بَرْزَوَيْهِ أَنَّ ٱلهِنْدِيَّ قَدْ عَرَفَ أَنَّ مُصادَقَتَهُ إِنَّما كانَتْ
مَكْرًا وَخَدِيعَةً • وَطَلَبَ حاجَتَهُ فَلَمْ يَزْجُرْهُ وَلَمْ يَنْتَهِرْهُ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِ
رَدًّا لَيِّنًا كَرَدِّ ٱلأَخِ عَلَى أَخِيهِ بِٱلتَّعَطُّفِ وَٱلرِّفْقِ وَثِقَ بِقَضاءِ
حاجَتِهِ مِنْهُ • فَقالَ لَهُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّأْتُ كَلامًا كَثِيرًا وَشَعَّبْتُ
لَهُ شِعابًا[8] وَأَنْشَأْتُ لَهُ أُصُولًا وَطُرُقًا • فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ فِيهِ إِلَى ما بادَهْتَنِي

---

١ من الملق وهو الود واللطف ٢ عاقبته ٣ المجامع ٤ يجعلك ظافرًا
٥ تقرن ٦ مسئولك ٧ الخوف ٨ اي فصلت له طرقا

بهِ مِنِ اطّلاعكَ على أمري والَّذي قدِمتُ لهُ وألقيتهُ إليَّ مِن ذاتِ نفسِكَ ورغبتِكَ فيما ألقيتُ مِنَ القولِ . اكتفيتُ باليسيرِ مِنَ الخطابِ معكَ عمَّا كنتُ اختلفُ فيهِ . إذ عرفتَ الكثيرَ مِن أموري بالقليلِ مِنَ الكلامِ . لما قسمَ اللهُ لكَ مِنَ العقلِ والأدبِ . فكفيتني مؤونةَ الكلامِ [1] فاقتصرتُ بهِ معكَ على الإيجازِ . ورأيتُ مِن إسعافِكَ إيَّايَ بحاجتي ما دلَّني على كرمِكَ وحُسنِ وفائكَ . فإنَّ الكلامَ إذا أُلقيَ إلى الفيلسوفِ والسِّرَّ إذا استُودِعَ اللبيبَ الحافظَ فقد حُصِّنَ وبُلِغَ بهِ نهايةُ أملِ صاحبِهِ كما يُحصَّنُ الشيءُ النفيسُ في القلاعِ الحصينةِ * فقالَ لهُ الهنديُّ لا شيءَ أفضلُ مِنَ المودَّةِ . ومَن خلصتْ مودَّتُهُ كانَ أهلاً أن يخلطَهُ الرجلُ بنفسِهِ ولا يذخرَ [2] عنهُ شيئاً ولا يكتمَهُ سرّاً ولا يمنعَهُ حاجتَهُ ومرادَهُ إن قدرَ على ذلكَ . ورأسُ الأدبِ حفظُ السرِّ . فإذا كانَ السرُّ عندَ الأمينِ الكتومِ فقدِ احترزَ [3] مِنَ التضييعِ لأنَّهُ خليقٌ أن لا يتكلَّمَ بهِ . ولا يُكتمُ سرٌّ بينَ اثنينِ قد علماهُ وتفاوضا [4] فيهِ ولا يكونُ

---

١ أي أعيتني عنه ٢ يخبأ ٣ توقى ٤ تشاركا

سِرًّا لِأَنَّ ٱللِّسانَيْنِ قَدْ تَكَلَّما بِهِ . فَإِذا تَكَلَّمَ بِٱلسِّرِّ ٱثْنانِ فَلا بُدَّ مِنْ ثالِثٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْواحِدِ أَوْ مِنْ جِهَةِ ٱلْآخَرِ . فَإِذا صارَ إِلَى ٱلثَّلاثَةِ فَقَدْ شاعَ وَذاعَ[1] حَتَّى لا يَسْتَطِيعُ صاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ[2] وَيُكابِرَ[3] فِيهِ . كَٱلْغَيْمِ إِذا كانَ مُتَقَطِّعًا فِي ٱلسَّمآءِ فَقالَ قائِلٌ إِنَّ هٰذا ٱلْغَيْمَ مُتَقَطِّعٌ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ

وَأَنا فَقَدْ يُداخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَمُخالَطَتِكَ مَعَ أُنْسِي بِقُرْبِكَ سُرُورٌ لا يَعْدِلُهُ[4] شَيْءٌ . وَهٰذا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْأَسْرارِ ٱلَّتِي لا تُكْتَمُ فَلا بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ[5] وَيَظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ ٱلنَّاسُ . فَإِذا فَشا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلاكِي هَلاكًا لا أَقْدِرُ عَلَى ٱلْفِدآءِ مِنْهُ بِٱلْمالِ وَإِنْ كَثُرَ . لِأَنَّ مَلِكَنا فَظٌّ[6] غَلِيظٌ يُعاقِبُ عَلَى ٱلذَّنْبِ ٱلصَّغِيرِ أَشَدَّ ٱلْعِقابِ فَكَيْفَ مِثْلُ هٰذا ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ . وَإِذا حَمَلَتْنِي ٱلْمَوَدَّةُ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَأَسْعَفْتُكَ بِحاجَتِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقابَهُ عَنِّي شَيْءٌ * قالَ بَرْزَوَيْهِ إِنَّ ٱلْعُلَمآءَ قَدْ مَدَحَتِ ٱلصَّدِيقَ إِذا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ وَأَعانَهُ عَلَى ٱلْفَوْزِ[7] . وَهٰذا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي قَدِمْتُ لَهُ لِمِثْلِكَ ذَخَرْتُهُ[8] وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنا واثِقٌ بِكَرَمِ

---

١ انتشر ٢ ينكره ٣ ينازع ويعاند ٤ يساويه ٥ يشيع ٦ خشن
٧ الظفر بما يريد ٨ خبأته

طِباعِكَ وَوُفورِ عقلِكَ فيهِ . وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَصلَ إِلَيْكَ مِنِّي ما وَصلَ مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ فَأَنْعِمْ بِتَحَمُّلِ ذٰلِكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّكَ لاتَخْشَى مِنِّي وَلا تَخافُ أَنْ أُبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَلَدِكَ ٱلْمُطيفينَ بِكَ[1] وَبِٱلْمَلِكِ أَنْ يَسْعَوا بِكَ[2] إِلَيْهِ وَيُبَلِّغُوهُ ذٰلِكَ عَنْكَ . وَأَنا أَرْجو[3] أَنْ لا يَشيعَ شَيْءٌ مِنْ هٰذا ٱلْأَمْرِ لِأَنِّي أَنا ظاعِنٌ[4] وَأَنْتَ مُقيمٌ وَما أَقَمْتُ[5] فَلا ثالِثَ بَيْنَنا . فَتَعاهَدا عَلَى هٰذا جَميعاً

وَكانَ ٱلْهِنْدِيُّ خازِنَ ٱلْمَلِكِ وَبِيَدِهِ مَفاتيحُ خَزائِنِهِ فَأَجابَهُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْكِتابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ ٱلْكُتُبِ وَسَلَّمَها إِلَيْهِ . فَأَكَبَّ[6] عَلَى تَفْسيرِهِ وَنَقْلِهِ مِنَ ٱللِّسانِ ٱلْهِنْدِيِّ إِلَى ٱللِّسانِ ٱلْفارِسِيِّ . وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ[7] بَدَنَهُ نَهارًا وَلَيْلًا وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ وَجِلٌ[8] فَزِعٌ مِنْ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ خائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ ٱلْمَلِكُ ٱلْكِتابَ فِي وَقْتٍ وَلا يُصادِفَهُ فِي خِزانَتِهِ * فَلَمَّا فَرَغَ مِنِ ٱنْتِساخِ ٱلْكِتابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرادَ مِنْ سائِرِ ٱلْكُتُبِ كَتَبَ إِلَى أَنوشِرْوانَ يُعْلِمُهُ بِذٰلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ٱلْكِتابُ سُرَّ سُرُورًا شَديدًا ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعاجَلَةَ ٱلْمَقاديرِ أَنْ تُنَغِّصَ[9] عَلَيْهِ

---

١ المحيطين بك ٢ ينموا عليك ٣ آمل ٤ راحل ٥ اي مدة اقامتي
٦ اقبل ٧ جهد ٨ خائف ٩ تكدر

فَرَحهُ وَيَنتَقِضَ سُرُورُهُ . فَكَتَبَ إِلَى بَرزَوَيهِ يَأمُرُهُ بِتَعجِيلِ الْقُدُومِ . فَسارَ بَرزَوَيهِ متوجِّهاً نَحوَ كِسرَى

فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ ما قَدْ مَسَّهُ مِنَ ٱلشُّحُوبِ[1] وَٱلْإِعيَاءِ[2] قالَ لَهُ أَيُّها ٱلعَبْدُ ٱلنَّاصِحُ ٱلَّذِي يَأْكُلُ ثَمَرَةَ ما قَدْ غَرَسَ أَبْشِرْ وَقَرَّ عَيناً فَإِنِّي مُشَرِّفُكَ وَبالِغٌ بِكَ أَفْضَلَ دَرَجَةٍ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّامِنُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِإِحضارِ أَشْرافِ مَملَكَتِهِ وَجَمِيعِ عُلَماءِ مِصْرِهِ[3] وَشُعَرَائِهِ وَٱلْخُطَباءِ . فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا أُحْضِرَ بَرزَوَيهِ فَدَخَلَ عَلَيهِمْ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ وَجَلَسَ عَلَى مَرْتَبَةٍ أُعِدَّتْ لَهُ . ثُمَّ وَقَّعَ[4] ٱلْكَلامَ فِيما شاهَدَهُ وَرَآهُ وَشَرَحَ قِصَّتَهُ وَحالَهُ مِنْ أَوَّلِها إِلَى آخِرِها . فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ رِجالِ ٱلدَّوْلَةِ وَقُوَّادِها وَأَهْلِ عُلُومِها عَلَى طَبَقاتِهِمْ إِلَّا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَمِنْ طُولِ طَرِيقِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَعَ صَدِيقِهِ . وَما وَفَى لَهُ بِهِ بِلا عَهْدٍ[5] مِنْهُ لَهُ وَلا مُقَدِّمَةٍ[6] تَقَدَّمَتْ بَيْنَهُما مِنْ إِفْشاءِ سِرِّهِ لَهُ مَعَ ما بَيْنَهُما مِنِ ٱفْتِراقِ ٱلْأَدْيانِ وَتَبايُنِ[7] ٱلْأَشْكالِ وَمُنافَرَةِ ٱلْمَذْهَبِ . وَٱسْتَعْظَمُوا ما أَنْفَقَ عَلَى تَحْصِيلِ

---

١ تغير السحنة ٢ شدة التعب ٣ كورته وناحيته ٤ اي ألقى ٥ اي معرفة ٦ اي امر سابق ٧ تباعد

ذٰلكَ وَعظُمَ برزَوَيهِ فِي أَعيُنِ ٱلحَاضِرِينَ وَكَبُرَ قَدرُهُ عِندَ مَلِكِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلمَلِكَ صَرَفَ مَنْ حَضَرَ وَٱنصَرَفَ بَرزَوَيهِ وَعمَدَ ٱلخُطَبَآءُ[1] يَصنَعُونَ مُقَدِّماتٍ تَصلُحُ لِحُضُورِ ٱلمَجلِسِ وَتَأَهَّبُوا لِذٰلِكَ. وَعقَدَ لَهُمُ ٱلمَلِكُ مَجلِساً وَحضَرَ برزَوَيهِ وَخُطَبَآءُ ٱلدَّولَةِ وَٱلوُزَرَآءُ وَفُصَحَآءُ ٱلمَملَكَةِ وَأُحضِرَ ٱلكِتابُ وَسائِرُ[2] ٱلكُتُبِ. فَلَمَّا قُرِئَتِ ٱلكُتُبُ وَسمِعُوا ما فِيها مِنَ ٱلعُلُومِ وَٱلحِكَمِ وَسائِرِ ٱلظَّرائِفِ وَغرائِبِ ٱلآدابِ استَبشَرَ مَنْ حَضَرَ وَبلَغَ ٱلمَلِكُ أُمنِيَّتَهُ وَمَدَحُوا برزَوَيهِ وَأَثنَوا عَلَيهِ وَشكَرُوهُ عَلَى مـا نالَهُ مِنَ ٱلتَّعَبِ. فَأَمَرَ ٱلمَلِكُ عِندَ ذٰلِكَ بِٱلدُّرِّ وَٱلجَوهَرِ وَٱلذَّهَبِ وَٱلفِضَّةِ وَفُتِحَتْ خزائِنُ ٱلكُسوَةِ وَخلَعَ عَلَيهِ وَحمَلَ بَينَ يدَيهِ جمِيعَ ذٰلِكَ * ثُمَّ إِنَّ ٱلمَلِكَ أَلبَسَهُ ٱلتَّاجَ وَأَجلَسَهُ عَلَى سرِيرِهِ تَشرِيفاً لَهُ وَزِيادَةً فِي إِجلالِهِ. وَلَمَّا تَمَّ لِبرزَوَيهِ ذٰلِكَ خرَّ ساجِداً لِلمَلِكِ وَقالَ

أَكرَمَ ٱللهُ ٱلمَلِكَ بِأَفضَلِ ٱلكَراماتِ بِزِيادَتِهِ فِي دُنياهُ وَأُخراهُ وَخَلَّدَ مُلكَهُ وَثَبَّتَ وَطَأَتَهُ[3] وَشَيَّدَ[4] مَبانِيَ مَجدِهِ.

---

[1] اي قصدوا وشرعوا [2] باقي [3] اي مكن سلطنة [4] اي بنى ومتن

إِنَّ ٱللّٰهَ وَلِيَّ ٱلْحَمْدِ (١) قَدْ أَغْنَانِي عَنِ ٱلْمَالِ بِمَا بَلَغْتُ مِنَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلْعَلِيَّةِ ٱلسَّنِيَّةِ وَٱلْبُغْيَةِ وَٱلْأُمْنِيَّةِ بِمَا رَزَقَنِي مِنْ تَشْرِيفِ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ لِلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ. لٰكِنْ إِذْ كَلَّفَنِي ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّهُ فَأَنَا آخُذُ مِمَّا أَمَرَ لِي بِهِ ٱمْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ. وَقَامَ فَأَخَذَ مِنْهَا تَخْتًا (٢) مِنْ طَرَائِفِ (٣) خُرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ ٱلْمُلُوكِ * ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا مَنَحَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَقْلًا وَافِرًا وَعِلْمًا رَاجِحًا وَخُلُقًا (٤) رَحْبًا (٥) وَدِينًا صُلْبًا (٦) وَنِيَّةً سَالِمَةً مِنَ ٱلْعَاهَاتِ (٧). فَلْيَشْكُرِ ٱلصَّانِعَ ٱلْأَزَلِيَّ سَرْمَدًا (٨) عَلَى مَا وَهَبَهُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ ٱسْتِحْقَاقٍ يَسْتَحِقُّهُ وَلَا مُقَدِّمَةٍ سَبَقَتْ لَهُ. وَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلشُّكْرُ وَإِنْ كَانَ قَدِ ٱسْتَوْجَبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً. وَأَمَّا أَنَا فَمَهْمَا لَقِيتُهُ مِنْ عَنَاءٍ (٩) وَتَعَبٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ ٱلشَّرَفَ يَا أَهْلَ هٰذَا ٱلْبَيْتِ فَإِنِّي لَا أَزَالُ إِلَى هٰذَا ٱلْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ أَرَى ٱلْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا وَٱلشَّاقَّ هَيِّنًا وَٱلنَّصَبَ (١٠) وَٱلْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضًى وَعِنْدَكُمْ قُرْبَةً (١١) * وَلٰكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا

---

١ اي ربه ٢ وعاء تصان فيه الثياب ٣ نفائس ٤ سجية وطبعًا ٥ واسعًا ٦ اي متينًا ٧ الآفات والعوارض ٨ دائمًا ٩ تعب وجهد ١٠ التعب ١١ اقربًا في المنزلة

ٱلْمَلِكُ حاجةً تُسْعِفُني بها وَتُعْطِيني فِيها سُؤْلي فَإِنَّ حاجَتي يَسيرَةٌ وَفي قَضائِها فائِدةٌ كَثيرةٌ . قالَ أَنوشِرْوانُ قُلْ فَكُلُّ حاجةٍ لَكَ قِبَلَنا مَقْضِيَّةٌ فإِنَّكَ عِنْدَنا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشارَكَتَنا في مُلْكِنا لَفَعَلْنا وَلَمْ نَرْدُدْ طَلِبَتَكَ فَكَيْفَ ما سِوَى ذٰلِكَ فَقُلْ وَلا تَحْتَشِمْ[1] فَإِنَّ ٱلْأُمورَ كُلَّها مَبْذُولةٌ لَكَ . قالَ بَرْزَوَيْهِ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لا تَنْظُرْ إِلَى عَنائي في رِضاكَ وَٱنْكِماشي[2] في طاعَتِكَ فَإِنَّما أَنا عَبْدُكَ يَلْزَمُني بَذْلُ مُهْجَتي في رِضاكَ . وَلَوْ لَمْ تَجْزِني لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ عِنْدي عَظِيماً وَلا واجِباً عَلَى ٱلْمَلِكِ . وَلٰكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدَ[3] إِلَى مُجازاتي وَخَصَّني وَأَهْلَ بَيْتي بِعُلُوِّ ٱلْمَرْتَبةِ وَرَفْعِ ٱلدَّرَجةِ حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنا بَيْنَ شَرَفِ ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرةِ لَفَعَلَ فَجَزاهُ ٱللّٰهُ عَنَّا أَفْضَلَ ٱلْجَزاءِ . قالَ أَنُوشِرْوانُ ٱذْكُرْ حاجَتَكَ فَعَلَيَّ ما يَسُرُّكَ . فَقالَ بَرْزَوَيْهِ حاجَتي أَنْ يَخْرُجَ أَمْرُ ٱلْمَلِكِ أَنْفَذَهُ[4] ٱللّٰهُ تَعالَى إِلَى ٱلْحَكِيمِ ٱلْفاضِلِ ٱلرَّفيعِ ٱلْمَقامِ وَزيرِهِ بُزُرْجِمْهَرَ بْنِ ٱلْبَخْتَكانِ أَنْ يَنْظِمَ أَمْري في نُسْخَةٍ وَيُبَوِّبَ ٱلْكِتابَ[5] وَيَجْعَلَ تِلْكَ ٱلنُّسْخَةَ باباً يَذْكُرُ فيهِ

---

١ تهيب ٢ احدي ٣ قصد واتجه ٤ جعله نافذا اي مطاعا ٥ يقسمه الى ابواب

أَمْرِي وَيَصِفُ حالِي وَلا يَدَعُ مِنَ ٱلْمُبالَغةِ فِي ذٰلِكَ أَقْصَى(١) ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ. وَيأْمُرُهُ إِذا فَرَغَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ ٱلْأَبْوابِ ٱلَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بابِ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ. فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذا فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غايَةَ ٱلشَّرَفِ وَأَعْلَى ٱلْمَراتِبِ وَأَبْقَى لَنا ما لا يَزالُ ذِكْرُهُ باقِياً عَلَى ٱلْأَبَدِ حَيْثُما قُرِئَ هٰذا ٱلْكِتابُ

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوشِرْوانُ وَٱلْعُظَماءُ مَقالَتَهُ وَما سَمَتْ(٢) إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقاءِ ٱلذِّكْرِ عَجِبُوا مِنْ أَدَبِهِ وَحُسْنِ عَقْلِهِ وَكِبَرِ نَفْسِهِ وَٱسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَٱخْتِيارَهُ. فَقالَ كِسْرَى حُبًّا وَكَرامَةً يابَرْزَوَيْهِ إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحاجَتِكَ فَما أَقَلَّ ما قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنا وَإِنْ كانَ خَطَرُهُ(٣) عِنْدَكَ عَظِيماً *

ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِرْوانُ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُرْجُمْهَرَ فَقالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ مُناصَحَةَ بَرْزَوَيْهِ لَنا(٤) وَتَجَشُّمَهُ ٱلْمَخاوِفَ وَٱلْمَهالِكَ فِيما يُقَرِّبُهُ مِنَّا وَإِتْعابَهُ بَدَنَهُ فِيما يَسُرُّنا وَما أَتَى إِلَيْنا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ وَما أَفادَنا ٱللّٰهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْأَدَبِ ٱلْباقِي لَنا فَخْرُهُ وَما عَرَضْنا عَلَيْهِ مِنْ خَزائِنِنا لِنَجْزِيَهُ عَلَى ما كانَ مِنْهُ فَلَمْ تَمِلْ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ

---

١ ابعد ٢ ارتفعت ٣ شرفة ٤ معاملتة ايانا بالنصح ٥ تكلفة

مِنْ ذٰلِكَ. كَانَتْ بُغْيَتُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَآهُ هُوَ ٱلثَّوَابَ مِنَّا لَهُ وَٱلْكَرَامَةَ ٱلْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ. فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذٰلِكَ وَتُسْعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ وَٱعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي. وَلَا تَدَعْ شَيْئًا مِنَ ٱلِاجْتِهَادِ وَٱلْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَغْتَهُ وَإِنْ نَالَتْكَ(١) فِيهِ مَشَقَّةٌ. وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا(٢) لِتِلْكَ ٱلْأَبْوَابِ ٱلَّتِي فِي ٱلْكِتَابِ وَتَذْكُرَ فِيهِ فَضْلَ بَرْزَوَيْهِ وَنَسَبَهُ وَحَسَبَهُ وَصِنَاعَتَهُ وَأَدَبَهُ وَكَيْفَ كَانَ ٱبْتِدَاءُ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَتَنْسُبُهُ إِلَيْهِ. وَتَذْكُرَ فِيهِ بَعْثَتَهُ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فِي حَاجَتِنَا وَمَا أُفِدْنَا مِنَ ٱلْحِكَمِ عَلَى يَدِهِ مِنْ هُنَالِكَ وَشَرُفْنَا بِهِ وَفُضِّلْنَا عَلَى غَيْرِنَا. وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ بَعْدَ قُدُومِهِ وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ. فَقُلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّقْرِيظِ(٣) وَٱلْإِطْنَابِ(٤) فِي مَدْحِهِ وَبَالِغْ فِي ذٰلِكَ أَفْضَلَ ٱلْمُبَالَغَةِ وَٱجْتَهِدْ فِي ذٰلِكَ ٱجْتِهَادًا يَسُرُّ بَرْزَوَيْهِ وَأَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ وَإِنَّهُ لَأَهْلٌ لِذٰلِكَ مِنْ قِبَلِي وَمِنْ قِبَلِ جَمِيعِ أَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَمِنْ قِبَلِكَ أَيْضًا لِمَحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ. وَٱجْهَدْ أَنْ يَكُونَ غَرَضُ هٰذَا ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَفْضَلَ مِنْ أَغْرَاضِ

---

١ الحقتك ٢ مشابهاً ٣ المدح ٤ المبالغة

تِلْكَ ٱلْأَبْوابِ عِنْدَ ٱلْخاصِّ وَٱلْعامِّ وَأَشَدَّ مُشاكَلَةً[1] لِحالِ هٰذا ٱلْكِتابِ • فَإِنَّكَ أَسْعَدُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ بِذٰلِكَ لِإِنْفِرادِكَ بِهِ وَٱجْعَلْهُ أَوَّلَ ٱلْأَبْوابِ • فَإِذا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ بِحَيْثُ رَسَمْتُ لَكَ[2] فَأَعْلِمْنِي لِأَجْمَعَ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ وَٱجْتِهادُكَ فِي مَحَبَّتِنا فَيَكُونَ لَكَ بِذٰلِكَ فَخْرٌ

فَلَمَّا سَمِعَ بُزُرْجُمْهُرُ مَقالَةَ ٱلْمَلِكِ خَرَّ لَهُ ساجِدًا وَقالَ أَدامَ ٱللّٰهُ لَكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ ٱلْبَقاءَ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنازِلِ ٱلصَّالِحِينَ فِي ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى لَقَدْ شَرَّفْتَنِي فِي ذٰلِكَ شَرَفًا باقِيًا إِلَى ٱلْأَبَدِ • ثُمَّ خَرَجَ بُزُرْجُمْهُرُ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ دَفَعَهُ[3] أَبَواهُ إِلَى ٱلْمُؤَدِّبِ[4] وَمُضِيِّهِ إِلَى بِلادِ ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْعَقاقِيرِ[5] وَٱلْأَدْوِيَةِ • وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنُوشِرْوانُ إِلَى ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْكِتابِ • وَلَمْ يَدَعْ مِنْ فَضائِلِ بَرْزَوَيْهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلائِقِهِ وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا نَسَقَهُ[6] وَأَتَى بِهِ بِأَجْوَدِ ما يَكُونُ مِنَ ٱلشَّرْحِ • ثُمَّ أَعْلَمَ ٱلْمَلِكَ بِفَراغِهِ مِنْهُ فَجَمَعَ أَنُوشِرْوانُ أَشْرافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ

---

١ موافقة ومشابهة ٢ اي كما رسمت لك ٣ سلمه ٤ اي المعلم ٥ النباتات التي يتداوى بها ٦ نظمه

وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بُزُرْجُمْهِرَ بِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ وَبَرْزَوَيْهِ قَائِمٌ إِلَى جَانِبِ بُزُرْجُمْهِرَ وَٱبْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرْزَوَيْهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ. فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بُزُرْجُمْهِرُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعِلْمِ. ثُمَّ أَثْنَى ٱلْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ عَلَى بُزُرْجُمْهِرَ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسْوَةٍ وَحَلْيٍ[1] وَأَوَانِي فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسْوَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ ٱلْمُلُوكِ. ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ بَرْزَوَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَقَالَ أَدَامَ ٱللهُ لَكَ ٱلْمُلْكَ وَٱلسَّعَادَةَ فَقَدْ بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ ٱلشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بُزُرْجُمْهِرَ مِنْ صَنْعَةِ ٱلْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي* ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ٱلْجَمْعُ مَسْرُورِينَ مُبْتَهِجِينَ وَكَانَ يَوْمًا لَا مِثَالَ لَهُ

بَابُ

عَرْضِ ٱلْكِتَابِ

لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْمُقَفَّعِ مُعَرِّبِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ

هٰذَا كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. وَهُوَ مِمَّا وَضَعَتْهُ عُلَمَاءُ ٱلْهِنْدِ

---

١ جمع حلية وهي ما يتزين به من المعادن المصوغة

مِنَ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْأَحادِيثِ ٱلَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيها أَبْلَغَ ما وَجَدُوا مِنَ ٱلْقَوْلِ فِي ٱلنَّحْوِ(١) ٱلَّذِي أَرادُوا * وَلَمْ تَزَلِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَلِسانٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ(٢) عَنْهُمْ وَيَحْتالُونَ لِذٰلِكَ بِصُنُوفِ ٱلْحِيَلِ وَيَبْتَغُونَ إِخْراجَ ما عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعِلَلِ(٣) فِي إِظْهارِ ما لَدَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْحِكَمِ حَتَّى كانَ مِنْ تِلْكَ ٱلْعِلَلِ وَضْعُ هٰذا ٱلْكِتابِ عَلَى أَفْواهِ ٱلْبَهائِمِ وَٱلطَّيْرِ فَٱجْتَمَعَ لَهُمْ بِذٰلِكَ خِلالٌ(٤) * أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفًا(٥) فِي ٱلْقَوْلِ وَشِعابًا(٦) يَأْخُذُونَ مِنْها وُجُوهًا يَسْلُكُونَ فِيها . وَأَمَّا ٱلْكِتابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا فَٱخْتارَهُ ٱلْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ وَٱلْأَغْرارُ(٧) لِلَهْوِهِ . وَٱلْمُتَعَلِّمُ مِنَ ٱلْأَحْداثِ(٨) ناشِطٌ(٩) فِي حِفْظِ ما صارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبَطُ فِي صَدْرِهِ وَلا يَدْرِي ما هُوَ بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ . وَكانَ كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي لَمَّا ٱسْتَكْمَلَ ٱلرُّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزا لَهُ كُنُوزًا وَعَقَدا لَهُ عُقَدًا(١٠) ٱسْتَغْنَى بِها عَنِ ٱلْكَدْحِ(١١) فِيما يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ فَأَغْناهُ(١٢) ما أَشْرَفَ(١٣)

---

١ الطريق ٢ اي يؤخذ ويفهم ٣ اي الوسائل ٤ اي طرق ومذاهب
٥ مذهبًا يتصرفون اليه ٦ اي طرقًا ٧ السذّج الغفل ٨ الصغار ٩ مجتهد
١٠ اي عقارات ١١ الكد والسعي ١٢ الضمير للمتعلم ١٣ اي وصل

عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ عَنِ ٱلْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ ٱلْأَدَبِ * فَأَوَّلُ ما يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هٰذا ٱلْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلْوُجُوهَ ٱلَّتِي وُضِعَتْ لَهُ وَٱلرُّمُوزَ[1] ٱلَّتِي رُمِزَتْ فِيهِ وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَ ما نَسَبَهُ إِلَى ٱلْبَهَائِمِ وَأَضافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ[2] وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْأَوْضاعِ ٱلَّتِي جَعَلَهَا أَمْثالاً * فَإِنَّ قارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَمْ يَدْرِ ما أُرِيدَ بِتِلْكَ ٱلْمَعانِي وَلا أَيَّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْها وَلا أَيَّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّماتِ ما تَضَمَّنَهُ هٰذا ٱلْكِتابُ . وَإِنَّهُ إِنْ كانَتْ غايَتُهُ مِنْهُ ٱسْتِتْمامَ قِراءَتِهِ وَٱلْبُلُوغَ إِلَى آخِرِهِ دُونَ تَفَهُّمِ ما يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ

وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ ٱلْكُتُبِ وَقِراءَةِ ٱلْعُلُومِ مِنْ غَيْرِ إِعْمالِ ٱلرَّوِيَّةِ فِيما يَقْرَأُهُ كانَ خَلِيقاً أَنْ لا يُصِيبَهُ إِلَّا ما أَصابَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي زَعَمَتِ ٱلْعُلَماءُ أَنَّهُ ٱجْتازَ بِبَعْضِ ٱلْمَفاوِزِ[3] فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثارِ كَنْزٍ . فَجَعَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنٍ[4] وَوَرِقٍ[5] فَقالَ فِي نَفْسِهِ إِنْ أَنا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هٰذا ٱلْمالِ قَلِيلاً قَلِيلاً طالَ عَلَيَّ وَقَطَعَنِي[6] ٱلِاشْتِغالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرازِهِ[7]

---

١ الاشارات الخفية ٢ اي ناطق ٣ الفلوات لا ماء فيها ٤ نقود ذهبية
٥ نقود فضية ٦ منعني ٧ حفظه

عَنِ ٱللَّذَّةِ بِما أَصَبْتُ مِنهُ • وَلٰكِنْ سأَستأْجِرُ أَقْواماً يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي وَأَكُونُ أَنا آخِرَهُمْ وَلا يَكُونُ بَقِيَ وَرائِي شَيْءٌ يُشْغَلُ فِكْرِي بِنَقْلِهِ وَأَكُونُ قَدِ ٱستَظْهَرْتُ[1] لِنَفْسِي فِي إِراحَةِ بَدَنِي عَنِ ٱلْكَدِّ بِيَسِيرِ أُجْرَةٍ أُعْطِيها لَهُمْ • ثُمَّ جاءَ بِٱلْحَمَّالِينَ فَجَعَلَ يُحَمِّلُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ ما يُطِيقُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ هُوَ فَيَفُوزُ بِهِ[2] • حَتَّى إِذا لَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْكَنْزِ شَيْءٌ ٱنْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ ٱلْمالِ شَيْئاً لا كَثِيراً وَلا قَلِيلاً • وَإِذا كُلُّ واحِدٍ مِنَ ٱلْحَمَّالِينَ قَدْ فازَ بِما حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا ٱلْعَناءُ[3] وَٱلتَّعَبُ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ

وَكَذٰلِكَ مَنْ قَرَأَ هٰذا ٱلْكِتابَ وَلَمْ يَفْهَمْ ما فِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظاهِراً وَباطِناً لَمْ يَنْتَفِعْ بِما يَبْدُو لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ كَما لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُدِّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ وَيَسْتَخْرِجَ ما فِيهِ * وَكانَ أَيْضاً كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي طَلَبَ عِلْمَ ٱلْفَصِيحِ مِنْ كَلامِ ٱلنَّاسِ فَأَتَى صَدِيقاً لَهُ مِنَ ٱلْعُلَماءِ لَهُ عِلْمٌ بِٱلْفَصاحَةِ فَأَعْلَمَهُ حاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ ٱلْفَصِيحِ • فَرَسَمَ لَهُ صَدِيقُهُ

١ استعنت ٢ يستولي عليه ٣ المشقة

فِي صَحِيفَةٍ صَفْرَاءَ فَصِيحَ ٱلْكَلَامِ وَتَصَارِيفَهُ وَوُجُوهَهُ . فَٱنْصَرَفَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَعَلَ يُكْثِرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا فِيهَا حَتَّى ٱسْتَظْهَرَهَا[1] كُلَّهَا فَٱعْتَقَدَ أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِعِلْمِ مَا فِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ[2] فَجَرَتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا فَقَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلْجَمَاعَةِ إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ وَٱلْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ . فَقَالَ كَيْفَ أُخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ ٱلصَّحِيفَةَ ٱلصَّفْرَاءَ وَهِيَ فِي مَنْزِلِي . فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ هٰذِهِ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ[3] عَلَيْهِ وَزَادَهُ ذٰلِكَ قُرْبًا مِنَ ٱلْجَهْلِ وَبُعْدًا مِنَ ٱلْأَدَبِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْعَاقِلَ إِذَا فَهِمَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهَايَةَ عِلْمِهِ فِيهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَيَجْعَلَهُ مِثَالًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ * فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ كَانَ مَثَلُهُ كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ عَلَيْهِ[4] وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَنْزِلِهِ فَعَلِمَ بِهِ فَقَالَ وَٱللّٰهِ لَأَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ وَلَا أُذْعِرُهُ[5] وَلَا أُعْلِمُهُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِهِ . فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ فَنَغَّصْتُ[6]

---

١ حفظها غيباً ٢ مراجعتهم في الكلام ٣ الاحتجاج ٤ أي دخل عليه وأتياً عن سور بيته ٥ افزعه ٦ كدّرت

ذٰلِكَ عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَمسكَ عَنْهُ وَجعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وَطالَ تَرَدُّدُهُ فِي جَمْعِهِ ما يَجِدُهُ. فَغَلَبَ الرَّجلَ النُّعاسُ فَنامَ وَفَرَغَ اللِّصُّ مِمَّا أَرادَ وَأَمكَنَهُ الذَّهابُ وَاسْتَيقَظَ الرَّجلُ فَوَجَدَ اللِّصَّ قَدْ أَخَذَ المَتاعَ [1] وَفازَ بِهِ. فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُها وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِاللِّصِّ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ ما يَجِبُ

وَقَدْ يُقالُ إِنَّ العِلْمَ لا يَتِمُّ إِلَّا بِالعَمَلِ وَإِنَّ العِلْمَ كَالشَّجَرَةِ وَالعَمَلَ بِهِ كَالثَّمَرَةِ. وَإِنَّما صاحِبُ العِلْمِ يَقُومُ بِالعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ ما يَعْلَمُ فَلَيْسَ يُسَمَّى عالِماً. وَلَوْ أَنَّ رَجلاً. كانَ عالِماً بِطَرِيقٍ مَخُوفٍ ثُمَّ سَلَكَهُ عَلَى عِلْمٍ بِهِ سُمِّيَ جاهِلاً. وَلَعَلَّهُ إِنْ حاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَها قَدْ رَكِبَتْ أَهْواءً [2] هَجَمَتْ بِها فِيما هُوَ أَعْرَفُ بِضَرَرِها فِيهِ وَأَذاها. وَمَنْ رَكِبَ [3] هَواهُ وَرَفَضَ أَنْ يَعْمَلَ بِما جَرَّبَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ كانَ كَالمَرِيضِ العالِمِ بِرَدِيءِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ وَجَيِّدِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ ثُمَّ يَحْمِلُهُ الشَّرَهُ [4] عَلَى أَكْلِ رَدِيئِهِ وَتَرْكِ ما هُوَ أَقْرَبُ إِلَى النَّجاةِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ عِلَّتِهِ. وَأَقَلُّ النَّاسِ عُذْراً فِي

---

١ واحد الامتعة ٢ جمع هوى وهو ميل النفس ٣ اي اتبع ٤ شدة الحرص على الطعام

اجْتِنَابِ مَحْمُودِ ٱلْأَفْعَالِ وَٱرْتِكَابِ مَذْمُومِهَا مَنْ أَبْصَرَ ذٰلِكَ وَمَيَّزَهُ وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ. كَمَا أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ وَٱلْآخَرُ أَعْمَى سَاقَهُمَا ٱلْأَجَلُ[١] إِلَى حُفْرَةٍ فَوَقَعَا فِيهَا كَانَا إِذَا صَارَا فِي قَعْرِهَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ. غَيْرَ أَنَّ ٱلْبَصِيرَ أَقَلُّ عُذْرًا عِنْدَ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلضَّرِيرِ إِذْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَذَاكَ بِمَا صَارَ[٢] إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرُ عَارِفٍ *

وَعَلَى ٱلْعَالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُؤَدِّبَهَا بِعِلْمِهِ وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ ٱقْتِنَاءَهُ ٱلْعِلْمَ لِمُعَاوَنَةِ غَيْرِهِ وَنَفْعِهِ بِهِ وَحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْهُ. وَيَكُونَ كَٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي يَشْرَبُ ٱلنَّاسُ مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذٰلِكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَنْفَعَةِ. وَكَدُودَةِ ٱلْقَزِّ ٱلَّتِي تُحْكِمُ صَنْعَتَهُ وَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ. فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ بِعِظَةِ[٣] نَفْسِهِ وَيَتَعَهَّدَهَا[٤] بِرِيَاضَتِهَا ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَقْبِسَهُ[٥]. فَإِنَّ خِلَالًا[٦] يَنْبَغِي لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيَقْبِسَهَا. مِنْهَا ٱلْعِلْمُ وَٱلْمَالُ وَمِنْهَا ٱتِّخَاذُ ٱلْمَعْرُوفِ[٧]. وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ ٱمْرَءًا بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ وَيَكُونَ كَٱلْأَعْمَى ٱلَّذِي يُعَيِّرُ ٱلْأَعْمَى بِعَمَاهُ. وَيَنْبَغِي

---

١ اي انقضاء العمر ٢ انتهى ووصل ٣ وعظ ٤ يتفقدها ٥ يستفيده
٦ اي امورا ٧ اصطناعه مع الناس

لِمَنْ طَلَبَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غايَةٌ[١] وَنِهايَةٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْها وَيَقِفُ عِنْدَها وَلا يَتَمادَى[٢] فِي ٱلطَّلَبِ. فَإِنَّهُ يُقالُ مَنْ سارَ إِلَى غَيْرِ غايَةٍ فَيُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ[٣] بِهِ مَطِيَّتُهُ[٤] وَإِنَّهُ كانَ حَقِيقًا أَلَّا[٥] يُعَنِّيَ[٦] نَفْسَهُ فِي طَلَبِ ما لا حَدَّ لَهُ وَما لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَلا يَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ وَلا يَكُونَ لِدُنْياهُ مُؤْثِرًا[٧] عَلَى آخِرَتِهِ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْلَقْ قَلْبُهُ بِٱلْغاياتِ[٨] قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفارَقَتِها* وَقَدْ يُقالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُما يَجْمُلانِ[٩] بِكُلِّ أَحَدٍ. أَحَدُهُما ٱلنُّسْكُ وَٱلْآخَرُ ٱلْمالُ ٱلْحَلالُ. وَقَدْ يُقالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُما لا يَجْمُلانِ بِأَحَدٍ. ٱلْمَلِكُ أَنْ يُشارَكَ فِي مُلْكِهِ وَٱلرَّجُلُ أَنْ يُشارَكَ فِي خاصَّتِهِ[١٠]. وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعاقِلِ أَنْ يَقْنَطَ[١١] وَيَيْأَسَ[١٢] مِنْ رَحْمَةِ ٱللّٰهِ وَفَضْلِهِ فِيما لا يَنالُهُ فَرُبَّما ساقَ ٱلْقَدَرُ[١٣] لَهُ رِزْقًا هَنِيئًا وَهُوَ غافِلٌ عَنْهُ لا يَدْرِي بِهِ وَلا يَعْلَمُ وَجْهَهُ

وَمِنْ أَمْثالِ هٰذا أَنَّ رَجُلًا كانَ بِهِ فاقَةٌ وَجُوعٌ وَعُرْيٌ فَأَلْجَأَهُ[١٤] ذٰلِكَ إِلَى أَنْ سَأَلَ بَعْضَ أَقارِبِهِ وَأَصْدِقائِهِ فَلَمْ يَكُنْ

---

١ حد ٢ يلجّ ويداوم ٣ تعجز عن السير ٤ دابته ٥ ان لا ٦ يتعب
٧ مفضلاً ٨ المطالب ٩ يحسنان ١٠ ما يختص به ١١ يقطع الامل
١٢ بمعنى يقنط ١٣ قضاء الله ١٤ اضطرّه ودفعه

عِندَ أحدٍ منهم فضلٌ[١] يعودُ بهِ عليه[٢] . فبينما هو ذاتَ ليلةٍ في منزلهِ إذ بَصُرَ بسارقٍ[٣] في المنزلِ فقالَ في نفسهِ واللهِ ما في منزلي شيءٌ أخافُ عليهِ فليجهدِ السارقُ جُهدَهُ[٤] . فبينما السارقُ يجولُ إذ وقعت يدُهُ على خابيةٍ فيها حنطةٌ فقالَ السارقُ واللهِ ما أحبُّ أن يكونَ عنائي الليلةَ باطلاً ولعلّي لا أصلُ إلى موضعٍ آخرَ . ولكن سأحملُ هذهِ الحنطةَ خيرٌ من الرجوعِ بغيرِ شيءٍ . ثمّ بسطَ رداءَهُ[٥] ليصبَّ عليهِ الحنطةَ فقالَ الرجلُ يذهبُ هذا بالحنطةِ وليسَ ورائي سواها فيجتمعُ عليَّ معَ العُريِ ذهابُ ما كنتُ أقتاتُ بهِ وما تجتمعُ واللهِ هاتانِ الخَلّتانِ[٦] على أحدٍ إلّا أهلكتاهُ . ثمّ صاحَ بالسارقِ ووثبَ إليهِ بهراوةٍ[٧] كانت عندَ رأسهِ فلم يكن للسارقِ حيلةٌ إلّا الهربُ منهُ وتركَ رداءَهُ ونجا بنفسهِ وغدا الرجلُ بهِ كاسياً[٨]

وليسَ ينبغي للعاقلِ أن يركنَ الى مثلِ هذا المثلِ فيتّكلَ عليهِ ويدعَ ما يجبُ عليهِ منَ السعيِ والعملِ لصلاحِ معاشهِ . بل أن لا يألو جهداً[٩] في الطلبِ على قدرِ معرفتهِ ولا ينظرُ إلى

---

١ زيادة عن عوزه ٢ اي يعده ويوسعه به ٣ لمحة ٤ طاقة واستطاعة
٥ ثوب يلبس فوق الثياب ٦ الخلة الفقر والحاجة ٧ عصاً ضخمة ٨ مكتسياً
٩ اي لا يقصر في الجهد وهو التعب والمشقة

مَنْ تُؤاتِيهِ[1] ٱلْمَقادِيرُ وَتُساعِدُهُ عَلَى غَيْرِ ٱلْتِماسٍ مِنْهُ وَلا حَرَكَةٍ لِأَنَّ أُولٰئِكَ فِي ٱلنّاسِ قَلِيلٌ. وَإِنَّما ٱلْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ يَجْهَدُ نَفْسَهُ فِي ٱلْكَدِّ وَٱلسَّعْيِ فِيما يُصْلِحُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَنالُ بِهِ ما يُرِيدُ* وَلْيَحْرِصْ أَنْ يَكُونَ مَكْسَبُهُ مِنْ أَطْيَبِ ٱلْمَكاسِبِ وَأَفْضَلِها وَأَنْفَعِها لَهُ وَلِغَيْرِهِ مَعاً ما أَمْكَنَ. وَلا يَتَعَرَّضْ لِما يَجْلُبُ عَلَيْهِ ٱلْعَناءَ وَٱلشَّقاءَ وَما يُعْقِبُهُ ٱلْهَمَّ وَٱلْغَمَّ وَلْيَحْذَرْ أَنْ يُعاوِدَ ما أَصابَهُ مِنْهُ ٱلضَّرَرُ. وَيَنْبَغِي لَهُ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَحْذَرَ مِمّا يُصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ ٱلضَّرَرِ لِئَلّا يُصِيبَهُ مِثْلُهُ. فَيَكُونَ كَٱلْحَمامَةِ ٱلَّتِي تُفْرِخُ ٱلْفِراخَ فَتُؤْخَذُ وَتُذْبَحُ ثُمَّ لا يَمْنَعُها ذٰلِكَ مِنْ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَها وَتُقِيمَ بِمَكانِها فَتُؤْخَذُ ٱلثّانِيَةُ مِنْ فِراخِها فَتُذْبَحُ حَتّى تُؤْخَذَ هِيَ أَيْضاً فَتُذْبَحَ.

وَقَدْ يُقالُ إِنَّ ٱللهَ تَعالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً يُوقَفُ عَلَيْهِ. وَمَنْ تَجاوَزَ فِي ٱلْأَشْياءِ حَدَّها أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ ٱلتَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِها. وَٱلْمُتَجاوِزُ ٱلْحَدِّ وَٱلْمُقَصِّرُ عَنْهُ سِيّانِ[2] بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لِأَنَّ كِلَيْهِما زائِغٌ عَنْهُ فِي ٱلْحالَيْنِ جَمِيعاً* وَيُقالُ مَنْ كانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ وَدُنْياهُ فَحَياتُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ. وَمَنْ كانَ سَعْيُهُ لِدُنْياهُ خاصَّةً

---

١ توافقه ٢ مثنى سي بمعنى مثل ونظير

فحياتهُ عليهِ ومنْ كانَ سعيهُ لآخرتهِ فحياتهُ لهُ * ويقالُ في أشياءَ يجبُ على صاحبِ الدُّنيا إصلاحها وبذلُ جهدهِ فيها . منها أمرُ دينهِ . ومنها أمرُ معيشتهِ . ومنها ما بينهُ وبينَ النّاسِ . ومنها ما يكسبهُ الذِّكرَ الجميلَ بعدهُ * وقدْ قيلَ في أمورٍ منْ كنَّ فيهِ لمْ يستقمْ لهُ عملٌ . منها التَّواني (١) . ومنها تضييعُ الفرصِ . ومنها التَّصديقُ لكلِّ مخبرٍ . ومنها التَّكذيبُ لكلِّ عارفٍ * وربَّ مخبرٍ بشيءٍ عقلهُ (٢) ولا يعرفُ استقامتهُ فيصدِّقهُ . والَّذي يفعلُ ذلكَ منَ النَّاسِ ثلاثةٌ . رجلٌ يصدِّقُ بما جرَّبهُ غيرهُ وصدَّقهُ فيصدِّقهُ هوَ ويتمادى في التَّصديقِ حتَّى كأنَّما جرَّبهُ بنفسهِ . ورجلٌ يصدِّقُ بالأمورِ الَّتي جرَّبها ولكنْ عنْ غيرِ علمٍ بحقيقتها . ورجلٌ تلتبسُ عليهِ الأمورُ فيصدِّقُ بها * وينبغي للعاقلِ أنْ يكونَ لهواهُ متَّهماً (٣) ولا يقبلَ منْ كلِّ أحدٍ حديثاً ولا يتمادى في الخطاءِ إذا التبسَ عليهِ أمرهُ ولا يلجَّ في شيءٍ منهُ ولا يقدمَ عليهِ حتَّى يتبيَّنَ لهُ الصَّوابُ فيهِ وتستوضحَ (٤) لهُ الحقيقةُ . ولا يكونَ كالرَّجلِ الَّذي يزيغُ عنِ الطَّريقِ فيستمرُّ

---

١ التقصير والفتور في العمل ٢ ادركهُ بعقلهِ ٣ شاكًا في صدقهِ ٤ تتضح

على الضلال فلا يزداد في السير جهدًا إلا ازداد عن القصد بعدًا. وكالرجل الذي تقذى عينه[1] فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سببًا في ذهابها * ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويعلم أن ما كتب سوف يكون وأن من أتى صاحبه بما يكره لنفسه فقد ظلم. ويأخذ بالحزم في أموره ويحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها فلا يطلب أمرا فيه مضرة لغيره طلبًا لصلاح نفسه بفساد غيره فإن كل غادر مأخوذ

ومن فعل ذلك كان خليقًا أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه. فإنه يقال إنه كان رجل تاجر وكان له شريك. فاستأجرا حانوتًا[2] وجعلا متاعهما[3] فيه. وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر[4] في نفسه أن يسرق عدلًا[5] من أعدال رفيقه ومكر الحيلة[6] في ذلك وقال إن أنا أتيت ليلًا لم آمن أن أحمل عدلًا من أعدالي أو رزمة من رزمي ولا أعرفها فيذهب عنائي وتعبي باطلًا. فأخذ رداءه[7] وألقاه على العدل

---

١ يصيبها قذى من غبار او نحوه ٢ دكانا ٣ اي بضاعتها ٤ نوى
٥ الكيس الكبير فيه البضاعة ٦ اي اضمرها بالمكر ٧ ثوبه الذي فوق ثيابه

الَّذِي أَضْمَرَ أَخْذَهُ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ٠ وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ فَقَالَ وَٱللّٰهِ هٰذَا رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ ٠ وَمَا ٱلرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هٰهُنَا وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزَمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْتَبِقُنِي إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ ٠ ثُمَّ أَخَذَ ٱلرِّدَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَى عِدْلٍ مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ ٱلْحَانُوتَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ ٠ فَلَمَّا جَاءَ ٱللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ[1] عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَضَمِنَ لَهُ جُعْلًا[2] عَلَى حَمْلِهِ فَصَارَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَتَحَسَّسَ[3] ٱلرِّدَاءَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَتَلَمَّسَهُ[4] فَوَجَدَهُ عَلَى ٱلْعِدْلِ فَٱحْتَمَلَ ذٰلِكَ ٱلْعِدْلَ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَٱلرَّجُلُ وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ فِي حَمْلِهِ[5] حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَرَمَى نَفْسَهُ تَعَبًا ٠ فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱفْتَقَدَهُ فَإِذَا هُوَ بَعْضُ أَعْدَالِهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ ٱلنَّدَامَةِ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ نَحْوَ ٱلْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ ٱلْحَانُوتَ وَفَقَدَ ٱلْعِدْلَ فَٱغْتَمَّ لِذٰلِكَ غَمًّا شَدِيدًا وَقَالَ وَاسَوْءَتَاهْ[6] مِنْ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ ٱئْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي[7] فِيهِ مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ ٠ وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهَمَتِهِ إِيَّايَ وَلٰكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي[8] عَلَى غَرَامَتِهِ[9] ٠ فَلَمَّا

---

١ وافقه ٢ اجرة ٣ تطلبه بالحس ٤ تطلبه باللمس ٥ يحمله هذا مرة وهذا مرة ٦ السوءة الامر القبيح يريد واخجلتاه ٧ اي استخلفني ٨ اي صممت ٩ اي تعويضه عليه

أَتَاهُ صَاحِبُهُ وَجَدَهُ مُغْتَمًّا فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ إِنِّي قَدِ ٱفْتَقَدْتُ ٱلْأَعْدَالَ وَفَقَدْتُ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِكَ وَلَا أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ وَإِنِّي لَا أَشُكُّ فِي تُهْمَتِكَ إِيَّايَ وَإِنِّي قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ فَإِنَّ ٱلْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَهُ ٱلْإِنْسَانُ وَٱلْمَكْرُ وَٱلْخَدِيعَةُ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا وَمَا عَادَ وَبَالُ[1] ٱلْبَغْيِ[2] إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَٱحْتَالَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ ٱللِّصِّ وَٱلتَّاجِرِ فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَابِيَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَٱلْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا . فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ ٱللُّصُوصِ زَمَانًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ ٱلْأَيَّامِ تَشَاغَلَ ٱلتَّاجِرُ عَنِ ٱلْمَنْزِلِ فَتَغَفَّلَهُ[3] ٱللِّصُّ وَدَخَلَ ٱلْمَنْزِلَ وَكَمَنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا هَمَّ بِأَخْذِ ٱلْخَابِيَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلدَّنَانِيرُ أَخَذَ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْحِنْطَةُ وَظَنَّهَا ٱلَّتِي فِيهَا ٱلذَّهَبُ . وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَهَا

---

١ اي سوء العاقبة ٢ الظلم ٣ ترقب غفلته

وَعَلِمَ ما فيها نَدِمَ

قالَ لَهُ ٱلْخائِنُ ما أَبْعَدْتَ ٱلْمَثَلَ وَلا تجاوزْتَ ٱلْقِياسَ وَقَدِ ٱعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطاءِي عَلَيْكَ وَعَزِيزٌ[١] عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هٰذا كَهٰذا غَيْرَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِٱلْفَحْشاءِ[٢] . فَقَبِلَ ٱلرَّجُلُ مَعْذِرَتَهُ وَأَضْرَبَ[٣] عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ ٱلثِّقَةِ بِهِ وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ ما عايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ[٤]

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كِتابِنا هٰذا أَنْ لا تَكُونَ غايَتُهُ ٱلتَّصَفُّحَ لِتَزاوِيقِهِ[٥] بَلْ يُشْرِفَ عَلَى ما يَتَضَمَّنُ مِنَ ٱلْأَمْثالِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ[٦] إِلَى آخِرِهِ وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ وَيُعْمِلَ فِيها رَوِيَّتَهُ وَيَكُونَ مِثْلَ ثالِثِ ٱلْإِخْوَةِ ٱلثَّلاثَةِ ٱلَّذِينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمُ ٱلْمالَ ٱلْكَثِيرَ فَتَنازَعُوهُ[٧] بَيْنَهُمْ . فَأَمَّا ٱلْإِثْنانِ ٱلْكَبِيرانِ فَإِنَّهُما أَسْرَعا فِي إِتْلافِهِ وَإِنْفاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ . وَأَمَّا ٱلصَّغِيرُ فَإِنَّهُ عِنْدَما نَظَرَ ما صارَ إِلَيْهِ أَخَواهُ مِنْ إِسْرافِهِما[٨] وَتَخَلِّيهِما[٩] مِنَ ٱلْمالِ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُشاوِرُها وَقالَ يا نَفْسِ إِنَّما ٱلْمالُ يَطْلُبُهُ

---

١ اي صعب ٢ القبيح من الذنوب ٣ اعرض ٤ ما قدم منهٔ ٥ اي النظر فيها وذلك لانهٔ كان في اصلهِ مشتملاً على صور اشخاص الحوادث التي فيهِ ٦ يتممهٔ ٧ اي تقاسموهُ ٨ تبذيرها ٩ تفرغها

صاحبهُ ويجمعهُ من كلّ وجهٍ لبقاء حالهِ وصلاحِ معاشهِ ودنياه وشرفِ منزلتهِ في أعينِ الناسِ واستغنائهِ عمّا في أيديهم وصرفهِ في وجههِ من صلةِ الرحمِ[١] والإنفاقِ على الولدِ والإفضالِ على الإخوانِ. فمن كان لهُ مالٌ ولا ينفقهُ في حقوقهِ كان كالذي يعدُّ فقيرًا وإن كان موسرًا[٢]. وإن هو أحسنَ إمساكهُ[٣] والقيامَ عليهِ[٤] لم يعدمِ الأمرينِ جميعاً من دنيا تبقى عليهِ وحمدٍ يضافُ إليهِ. ومتى قصدَ إنفاقهُ على غيرِ الوجوهِ التي حدّت[٥] لم يلبثْ[٦] أن يتلفهُ ويبقى على حسرةٍ وندامةٍ. ولكنِ الرأيُ أن أمسكَ هذا المالَ فإنّي أرجو أن ينفعني اللهُ بهِ ويغنيَ إخوتي على يديَّ فإنما هو مالُ أبي ومالُ أبيهما. وإنّ أولى الإنفاقِ على صلةِ الرحمِ وإن بعدتْ فكيفَ بإخوتي. فأنفذَ فأحضرَهما وشاطرَهما مالهُ[٧].

وكذلكَ يجبُ على قارئِ هذا الكتابِ أن يديمَ النظرَ فيهِ من غيرِ ضجرٍ ويلتمسَ جواهرَ معانيهِ ولا يظنَّ أنّ نتيجتهُ إنما هيَ الإخبارُ عن حيلةِ بهيمتينِ أو محاورةِ سبعٍ لثورٍ فينصرفَ

١ القرابة ٢ عدّ ٣ صيطة ٤ ابه تدبره ٥ اي رسمت وعرضت
٦ يبطئ ٧ اعطاها شطره اي نصفه

بِذٰلِكَ عَنِ ٱلْغَرَضِ ٱلْمَقْصُودِ وَيَكُونَ مَثَلُهُ مَثَلَ الصَّيَّادِ ٱلَّذِي كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْخُلُجِ[١] يَصِيدُ فِيهِ ٱلسَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ. فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي عَقِيقِ[٢] ٱلْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلَأْلَأُ حُسْنًا فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ. وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ فَٱشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ[٣] نَفْسَهُ فِي ٱلْمَاءِ لِيَأْخُذَ ٱلصَّدَفَةَ. فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ. فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي تَنَحَّى[٤] عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً[٥] فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا. وَٱجْتَازَ[٦] بِهَا بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا.

وَكَذٰلِكَ ٱلْجُهَّالُ عَلَى إِغْفَالِ أَمْرِ ٱلتَّفَكُّرِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَٱلِاغْتِرَارِ بِهِ وَتَرْكِ ٱلْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ وَٱلْأَخْذِ بِظَاهِرِهِ[٧] دُونَ ٱلْأَخْذِ بِبَاطِنِهِ. وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى ٱلنَّظَرِ فِي أَبْوَابِ ٱلْهَزْلِ مِنْهُ فَهُوَ كَرَجُلٍ أَصَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً[٨] وَحَبًّا صَحِيحًا فَزَرَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا

١ جمع خليج ٢ مسيل ٣ رمى ٤ اعتزل ٥ اي كريمة
٦ مرّ ٧ اي الاعتماد عليه ٨ لا رمل فيها

بِجَمْعِ ما فيها مِنَ ٱلزَّهرِ وَقَطْعِ ٱلشَّوْكِ فَأَهْلَكَ بِتَشاغُلِهِ ما كانَ أَحسنَ فائِدَةً وَأَجْمَلَ عائِدَةً[1] * وَيَنْبَغي لِلنّاظِرِ في هٰذا ٱلْكِتابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْراضٍ . أَحَدُها ما قُصِدَ فيهِ إِلَى وَضعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ ٱلْبَهائِمِ غَيْرِ ٱلنّاطِقَةِ مِنْ مُسارَعَةِ أَهْلِ ٱلْهَزْلِ مِنَ ٱلشُّبّانِ إِلَى قِراءَتِهِ فَتُسْتَمالُ بِهِ قُلُوبُهُمْ لِأَنَّ هٰذا هُوَ ٱلْغَرَضُ بِٱلنَّوادِرِ مِنْ حِيَلِ ٱلْحَيَواناتِ . وَٱلثّاني إِظْهارُ خَيالاتِ ٱلْحَيَواناتِ بِصُنُوفِ ٱلْأَصْباغِ وَٱلْأَلْوانِ لِيَكُونَ أُنْسًا لِقُلُوبِ ٱلْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنُّزْهَةِ في تِلْكَ ٱلصُّوَرِ .[2] وَٱلثّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ فَيَتَّخِذَهُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلسُّوقَةُ[3] فَيَكْثُرَ بِذٰلِكَ ٱنْتِساخُهُ وَلا يَبْطُلَ فَيَخْلُقَ عَلى مُرُورِ ٱلْأَيّامِ . وَلِيَنْتَفِعَ بِذٰلِكَ ٱلْمُصَوِّرُ وَٱلنّاسِخُ أَبَدًا . وَٱلْغَرَضُ ٱلرّابِعُ وَهُوَ ٱلْأَقْصى مَخْصُوصٌ بِٱلْفَيْلَسُوفِ خاصَّةً

قالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْمُقَفَّعِ لَمّا رَأَيْتُ أَهْلَ فارِسَ قَدْ فَسَّرُوا هٰذا ٱلْكِتابَ مِنَ ٱلْهِنْدِيَّةِ إِلَى ٱلْفارِسِيَّةِ وَأَلْحَقُوا بِهِ بابًا وَهُوَ بابُ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبيبِ وَلَمْ يَذْكُرُوا فيهِ ما ذَكَرْنا

---

١ منفعة ٢ لانهٔ كان ذا صوَرٍ كما مرّ ٣ الرعية وقد مرّ

فِي هٰذا ٱلْبابِ لِمَنْ أَرادَ قِراءَتَهُ وَٱقْتِباسَ عُلُومِهِ وَفَوائِدِهِ وَضَعْنا لَهُ هٰذا ٱلْبابَ فَتأَمَّلْ ذٰلِكَ تُرْشَدْ إِنْ شاءَ ٱللّٰهُ تَعالَى

بابُ

بَرْزَوَيْهِ

لِبُزُرْجُمْهَرَ بْنِ ٱلْبُخْتَكانِ

قالَ بَرْزَوَيْهِ بْنُ أَزْهَرَ رَأْسُ أَطِبّاءِ فارِسَ وَهُوَ ٱلَّذِي تَوَلَّى ٱنْتِساخَ هٰذا ٱلْكِتابِ وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ ٱلْهِنْدِ وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ* إِنَّ أَبِي كانَ مِنَ ٱلْمُقاتِلَةِ(١) وَكانَتْ أُمِّي مِنْ عُظَماءِ بُيُوتِ ٱلزَّمازِمَةِ(٢) وَكانَ مَنْشَإِي فِي نَعْمَةٍ(٣) كامِلَةٍ وَكُنْتُ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبَوَيَّ عَلَيْهِما وَكانا بِي أَشَدَّ ٱحْتِفاظاً مِنْ دُونِ إِخْوَتِي. حَتَّى إِذا بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَسْلَمانِي إِلَى ٱلْمُؤَدِّبِ. فَلَمَّا حَذَقْتُ ٱلْكِتابَةَ(٤) شَكَرْتُ أَبَوَيَّ وَنَظَرْتُ فِي ٱلْعِلْمِ فَكانَ أَوَّلُ ما ٱبْتَدَأْتُ بِهِ وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ عِلْمَ ٱلطِّبِّ لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ. فَأَقَمْتُ فِي تَعَلُّمِهِ سَبْعَ سِنِينَ وَكُلَّما ٱزْدَدْتُ مِنْهُ عِلْماً ٱزْدَدْتُ عَلَيْهِ حِرْصاً وَلَهُ ٱتِّباعاً حَتَّى أَحَطْتُ

١ اي المقاتلين ٢ طائفة معروفة عندهم ٣ تنعم ٤ تعلمتها ومهرت فيها

منهُ بعلمٍ وافرٍ وقدرتُ على غوامضهِ. فلمَّا همَّتْ نفسي بمداواةِ المرضى وعزمتْ على ذلك آمرتُها⁽¹⁾ ثمَّ خيَّرتُها بين الأمورِ الأربعةِ التي يطلبُها النَّاسُ وفيها يرغبونَ ولها يسعونَ. فقلتُ أيَّ هذهِ الخلالِ أبتغي في علمي وأيُّها أحرى⁽²⁾ بي فأُدرِكَ منهُ حاجتي. المالُ أمِ الذِّكرُ أمِ اللَّذَّاتُ أمِ الآخرةُ. وكنتُ وجدتُ في كتبِ الطِّبِّ أنَّ أفضلَ الأطبَّاءِ منْ واظبَ على طبِّهِ لا يبتغي إلَّا أجرَ الآخرةِ. فرأيتُ أنْ أطلبَ الاشتغالَ بالطِّبِّ ابتغاءَ الآخرةِ ورجاءَ أجرِ المنقلَبِ⁽³⁾ لا أبتغي مكافأةَ الدُّنيا ولا تعجيلَها. لئلَّا أكونَ كالتَّاجرِ الَّذي باعَ ياقوتةً ثمينةً كانَ يصيبُ بثمنِها غنى الدَّهرِ بخرزةٍ لا تساوي شيئًا. معَ أنِّي قدْ وجدتُ في كتبِ الأوَّلينَ أنَّ الَّذي يبتغي بطبِّهِ أجرَ الآخرةِ لا ينقصهُ ذلكَ حظَّهُ منَ الدُّنيا وأنَّ مثلَهُ مثلُ الزَّارعِ الَّذي يبذرُ حبَّهُ في الأرضِ ويعمرُها⁽⁴⁾ ابتغاءَ الزَّرعِ لا ابتغاءَ العشبِ ثمَّ هيَ لا محالةَ⁽⁵⁾ نابتٌ فيها ألوانُ⁽⁶⁾ العشبِ معَ ناضرِ⁽⁷⁾ الزَّرعِ. فأقبلتُ على

---

١ شاورتها ٢ اولى ٣ اي العاقبة ٤ اي يصلحها ٥ لا بد ٦ انواع
٧ اي خصيب

مُداواةِ ٱلْمَرضَى ٱبْتِغاءَ أَجرِ ٱلْآخرةِ فلَمْ أَدعْ مَرِيضاً أَرجُو لَهُ ٱلْبُرْءَ وَآخرَ لا أَرجُو لَهُ ذٰلِكَ إِلَّا أَنِّي أَطمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنْهُ بَعْضُ ٱلْمَرَضِ إِلَّا بالَغْتُ فِي مُداواتِهِ جُهْدي. وَمَنْ قَدَرْتُ عَلَى ٱلْقِيامِ عَلَيْهِ[1] قُمتُ عَلَيهِ بِنفسِي وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْقِيامِ عَلَيْهِ وَصفتُ لَهُ ما يَصلُحُ وَأَعطَيْتُهُ مِنَ ٱلدَّواءِ ما يَتعالَجُ بِهِ وَأَمَرْتُهُ بِٱلَّذي يَنْبَغِي. وَلَمْ أُرِدْ مِمَّنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذٰلِكَ جزاءً وَلا مُكافَأَةً. وَلَمْ أَغْبِطْ أَحَدًا[2] مِنْ نُظَرَائِي[3] الَّذينَ هُمْ مِثْلِي فِي ٱلْعِلْمِ وَلا مَنْ هُمْ فَوْقي فِي ٱلْجاهِ وَٱلْمالِ وَغَيْرِهِما مِمَّا لا يَعُودُ بِصَلاحٍ وَلا حُسْنِ سِيرَةٍ قَوْلاً وَلا عَمَلاً

وَلَمَّا كانَتْ نَفْسِي تَتُوقُ[4] إِلَى ذٰلِك وَتُنازِعُنِي[5] فِي أَنْ تَنالَ مِثْلَ مَنالِهِمْ كُنْتُ آبِي[6] لَها إِلَّا ٱلْخُصومةَ[7] وَأَقولُ لَها يا نَفْسِ أَما تَعرِفِينَ نَفْعَكِ مِنْ ضَرِّكِ أَلا تَنْتَهِينَ عَنْ طَلَبِ ما لا يَنالُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَلَّ ٱنْتِفاعُهُ بِهِ وَكَثُرَ عَناؤُهُ فِيهِ وَٱشْتَدَّتِ ٱلْمؤُونَةُ[8] عَلَيْهِ وَعَظُمَتِ ٱلْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِراقِهِ * يا نَفْسِ أَما تَذْكُرِينَ ما بَعْدَ هٰذِهِ ٱلدَّارِ فَيُنْسِيكِ ما تَشْرَهِينَ إِلَيْهِ[9] مِنْها.

١ ملازمته والقيام بشأنه ٢ اتمنى مثل حاله ٣ امثالي ٤ تشتاق ٥ تجاذبني
٦ لا اريد ٧ المخاصمة ٨ الثقل والشدة ٩ اي تحرصين عليه حرصاً شديداً

أَلا تَسْتَحْيِينَ مِنْ مُشارَكَةِ ٱلْفُجَّارِ فِي حُبِّ هٰذِهِ ٱلْعاجِلَةِ ٱلْفانِيَةِ ٱلَّتِي مَنْ كانَ فِي يَدِهِ مِنْها شَيْءٌ فَلَيْسَ لَهُ وَلَيْسَ بِباقٍ عَلَيْهِ فَلا يَأْلَفُها إِلَّا ٱلْمَغْرُورُونَ ٱلْجاهِلُونَ * يا نَفْسِ ٱنْظُرِي فِي أَمْرِكِ وَٱنْصَرِفِي عَنْ هٰذا ٱلسَّفَهِ[١] وَأَقْبِلِي بِقُوَّتِكِ وَسَعْيِكِ عَلَى تَقْدِيمِ ٱلْخَيْرِ وَإِيَّاكِ وَٱلتَّسْوِيفَ[٢]. وَٱذْكُرِي أَنَّ هٰذا ٱلْجَسَدَ مَوْجُودٌ لِآفاتٍ[٣] وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخْلاطًا فاسِدَةً قَذِرَةً مُتَعادِيَةً[٤] مُتَغالِبَةً تَعْقِدُها ٱلْحَياةُ وَٱلْحَياةُ إِلَى نَفادٍ كَٱلصَّنَمِ ٱلْمُفَصَّلَةِ أَعْضاؤُهُ إِذا رُكِّبَتْ وَوُضِعَتْ جَمَعَها فِي مَواضِعِها مِسْمارٌ واحِدٌ يُمْسِكُ بَعْضَهـا عَلَى بَعْضٍ فَإِذا أُخِذَ ذٰلِكَ ٱلْمِسْمارُ تَساقَطَتْ تِلْكَ ٱلْأَوْصالُ[٥] * يا نَفْسِ لا تَغْتَرِّي بِصُحْبَةِ أَحِبّائِكِ وَخُلّانِكِ وَلا تَحْرِصِي عَلَى ذٰلِكَ كُلَّ ٱلْحِرْصِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ عَلَى ما فِيها مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلسُّرُورِ كَثِيرَةُ ٱلْمَؤُونَةِ وَٱلْأَذَى وَعاقِبَةُ ذٰلِكَ ٱلْفِراقُ. وَمَثَلُها مَثَلُ ٱلْمِغْرَفَةِ ٱلَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي جِدَّتِها لِسُخُونَةِ ٱلْمَرَقِ وَلَذْعِهِ فَإِذا قَدُمَتْ صارَتْ وَقُودًا فِي ٱلنّارِ * يا نَفْسِ لا يَحْمِلَنَّكِ أَهْلُكِ وَأَقارِبُكِ عَلَى جَمْعِ ما تَهْلِكِينَ فِيهِ إِرادَةَ

١ الخفة والطيش ٢ المطل ٣ اعراض مفسدة ٤ بينها عداوة
٥ الاعضاء

صِلَتِهِمْ (١) فَإِذا أَنْتِ كَالدُّخْنَةِ (٢) الأَرِجَةِ (٣) الَّتِي تَحْتَرِقُ وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِها * يا نَفْسِ لا تَرْكَنِي إِلَى هٰذِهِ الدَّارِ الفانِيَةِ وَلا تَغْتَرِّي بِها طَمَعاً فِي الْبَقاءِ وَالْمَنْزِلَةِ الَّتِي يَنْظُرُ إِلَيْها أَهْلُها. فَكَأَيِّ (٤) مِنْ لا يُبْصِرُ صِغَرَ ما يَسْتَعْظِمُ وَحَقارَتَهُ حَتَّى يُفارِقَهُ كَشَعَرِ الرَّأْسِ الَّذِي يَخْدُمُهُ صاحِبُهُ وَيُكْرِمُهُ ما دامَ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذا فارَقَ رَأْسَهُ اسْتَقْذَرَهُ (٥) وَرَفَضَهُ * يا نَفْسِ لا تَمَلِّي مِنْ عِيادَةِ (٦) الْمَرْضَى وَمُداواتِهِمْ وَاعْتَبِرِي كَيْفَ يَجْهَدُ الرَّجُلُ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْ مَضِيمٍ وَاحِدٍ (٧) كُرْبَةً (٨) واحِدَةً وَيَسْتَنْقِذَهُ مِنْها رَجاءَ الأَجْرِ. فَكَيْفَ بِالطَّبِيبِ الَّذِي يَفْعَلُ كَثِيراً مِنْ ذٰلِكَ مَعَ كَثِيرِينَ. إِنَّ هٰذا لَخَلِيقٌ أَنْ يَعْظُمَ رَجاؤُهُ وَيُوثَقَ مِنْهُ بِحُسْنِ الثَّوابِ * يا نَفْسِ لا يُبْعِدْ عَلَيْكِ أَمْرُ الآخِرَةِ فَتَمِيلِي إِلَى العاجِلَةِ فِي اسْتِعْجالِ (٩) الْقَلِيلِ وَبَيْعِ الْكَثِيرِ بِالْيَسِيرِ. كَالتَّاجِرِ الَّذِي كانَ لَهُ مِلْءُ بَيْتٍ مِنَ الصَّنْدَلِ (١٠) فَقالَ إِنْ بِعْتُهُ وَزْناً طالَ عَلَيَّ فَباعَهُ جُزافاً (١١) بِأَبْخَسِ (١٢) الثَّمَنِ * وَقَد

---

١ اي الاحسان اليهم ٢ نوع من الطيب ٣ ذات الارج وهو طيب الرائحة
٤ فكم ٥ وجدهُ قذراً ٦ زيارة ٧ ذي ضيم اي ظلم وجهد ٨ شدة
٩ طلب العجلة ١٠ حب طيب الرائحة ١١ بلا وزن ١٢ انقص

وَجَدْتُ آرَاءَ ٱلنَّاسِ مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَهُمْ[١] مُتَبَايِنَةً[٢] وَكُلٌّ عَلَى كُلٍّ عَادٍ[٣] وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتَابٌ[٤] وَفِيهِ وَاقِعٌ[٥]

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلًا وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَّقْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِحَالِهِ كُنْتُ فِي ذٰلِكَ كَٱلْمُصَدِّقِ ٱلْمَخْدُوعِ ٱلَّذِي زَعَمُوا فِيهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَٱسْتَيْقَظَ ٱلرَّجُلُ مِنْ وَطْئِهِمْ[٦] فَأَيْقَظَ ٱمْرَأَتَهُ فَأَعْلَمَهَا بِذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا رُوَيْدًا[٧] إِنِّي لَأَحْسَبُ ٱللُّصُوصَ عَلَوْا عَلَى ٱلْبَيْتِ. فَأَيْقِظِينِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ ٱللُّصُوصُ وَقُولِي أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هٰذِهِ ٱلْكَثِيرَةِ وَكُنُوزِكَ ٱلْعَظِيمَةِ مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهَا. فَإِذَا ٱمْتَنَعْتُ عَلَيْكِ فَأَلِحِّي عَلَيَّ فِي ٱلسُّؤَالِ وَٱسْتَحْلِفِينِي حَتَّى أَقُولَ لَكِ. فَفَعَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ذٰلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا وَأَنْصَتَتِ[٨] ٱللُّصُوصُ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا. فَقَالَ لَهَا ٱلرَّجُلُ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ قَدْ سَاقَكِ ٱلْقَدَرُ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَلَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمَنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ

١ اميال نفوسهم ٢ متباعدة ٣ ساطٍ وهاجم ٤ قادح في عرضه وهو غائب ٥ سابٌّ له ٦ دوسهم ٧ مهلاً ٨ اصغت

فَيَكُونَ فِي ذٰلِكَ ما أَكْرَهُ وَتَكْرَهِينَ. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَخْبِرْنِي أَيُّها ٱلرَّجُلُ فَلَعَمْرِي[1] ما بِقُرْبِنا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلامَنا. فقالَ لَها فَإِنِّي مُخْبِرُكِ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ هٰذِهِ ٱلْأَمْوالَ إِلَّا مِنَ ٱلسَّرِقَةِ. قالَتْ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ وَما كُنْتَ تَصْنَعُ وَأَنْتَ عِنْدَ ٱلنّاسِ مِنَ ٱلْبَرَرَةِ[2] ٱلصُّلَّاحِ. قالَ ذٰلِكَ لِعِلْمٍ أَصَبْتُهُ فِي ٱلسَّرِقَةِ وَكانَ ٱلْأَمْرُ عَلَيَّ يَسِيرًا وَأَنا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهِمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتابَ بِي. قالَتْ فَاذْكُرْ لِي ذٰلِكَ. قالَ كُنْتُ أَذْهَبُ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُقْمِرَةِ أَنا وَأَصْحابِي حَتَّى أَعْلُوَ دارَ بَعْضِ ٱلْأَغْنِياءِ مِثْلِنا فَأَنْتَهِي[3] إِلَى ٱلْكُوَّةِ[4] ٱلَّتِي يَدْخُلُ مِنْها ٱلضَّوْءُ. فَأَرْقِي[5] بِهٰذِهِ ٱلرُّقْيَةِ وَهِيَ شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرّاتٍ وَأَعْتَنِقُ ٱلضَّوْءَ فَلا يُحِسُّ بِوُقُوعِي أَحَدٌ وَلا يَبْقَى فِي ٱلْبَيْتِ شَيْءٌ إِلَّا أَتانِي قاصِدًا مُطِيعًا فَلا أَدَعُ مالًا وَلا مَتاعًا إِلَّا أَخَذْتُهُ. ثُمَّ أُعِيدُ ٱلْعَزِيمَةَ[6] أَيْضًا وَأَعْتَنِقُ ٱلضَّوْءَ فَيَجْذِبُنِي فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحابِي فَنَمْضِي سالِمِينَ آمِنِينَ* وَلَيْسَ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ جُرْأَةٌ[7] فَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ إِلَى حِبالِ ٱلضَّوْءِ وَيَتَعَلَّقَ بِها وَيَنْزِلَ

---

١ قسماً بعمري ٢ جمع بارّ ٣ اصل ٤ النافذة ٥ من اعمال السحرة
٦ الرقية ٧ شجاعة واقدام

عَلَيْها . فَاكتُمِي ذٰلِكَ وَإِيَّاكِ أَنْ تعلِمِيهِ لِأَحَدٍ * فَلَمَّا سَمِعَ اللُّصُوصُ ذٰلِكَ قالُوا قَدْ ظَفِرْنا اللَّيْلَةَ بِما نُرِيدُ مِنَ الْمالِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطالُوا الْمُكْثَ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ صاحِبَ الدَّارِ وَزوجَتَهُ قَدْ هَجَما(١) وَكانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً وَلِلْبَيْتِ كُوَّةٌ نافِذٌ مِنْها الضَّوْءُ . فَقامَ قائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ الضَّوْءِ وَقالَ شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ اعْتَنَقَ الضَّوْءَ لِيَنْزِلَ إِلى أَرْضِ الْمَنْزِلِ فَوَقَعَ عَلى أُمِّ رَأْسِهِ(٢) مُنَكَّساً(٣) فَوَثَبَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِهِراوَتِهِ(٤) وَقالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ قالَ أَنا الْمُصَدِّقُ الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرُّ بِما لا يَكُونُ أَبَدًا وَهٰذِهِ ثَمَرَةُ رُقْيَتِكَ وَعاقِبَةُ مَنْ يُصَدِّقُ كُلَّ ما يَسْمَعُ

فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ مِنْ تَصْدِيقِ ما لا يَكُونُ وَلَمْ آمَنْ إِنْ صَدَّقْتُهُ أَنْ يُوقِعَنِي فِي تَهْلُكَةٍ عُدْتُ إِلَى الْبَحْثِ عَنِ الْأَدْيانِ وَالْتِماسِ الْعَدْلِ(٥) مِنْها . فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ كَلَّمْتُهُ جَوابًا فِيما سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيها وَلَمْ أَرَ فِيما كَلَّمُونِي بِهِ شَيْئًا يَحِقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلا أَنْ أَتَّبِعَهُ . فَقُلْتُ لَمَّا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً آخُذُ مِنْهُ فَالرَّأْيُ أَنْ أَلْزَمَ دِينَ آبائِي وَأَجْدادِي الَّذِي

١ ناما ٢ دماغه ٣ منقلبًا ٤ عصاه الضخمة ٥ العادل

وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ وَهَمَمْتُ بِذٰلِكَ . ثُمَّ ٱلْتَمَسْتُ لِنَفْسِي مَخْرَجًا فَقُلْتُ إِنْ كَانَ مَنْ يَفْعَلُ هٰذَا مَعْذُورًا فَإِنَّ ٱلَّذِي يَجِدُ أَبَاهُ سَاحِرًا وَيَجْرِي عَلَى مِثَالِهِ يَكُونُ غَيْرَ مَلُومٍ مَعَ أَشْبَاهِ ذٰلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُهُ ٱلْعَقْلُ . وَذَكَرْتُ فِي ذٰلِكَ قَوْلَ رَجُلٍ كَانَ فَاحِشَ ٱلْأَكْلِ[1] فَعُوتِبَ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ كَذٰلِكَ كَانَ أَكْلُ أَبِي وَجَدِّي * فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ ٱلْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ وَلَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى ٱلثُّبُوتِ عَلَى دِينِ ٱلْآبَاءِ طَاقَةً . بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهَا وَلِلنَّظَرِ فِيهَا . هَجَسَ[2] فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ ٱلْأَجَلِ وَسُرْعَةُ ٱنْقِطَاعِ ٱلدُّنْيَا وَٱعْتِبَاطُ[3] أَهْلِهَا وَتَخَرُّمُ[4] ٱلدَّهْرِ حَيَاتَهُمْ . فَفَكَّرْتُ فِي ذٰلِكَ وَقُلْتُ أَمَّا أَنَا فَلَعَلِّي قَدْ قَرُبَ أَجَلِي وَحَانَتْ نُقْلَتِي[5] وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُ أُمُورًا مَحْمُودَةً أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَصْلَحَ ٱلْأَعْمَالِ . وَلَعَلَّ تَرَدُّدِي شَغَلَنِي عَنْ خَيْرٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ فَيَكُونُ أَجَلِي دُونَ مَا تَطْمَحُ[6] إِلَيْهِ نَفْسِي وَيَطْلُبُهُ أَمَلِي . وَيُصِيبُنِي مَا أَصَابَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ تَوَاطَأَ[7] مَعَ خَادِمٍ فِي بَيْتٍ لِأَحَدِ ٱلْأَغْنِيَاءِ

---

١ متجاوز الحد فيه ٢ بمعنى خطر ٣ اي هلاك ٤ استئصال
٥ الاسم من الانتقال بمعنى الموت ٦ اي تميل ٧ اتفق

عَلَى أَنْ يَأْتِيَ ٱلْبَيْتَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَغِيبُ أَهْلُهُ فَيَجْمَعَ لَهُ ٱلْخَادِمُ
مِمَّا فِي ٱلْبَيْتِ فَيَذْهَبَ بِهِ وَيَبِيعَهُ وَيَتَشَاطَرَا ثَمَنَهُ. فَٱتَّفَقَ
ذَاتَ لَيْلَةٍ أَنْ غَابَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ وَبَقِيَ ٱلْخَادِمُ وَحْدَهُ فَأَنْفَذَ
فَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ ٱلْبَيْتَ وَأَخَذَا فِي ٱلْجَمْعِ مِمَّا
فِيهِ وَبَيْنَا[1] هُمَا يَجْمَعَانِ إِذْ قُرِعَ ٱلْبَابُ. وَكَانَ لِلْبَيْتِ بَابٌ
آخَرُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ ٱلرَّجُلُ وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْبَابُ عِنْدَ جُبِّ[2]
ٱلْمَآءِ. فَقَالَ ٱلْخَادِمُ لِلرَّجُلِ عَلَى عَجَلٍ مِنْهُ وَخِيفَةٍ بَادِرْ اُخْرُجْ
مِنَ ٱلْبَابِ ٱلَّذِي عِنْدَ جُبِّ ٱلْمَآءِ وَأَشَارَ لَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَٱنْطَلَقَ
ٱلرَّجُلُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَوَجَدَ ٱلْبَابَ وَلٰكِنْ لَمْ يَجِدْ جُبَّ
ٱلْمَآءِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَمَّا ٱلْبَابُ فَوَجَدْتُهُ وَأَمَّا ٱلْجُبُّ
فَلَمْ أَجِدْهُ. فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَائِقُ[3] وَمَا تَصْنَعُ بِٱلْجُبِّ أَنَا دَلَلْتُكَ
بِهِ لِتَعْرِفَ ٱلْبَابَ فَإِذْ قَدْ عَرَفْتَهُ فَٱذْهَبْ عَاجِلاً. فَقَالَ لَهُ لَمْ
يَكُنْ ذٰلِكَ صِدْقًا فَلِمَ ذَكَرْتَ ٱلْجُبَّ وَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ. فَقَالَ
لَهُ وَيْحَكَ[4] أَيُّهَا ٱلْأَحْمَقُ ٱنْجُ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْحُمْقَ وَٱلتَّرَدُّدَ.
فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَمْضِي وَقَدْ خَلَطْتَ[5] عَلَيَّ وَذَكَرْتَ ٱلْجُبَّ وَلَيْسَ

---

١ بينما ٢ بئر ٣ الاحمق في غباوة ٤ ويلك ٥ اي خلطت الحق بالباطل

هُنَاكَ. فَلَمْ يَزَلْ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ حَتَّى دَخَلَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ فَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ[1] وَأَوْجَعَهُ ضَرْبًا وَرَفَعَهُ[2] إِلَى ٱلسُّلْطَانِ[3]

فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ ٱلتَّرَدُّدِ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَتَعَرَّضَ لَهُ وَلَا لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ ٱلْمَكْرُوهَ وَٱقْتَصَرْتُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَشْهَدُ بِهِ ٱلْعُقُولُ وَتَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ ٱلْأَدْيَانِ وَيُرَى أَنَّهُ صَوَابٌ وَحَقٌّ. فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ ٱلضَّرْبِ وَٱلْقَتْلِ وَٱلسَّرِقَةِ وَزَجَرْتُ نَفْسِي عَنِ ٱلْكِبْرِ[4] وَٱلْغَضَبِ وَنَزَّهْتُ قَلْبِي عَنِ ٱلْحِقْدِ وَٱلْبُغْضِ وَٱلْخِيَانَةِ وَصُنْتُ لِسَانِي عَنِ ٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ[5] وَٱلْغِيبَةِ[6] وَٱلنَّمِيمَةِ وَكُلِّ أَمْرٍ مَكْرُوهٍ. وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ لَا أَبْغِيَ عَلَى أَحَدٍ وَلَا أُكَذِّبَ بِٱلْبَعْثِ[7] وَلَا ٱلْقِيَامَةِ وَلَا ٱلثَّوَابِ وَلَا ٱلْعِقَابِ وَأَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّٰهُ ٱلْفَرْدُ ٱلصَّمَدُ[8] يُكَافِئُ عَلَى ٱلْخَيْرِ بِٱلْخَيْرِ وَعَلَى ٱلشَّرِّ بِٱلشَّرِّ وَأَنْ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْمَسْئَلَةِ وَٱلْحِسَابِ. وَزَايَلْتُ[9] ٱلْأَشْرَارَ وَحَاوَلْتُ ٱلْجُلُوسَ مَعَ ٱلْأَخْيَارِ بِجُهْدِي. وَرَأَيْتُ كُلًّا مِنَ ٱلصَّلَاحِ وَٱلْعِلْمِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ.[10] وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَّقَ ٱللّٰهُ

---

١ جمع ثيابه عند صدره وعنقه ساحبًا اياهُ ٢ قدمه ٣ المراد به هنا الحاكم
٤ الكبرياء ٥ القول على الناس ما لم يعملوه ٦ الاسم من اغتابه وقد مرّ
٧ يعني القيامة ٨ من اسماء الله ومعناه الدائم ٩ فارقت ١٠ مصاحب وعشير

وَأَعانَ يَسيرًا وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلَى ٱلْخَيْرِ وَيُشيرُ بِٱلنُّصْحِ فِعْلَ ٱلصَّدِيقِ بِٱلصَّدِيقِ. وَوَجَدْتُهُ لا يَنْقُصُ عَلَى ٱلْإِنْفاقِ مِنْهُ بَلْ يَزْدادُ وَلا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ ٱلِاسْتِعْمالِ بَلْ يَجِدُّ وَيَزْهو وَيَكْثُرُ. وَوَجَدْتُهُ لا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلسُّلْطانِ أَنْ يَغْصِبَهُ[1] وَلا مِنَ ٱلْآفاتِ أَنْ تُفْسِدَهُ وَلا مِنَ ٱلْماءِ أَنْ يُغْرِقَهُ. وَلا مِنَ ٱلنّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ. وَلا مِنَ ٱللُّصوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ. وَلا مِنَ ٱلسِّباعِ وَجَوارِحِ ٱلطَّيْرِ[2] أَنْ تُمَزِّقَهُ

وَوَجَدْتُ ٱلرَّجُلَ ٱلسّاهِيَ ٱللّاهِيَ ٱلْمُؤْثِرَ ٱلْيَسيرَ يَنالُهُ فِي يَوْمِهِ وَيَعْدَمُهُ فِي غَدِهِ عَلَى ٱلْكَثيرِ ٱلْباقي نَعيمُهُ. يُصيبُهُ فيما ذَهَبَتْ فيهِ أَيّامُهُ ما أَصابَ ٱلتّاجِرَ ٱلَّذي زَعَموا أَنَّهُ كانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفيسٌ فَٱسْتَأْجَرَ لِثَقْبِهِ رَجُلًا فِي ٱلْيَوْمِ عَلَى مِئَةِ دِرْهَمٍ يَدْفَعُها إِلَيْهِ وَٱنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ. وَإِذا في ناحِيَةِ ٱلْبَيْتِ صَنْجٌ[3] مَوْضوعٌ فَقالَ ٱلتّاجِرُ لِلصّانِعِ هَلْ تُحْسِنُ ٱلضَّرْبَ بِٱلصَّنْجِ قالَ نَعَمْ وَكانَ بِضَرْبِهِ ماهِرًا فَقالَ ٱلرَّجُلُ دونَكَ[4] ٱلصَّنْجَ فَأَسْمِعْنا ضَرْبَكَ بِهِ. فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلصَّنْجَ وَلَمْ

---

١ يأخذهُ قهرًا وظلمًا ٢ ما يصيد منها ٣ من الآت الطرب
٤ اي خذ

يَزَلْ يُسمِعُ ٱلتَّاجِرَ ٱلضَّرْبَ ٱلصَّحِيحَ وَٱلصَّوْتَ ٱلرَّخِيمَ وَٱلتَّاجِرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ طَرَبًا حَتَّى أَمسَى. فَلَمَّا حانَ ٱلْغُرُوبُ قالَ ٱلرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ مُرْ لِي بِٱلْأُجْرَةِ فَقالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ وَهَلْ عَمِلتَ شَيْئًا تَستَحِقُّ بِهِ ٱلْأُجْرَةَ فَقالَ لَهُ عَمِلْتُ ما أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَنا أَجِيرُكَ وَما ٱستَعمَلْتَنِي[1] عَمِلْتُ. وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى ٱستَوْفَى مِنهُ مِئَةَ ٱلدِّرهَمِ وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيرَ مَثقُوبٍ

فَلَمْ أَزدَدْ فِي ٱلدُّنيا وَشَهَواتِها نَظَرًا إِلَّا ٱزْدَدْتُ فِيها زَهادَةً وَمِنها هَرَبًا وَوَجَدْتُ ٱلنُّسْكَ هُوَ ٱلَّذِي يُمَهِّدُ[2] لِلْمَعادِ[3] كَما يُمَهِّدُ ٱلوالِدُ لِوَلَدِهِ. وَوَجَدْتُهُ هُوَ ٱلْبابَ ٱلْمَفتُوحَ إِلَى ٱلنَّعِيمِ ٱلْمُقِيمِ وَوَجَدْتُ ٱلنَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فَعْلَتَهُ[4] بِٱلسَّكِينَةِ[5] وَٱلْوَقارِ فَشَكَرَ وَتَواضَعَ. وَقَنِعَ فَٱستَغنَى. وَرَضِيَ فَلَمْ يَهتَمَّ. وَخَلَعَ ٱلدُّنْيا فَنَجا مِنَ ٱلشُّرُورِ. وَرَفَضَ ٱلشَّهَواتِ فَصارَ طاهِرًا. وَطَرَحَ ٱلْحَسَدَ فَوَجَبَتْ لَهُ ٱلْمَحَبَّةُ. وَٱنفَرَدَ بِنَفسِهِ فَكُفِيَ ٱلْأَحزانَ وَسَخَتْ نَفسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَٱستَعمَلَ ٱلْعَقلَ فَأَبصَرَ ٱلْعاقِبَةَ فَأَمِنَ ٱلنَّدامَةَ. وَٱعتَزَلَ ٱلنَّاسَ[6] فَسَلِمَ مِنهُمْ وَلَمْ يَخَفْهُمْ

---

١ طلبت مني عمله ٢ يسهّل ويوطئ ٣ للآخرة ٤ نظر في عواقبها ٥ الطمأنينة والهدوء ٦ تنحى عنهم

فَلَمْ أَزْدَدْ فِي أَمْرِ ٱلنُّسْكِ نَظَرًا إِلاَّ ٱزْدَدْتُ فِيهِ رَغْبَةً حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ. ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَنْ لاَ أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ ٱلنَّاسِكِ وَلاَ أَقْوَى عَلَى عُسْرِهِ وَمَشَقَّتِهِ لِمَا ٱعْتَدْتُهُ وَغُذِيتُ بِهِ مُنْذُ كُنْتُ وَلِيدًا. وَلَمْ آمَنْ إِنْ تَرَكْتُ ٱلدُّنْيَا وَأَخَذْتُ فِي ٱلنُّسْكِ أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذٰلِكَ وَأَكُونَ قَدْ رَفَضْتُ أَعْمَالاً كُنْتُ أَرْجُو عَائِدَتَهَا[1] وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعُ بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا. فَيَكُونُ مَثَلِي فِي ذٰلِكَ مَثَلَ ٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي مَرَّ بِنَهَرٍ وَفِي فِيهِ ضِلَعٌ فَرَأَى ظِلَّهَا فِي ٱلْمَاءِ فَأَهْوَى[2] لِيَأْخُذَهَا فَأَتْلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي ٱلْمَاءِ شَيْئًا * فَهِبْتُ[3] ٱلنُّسْكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً وَخِفْتُ مِنَ ٱلضَّجَرِ وَقِلَّةِ ٱلصَّبْرِ وَأَرَدْتُ ٱلثُّبُوتَ عَلَى حَالَتِي ٱلَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا. ثُمَّ بَدَا[4] لِي أَنْ أَقِيسَ مَا أَخَافُ أَنْ لاَ أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلشَّظَفِ[5] وَٱلضِّيقِ وَٱلْخُشُونَةِ فِي ٱلنُّسْكِ وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْبَلاَءِ. وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا إِلاَّ وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى ٱلْأَذَى وَمُوَلِّدٌ ٱلْحُزْنَ. فَٱلدُّنْيَا كَٱلْمَاءِ ٱلْمِلْحِ[6] ٱلَّذِي لاَ يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا إِلاَّ

---

١ نفعها ٢ اي انعطف ومال ٣ خفت ٤ عرض وخطر
٥ ضيق العيش وشدته ٦ ذي الملوحة

ٱزْدادَ عَطَشًا. وَكَٱلْعَظْمِ ٱلَّذِي يُصِيبُهُ[١] ٱلْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ ٱللَّحْمِ فَلا يَزالُ يَطْلُبُ ذٰلِكَ ٱللَّحْمَ حَتَّى يُدْمِيَ فاهُ[٢] وَلا يَنالُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ. وَكَٱلْحِدَأَةِ[٣] ٱلَّتِي تَظْفَرُ[٤] بِٱلْبَضْعَةِ مِنَ ٱللَّحْمِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْها ٱلطَّيْرُ فَلا تَزالُ تَدُورُ وَتَدْأَبُ[٥] حَتَّى تَعْيَى وَتَعْجِزَ فَإِذا تَعِبَتْ أَلْقَتْ ما مَعَها. وَكَٱلْكُوزِ مِنَ ٱلْعَسَلِ ٱلَّذِي فِي أَسْفَلِهِ ٱلسُّمُّ ٱلَّذِي يُذاقُ مِنْهُ حَلاوَةٌ عاجِلَةٌ وَآخِرُهُ مَوْتٌ زُعافٌ[٦]. وَكَأَحْلامِ ٱلنّائِمِ ٱلَّتِي يَفْرَحُ بِها ٱلْإِنْسانُ فِي نَوْمِهِ فَإِذا ٱسْتَيْقَظَ ذَهَبَ ٱلْفَرَحُ. وَكَٱلْبَرْقِ ٱلَّذِي يُضِيءُ يَسِيرًا فَيُطْمِعُ بِٱلنُّورِ ثُمَّ يَذْهَبُ بَغْتَةً وَيَرْجِعُ ٱلظَّلامُ. وَكَدُودَةِ ٱلْقَزِّ ٱلَّتِي تَنْسِجُ نَهارًا وَلَيْلًا وَتَهْلِكُ وَسَطَ نَسِيجِها ٱلَّذِي كُلَّما زادَتْ مِنْهُ نَسْجًا زادَ ٱسْتِحْكامًا وَمَنْعًا لَها عَنِ ٱلْخُرُوجِ.

فَلَمّا فَكَّرْتُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ ٱلنُّسْكِ وَهَزَّنِي ٱلِٱشْتِياقُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لا يَلِيقُ بِي أَنْ أَقِيسَ ٱلدُّنْيا بِٱلنُّسْكِ إِذا تَفَكَّرْتُ فِيها وَفِي شُرُورِها وَأَحْزانِها. ثُمَّ خاصَمْتُ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِها سارِحَةٌ وَقَدْ لا تَثْبُتُ عَلَى أَمْرٍ تَعْزِمُ

١ يجده ٢ يُسيل منه الدم ٣ طائر ٤ القطعة ٥ تجتهد
٦ سريع

عَلَيْهِ كَقاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصْمٍ واحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ فَلَمَّا حَضَرَ ٱلْخَصْمُ ٱلثَّانِي عادَ إِلَى ٱلْأَوَّلِ فَقَضَى عَلَيْهِ * ثُمَّ نَظَرْتُ فِي ٱلَّذِي أُكابِدُهُ مِنِ ٱحْتِمالِ ٱلنُّسْكِ وَضِيقِهِ فَقُلْتُ ما أَصْغَرَ هٰذِهِ ٱلْمَشَقَّةَ فِي جانِبِ رَوْحِ[1] ٱلْأَبَدِ وَراحَتِهِ. ثُمَّ نَظَرْتُ فِيما تَشْرَهُ[2] إِلَيْهِ ٱلنَّفْسُ ٱلْبَهِيمِيَّةُ مِنْ لَذَّةِ ٱلدُّنْيا فَقُلْتُ ما أَمَرَّ هٰذا وَأَوْجَعَهُ وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذابِ ٱلْأَبَدِ وَأَهْوالِهِ. وَكَيْفَ لا يَسْتَحْلِي ٱلرَّجُلُ مَرارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُها[3] حَلاوَةٌ طَوِيلَةٌ وَكَيْفَ لا تَمَرُّ[4] عَلَيْهِ حَلاوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُها مَرارَةٌ دائِمَةٌ. وَقُلْتُ لَوْ أَنَّ رَجُلاً عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِئَةَ سَنَةٍ لا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ واحِدٌ إِلَّا بُضِعَ مِنْهُ بَضْعَةٌ[5] غَيْرَ أَنَّهُ يُشْرَطُ لَهُ أَنَّهُ إِذا ٱسْتَوْفَى ٱلسِّنِينَ ٱلْمِئَةَ نَجا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذًى وَصارَ إِلَى ٱلْأَمْنِ وَٱلسُّرُورِ كانَ حَقِيقاً أَنْ لا يَرَى تِلْكَ ٱلسِّنِينَ شَيْئاً. فَكَيْفَ يَأْبِي ٱلصَّبْرَ عَلَى أَيّامٍ قَلائِلَ يَعِيشُها فِي ٱلنُّسْكِ وَأَذَى تِلْكَ ٱلْأَيّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْراً كَثِيراً. أَوَلَيْسَ أَنَّ ٱلدُّنْيا كُلَّها بَلاءٌ وَعَذابٌ وَٱلْإِنْسانُ إِنَّما يَتَقَلَّبُ فِي عَذابِها * مِنْ حِينِ يُولَدُ إِلَى أَنْ

---

١ سرور ٢ اي تميل ٣ تاتي بعدها ٤ من المرارة ٥ قطع منه قطعة

يَسْتَوْ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ طِفْلًا ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانًا إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامٌ[١] أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ[٢] أَوْ وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِغَاثَةٌ[٣]. مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ الْوَضْعِ وَالْحَمْلِ وَاللَّفِّ وَالدَّهْنِ وَالْمَسْحِ إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ قِيَامًا وَلَا تَقَلُّبًا. ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ مَا دَامَ رَضِيعًا فَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَذَابِ الرَّضَاعِ أَخَذَ فِي عَذَابِ الْأَدَبِ فَأُذِيقَ مِنْهُ أَلْوَانًا مِنْ عُنْفِ الْمُعَلِّمِ وَضَجَرِ الدَّرْسِ وَسَآمَةِ[٤] الْكِتَابَةِ. ثُمَّ لَهُ مِنَ الدَّوَاءِ وَالْحِمْيَةِ[٥] وَالْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ أَوْفَى نَصِيبٍ. فَإِذَا أَدْرَكَ لَحِقَهُ هَمُّ الْأَهْلِ وَكَانَتْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَتَرْبِيَةِ الْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ. وَهُوَ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ الْبَاطِنِيِّينَ اللَّازِمِينَ لَهُ وَهُمُ الْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ وَالْمِرَّةُ السَّوْدَاءُ وَالرِّيحُ وَالْبَلْغَمُ وَالدَّمُ مَعَ السُّمِّ الْمُمِيتِ وَالْحَيَّةِ اللَّادِغَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ مَعَ تَقَلُّبِ الْفُصُولِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْأَمْطَارِ وَالرِّيَاحِ وَالثُّلُوجِ

---

١ طلب طعام ٢ طلب شرب ٣ استعانة ٤ ملل ٥ التوقي في الاكل

وَٱلشَّيطانِ ٱلدَّائِمِ وَٱلْقَرِينِ ٱلسَّوْءِ وَغَيرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلطَّوارِئِ (١) ٱلرَّدِيئَةِ ثُمَّ أَنواعِ عذابِ ٱلْهَرَمِ (٢) لِمَنْ يَبلُغُهُ

فَلَوْ لَمْ يَخَفْ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأُمورِ شَيئًا وَكانَ قَدْ أَمِنَ وَوَثِقَ بِٱلسَّلامَةِ مِنها فَلَمْ يُفَكِّرْ بِها لَوَجَبَ عَلَيهِ أَنْ يَكُونَ مُفَكِّرًا فِي ٱلسَّاعةِ ٱلَّتِي يَحْضُرُهُ فِيها ٱلْمَوْتُ وَيُفارِقُ ٱلدُّنْيا فَيَذْكُرُ ما هُوَ نازِلٌ بِهِ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعةِ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ جِدًّا مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِراقِ ٱلْأَحِبَّةِ وَٱلْأَقارِبِ وَٱلْمالِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ (٣) بِهِ مِنَ ٱلدُّنيا مَعَ ٱلْإِشْرافِ (٤) عَلَى ٱلْهَوْلِ (٥) ٱلْعَظِيمِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ. فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَكانَ حَقِيقًا أَنْ يُعَدَّ عاجِزًا مُفَرِّطًا (٦) مُحِبًّا لِلدَّناءَةِ مُسْتَحِقًّا لِلَّوْمِ *

فَمَنْ ذا ٱلَّذِي يَعلَمُ هٰذا وَلا يَستَعِدُّ لَهُ قَبلَ حُلُولِهِ وَيَحتالُ لِغَدِهِ جُهْدَهُ فِي ٱلْحِيلةِ وَيَرْفُضُ ما يَشْغَلُهُ وَيُلْهِيهِ مِنْ شَهَواتِ ٱلدُّنْيا وَغُرُورِها. وَلاسِيَّما فِي هٰذا ٱلزَّمانِ ٱلشَّبِيهِ بِٱلصَّافِي وَهُوَ كَدِرٌ. فَإِنَّهُ وَإِنْ كانَ ٱلْمَلِكُ حازِمًا عَظِيمَ ٱلْمَقْدِرةِ رَفِيعَ ٱلْهِمَّةِ بَلِيغَ ٱلْفَحْصِ عَدْلًا (٧) مَرْجُوًّا صَدُوقًا شَكُورًا رَحْبَ ٱلذِّراعِ (٨) مُواظِبًا عَلَى ٱلْحُسْنَى (٩) عالِمًا بِٱلنَّاسِ مُهْتَمًّا بِأُمُورِ رَعِيَّتِهِ ناظِرًا فِي أَحْوالِهِمْ

---

١ الحوادث ٢ الشيخوخة ٣ مبخول ٤ الاقبال ٥ الخوف الشديد ٦ مقصرا ٧ عادلاً ٨ اي واسع الخلق ٩ الاعمال الحسنة

مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْأَخْيارِ شَدِيدًا عَلَى الظَّلَمَةِ[1] غَيْرَ جبانٍ وَلا خَفِيفِ الْقِيادِ[2] رَفِيقًا بِالتَّوَسُّعِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِيما يُحِبُّونَ وَالدَّفْعِ لِما يَكْرَهُونَ. فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمانَ مُدْبِرًا[3] بِكُلِّ مَكانٍ حَتَّى كَأَنَّ أُمُورَ الصِّدْقِ قَدْ نُزِعَتْ مِنَ النَّاسِ فَأَصْبَحَ ما كانَ عَزِيزًا[4] فَقْدُهُ مَفْقُودًا وَمَوْجُودًا ما كانَ ضائِرًا[5] وُجُودُهُ. وَكَأَنَّ الْخَيْرَ أَصْبَحَ ذابِلًا وَالشَّرَّ ناضِرًا[6]. وَكَأَنَّ الْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ زالَتْ سُبُلُهُ وَكَأَنَّ الْحَقَّ وَلَّى كَسِيرًا وَأَقْبَلَ الْباطِلُ تابِعَهُ. وَكَأَنَّ اتِّباعَ الْهَوَى وَإِضاعَةَ الْحُكْمِ أَصْبَحَ بِالْحُكَّامِ مُوَكَّلًا[7] وَأَصْبَحَ الْمَظْلُومُ بِالْحَيْفِ[8] مُقِرًّا وَالظَّالِمُ بِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلًا[9] وَكَأَنَّ الْحِرْصَ أَصْبَحَ فاغِرًا[10] فاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ[11] ما قَرُبَ مِنْهُ وَما بَعُدَ. وَكَأَنَّ الرِّضَى أَصْبَحَ مَجْهُولًا وَكَأَنَّ الْأَشْرارَ يَقْصِدُونَ السَّماءَ صُعُودًا وَكَأَنَّ الْأَخْيارَ يُرِيدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ. وَأَصْبَحَتِ الْمُرُوَّةُ مَقْذُوفًا بِها[12] مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ[13] إِلَى أَسْفَلِ دَرْكٍ[14]. وَأَصْبَحَتِ الدَّناءَةُ مُمَكَّنَةً وَأَصْبَحَ السُّلْطانُ مُنْتَقِلًا عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ إِلَى أَهْلِ النَّقْصِ. وَكَأَنَّ الدُّنْيا جَذِلَةٌ[15] مَسْرُورَةٌ

---

١ جمع ظالم ٢ الرّسن اي غير سهل الانقياد ٣ موليًا ٤ اي نادرًا
٥ مضرًّا ٦ زاهيًا ٧ اي لازمًا لهم ٨ الظلم والجور ٩ متعظمًا
١٠ فاتحًا ١١ يتناول ١٢ ملقاة ١٣ مكان عالٍ ١٤ اقصى قعر الشيء ١٥ فرحة

تَقُولُ قَدْ غُيِّبَتِ ٱلْخَيْرَاتُ وَأُظْهِرَتِ ٱلسَّيِّئَاتُ

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي ٱلدُّنْيَا وَأُمُورِهَا وَأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ ٱلْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ إِلَّا فِي ٱلشُّرُورِ وَٱلْهُمُومِ. عَجِبْتُ مِنْ ذٰلِكَ كُلَّ ٱلْعَجَبِ. وَتَحَقَّقْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ ذُو عَقْلٍ يَعْلَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ لَا يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي ٱلنَّجَاةِ وَيَلْتَمِسُ ٱلْخَلَاصَ. وَإِنْ فَرَّطَ فِي ذٰلِكَ فَهُوَ عِنْدِي عَاجِزٌ قَلِيلُ ٱلرَّأْيِ نَاقِصُ ٱلْهِمَّةِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ. ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ مُفَرِّطُونَ فِي ذٰلِكَ مُغْفِلُونَ لَهُ فَقَضَيْتُ ٱلْعَجَبَ[1] مِنْ ذٰلِكَ. وَٱلْتَمَسْتُ[2] لَهُمْ عُذْرًا فِيهِ وَنَظَرْتُ فَإِذَا ٱلْإِنْسَانُ لَا يَمْنَعُهُ عَنِ ٱلْاِحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا لَذَّةٌ صَغِيرَةٌ حَقِيرَةٌ مِنَ ٱلنَّظَرِ وَٱلسَّمْعِ وَٱلشَّمِّ وَٱلذَّوْقِ وَٱللَّمْسِ لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَ مِنْهَا ٱلطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِيَ مِنْهَا ٱلْيَسِيرَ. فَإِذَا ذٰلِكَ يَشْغَلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ ٱلْاِهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ ٱلنَّجَاةِ لَهَا

فَٱلْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا فَإِذَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ فِيلٍ هَائِجٍ. إِلَى بِئْرٍ فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا[3]. فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَيِّ ٱلْبِئْرِ[4] فَإِذَا حَيَّاتٌ أَرْبَعٌ

---

١ عجبت جدًّا ٢ طلبت ٣ اعلاها ٤ جانبها المبني بالحجارة

قَدْ أَخْرَجْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ[1]. ثُمَّ نَظَرَ فَإِذا فِي قَعْرِ الْبِئْرِ تِنِّينٌ فاتِحٌ فاهُ مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ. فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنَيْنِ فَإِذا فِي أَصْلِهِما جُرَذانِ أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ وَهُما يَقْرِضانِ الْغُصْنَيْنِ دائِبَيْنِ[2] لا يَفْتُرانِ * فَبَيْنَما هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَالِاهْتِمامِ لِنَفْسِهِ إِذْ بَصُرَ قَرِيباً مِنْهُ بِخَلِيَّةٍ[3] فِيها عَسَلٌ فَذاقَ الْعَسَلَ. فَشَغَلَتْهُ حَلاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ الْخَلاصَ لِنَفْسِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى حَيَّاتٍ أَرْبَعٍ لا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرَذَيْنِ دائِبانِ فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ وَمَتَى انْقَطَعا وَقَعَ عَلَى التِّنِّينِ. فَلَمْ يَزَلْ لاهِياً غافِلاً مَشْغُولاً بِتِلْكَ الْحَلاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التِّنِّينِ فَهَلَكَ

فَشَبَّهْتُ بِالْبِئْرِ الدُّنْيا الْمَمْلُوءَةَ آفاتٍ وَشُرُوراً وَمَخافاتٍ وَعاهاتٍ[4]. وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلاطَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي فِي الْبَدَنِ فَإِنَّها مَتَى هاجَتْ أَوْ هاجَ أَحَدُها كانَتْ كَحُمَةِ[5] الْأَفاعِي[6] وَالسُّمِّ الْمُمِيتِ. وَشَبَّهْتُ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي

---

١ الجحر بتقديم الجيم للهوام والسباع كالوكر للطير ٢ مستمرين
٣ بيت النحل ٤ اعراضاً مفسدة ٥ الابرة التي تلسع بها
٦ الحيات

هوَ إِلَى حِينٍ ثُمَّ لا بُدَّ مِنْ فَنَائِهِ وَٱنْقِطَاعِهِ. وَشَبَّهتُ بِالْجُرَذَيْنِ ٱلْأَسْوَدِ وَٱلْأَبْيَضِ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٱللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ ٱلْأَجَلِ. وَشَبَّهتُ بِٱلتِّنِّينِ ٱلْمَصِيرَ[1] ٱلَّذِي لا بُدَّ مِنْهُ. وَشَبَّهتُ بِٱلْعَسَلِ هٰذِهِ ٱلْحَلاوَةَ ٱلْقَلِيلَةَ ٱلَّتِي يَنَالُ مِنْهَا ٱلْإِنْسَانُ فَيَرَى وَيَطْعَمُ[2] وَيَسْمَعُ وَيَشَمُّ وَيَلْمِسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ فَيَنْسَى أَمْرَ ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ

فَحِينَئِذٍ صَارَ أَمْرِي إِلَى ٱلرِّضَى بِحَالِي وَإِصْلاحِ مَا ٱسْتَطَعْتُ إِصْلاحَهُ مِنْ عَمَلِي لَعَلِّي أَنْ أُصَادِفَ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَانًا أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلاً عَلَى هُدَايَ وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي وَقِوَامًا عَلَى أَمْرِي. فَأَقَمْتُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ وَٱتَّجَهْتُ إِلَى بِلادِ ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْعَقَاقِيرِ[3] وَٱلْأَدْوِيَةِ. ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا فِي ٱنْتِسَاخِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَٱنْصَرَفْتُ مِنْهَا إِلَى بِلادِي وَقَدِ ٱنْتَسَخْتُ مِنْ كُتُبِهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا هٰذَا ٱلْكِتَابُ

---

١ المنتهى ٢ يأكل ٣ النباتات التي يتداوى بها وقد مرّ

بابُ

ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ

وَهُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ وَهُوَ رَأْسُ ٱلْبَرَاهِمَةِ ٱضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ ٱلْمُحْتَالُ حَتَّى يَحْمِلَهُمَا عَلَى ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ

قالَ بَيْدَبا إِذَا ٱبْتُلِيَ ٱلْمُتَحَابَّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ ٱلْمُحْتَالُ لَمْ يَلْبَثَا[1] أَنْ يَتَقَاطَعَا[2] وَيَتَدَابَرَا[3] وَآفَةُ[4] ٱلْمَوَدَّةِ ٱلنَّمِيمَةُ. وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ رَجُلٌ شَيْخٌ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ. فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُمْ[5] أَسْرَفُوا فِي مَالِ أَبِيهِمْ[6] وَلَمْ يَكُونُوا ٱحْتَرَفُوا[7] حِرْفَةً يَكْسِبُونَ بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا. فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ. وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ يَا بَنِيَّ إِنَّ صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يُدْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. أَمَّا ٱلثَّلَاثَةُ ٱلَّتِي يَطْلُبُ فَٱلسَّعَةُ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْمَنْزِلَةُ فِي ٱلنَّاسِ وَٱلزَّادُ

---

١ يبطئا ٢ يهجر بعضهما بعضاً ٣ يولي بعضهما عن بعض ٤ الآفة عرضٌ مفسدٌ لما اصابهُ وقد مرَّ ٥ قوّتهم اي خرجوا من سن الصبوة ٦ بالغلو في انفاقهِ ٧ اي اتخذوا

لِلآخِرَةِ. وَأَمَّا ٱلْأَرْبَعَةُ ٱلَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرَكِ[١] هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةِ فَٱكْتِسَابُ ٱلْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهٍ يَكُونُ. ثُمَّ حُسْنُ ٱلْقِيَامِ[٢] عَلَى مَا ٱكْتَسَبَ مِنْهُ. ثُمَّ ٱسْتِثْمَارُهُ[٣]. ثُمَّ إِنْفَاقُهُ فِيمَا يُصْلِحُ ٱلْمَعِيشَةَ وَيُرْضِي ٱلْأَهْلَ وَٱلْإِخْوَانَ فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ * فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ لَمْ يُدْرِكْ مَا أَرَادَ مِنْ حَاجَتِهِ) لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ. وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَٱكْتِسَابٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيَامَ عَلَيْهِ أَوْشَكَ ٱلْمَالُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِمًا[٤]. وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ يَسْتَثْمِرْهُ لَمْ تَمْنَعْهُ قِلَّةُ ٱلْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ ٱلذَّهَابِ كَٱلْكُحْلِ ٱلَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ ٱلْمِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذٰلِكَ سَرِيعٌ فَنَاؤُهُ. وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَأَخْطَأَ بِهِ مَوَاضِعَ ٱسْتِحْقَاقِهِ صَارَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْفَقِيرِ ٱلَّذِي لَا مَالَ لَهُ. ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْ ذٰلِكَ أَيْضًا مَالَهُ مِنَ ٱلتَّلَفِ بِٱلْحَوَادِثِ وَٱلْعِلَلِ ٱلَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ. كَمَحْبِسِ ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي لَا تَزَالُ ٱلْمِيَاهُ تَنْصَبُّ فِيهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفَاضٌ[٥] وَمُتَنَفَّسٌ[٦] يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي

١ ادراك ٢ التدبير والسياسة ٣ استخراج ثمرة منهُ اي فائدة ٤ فقيرًا
٥ مكان يفيض منهُ ٦ مكان يتنفس منهُ اي يطفح

خَرِبَ وَسالَ وَنَزَّ مِنْ نَواحٍ كَثيرَةٍ وَرُبَّما ٱنْبَثَقَ[1] ٱلْبَثْقُ ٱلْعَظيمُ فَذَهَبَ ٱلْماءُ ضَياعاً» وَإِنَّ بَنِي ٱلشَّيْخِ ٱتَّعَظُوا بِقَوْلِ أَبيهِمْ وَأَخَذُوا بِهِ[2] وَعَلِموا أَنَّ فيهِ ٱلْخَيْرَ وَعَوَّلُوا[3] عَلَيْهِ * فَٱنْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ نَحْوَ أَرْضٍ يُقالُ لَهُ مَيُّونُ فَأَتَى فِي طَريقِهِ عَلَى مَكانٍ فيهِ وَحْلٌ كَثيرٌ. وَكانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجُرُّها ثَوْرانِ يُقالُ لِأَحَدِهِما شَتْرَبَةُ وَلِلْآخَرِ بَنْدَبَةُ. فَوَحِلَ شَتْرَبَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكانِ فَعالَجَهُ[4] ٱلرَّجُلُ وَأَصْحابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمُ ٱلْجُهْدُ[5] فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِخْراجِهِ. فَذَهَبَ ٱلرَّجُلُ وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلاً يُشارِفُهُ[6] لَعَلَّ ٱلْوَحْلَ يَنْشَفُ فَيَتْبَعَهُ بِهِ. فَلَمَّا باتَ ٱلرَّجُلُ بِذٰلِكَ ٱلْمَكانِ تَبَرَّمَ[7] بِهِ وَٱسْتَوْحَشَ فَتَرَكَ ٱلثَّوْرَ وَٱلْتَحَقَ بِصاحِبِهِ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ ٱلثَّوْرَ قَدْ ماتَ. وَقالَ لَهُ إِنَّ ٱلْإِنْسانَ إِذا ٱنْقَضَتْ مُدَّتُهُ وَحانَتْ مَنِيَّتُهُ فَهُوَ وَإِنِ ٱجْتَهَدَ فِي ٱلتَّوَقِّي مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي يَخافُ فيها عَلَى نَفْسِهِ ٱلْهَلاكَ لَمْ يُغْنِ ذٰلِكَ عَنْهُ[8] شَيْئاً وَرُبَّما عادَ ٱجْتِهادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحَذَرِهِ وَبالاً[9] عَلَيْهِ كَٱلَّذي قيلَ إِنَّ رَجُلاً سَلَكَ مَفازَةً[10] فيها خَوْفٌ مِنَ

---

١ انثغر وانفجر ٢ عملوا بموجبه ٣ اعتمدوا ٤ اي حاول اخراجه
٥ اي بلغ اقصاه ٦ يطلع عليه ٧ ملَّ ٨ اي لم ينفعه ٩ سوء عاقبة
١٠ فلاة لا ماء فيها

ٱلسِّبَاعِ[1] وَكَانَ ٱلرَّجُلُ خَبِيرًا بِوَعَثِ[2] تِلْكَ ٱلْأَرْضِ وَخَوْفِهَا .
فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٱعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ ٱلذِّئَابِ وَأَضْرَاهَا[3]
فَلَمَّا رَأَى ٱلرَّجُلُ أَنَّ ٱلذِّئْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَمِينًا
وَشِمَالًا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَتَحَرَّزُ[4] فِيهِ مِنَ ٱلذِّئْبِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا قَرْيَةً
خَلْفَ وَادٍ فَذَهَبَ مُسْرِعًا نَحْوَ ٱلْقَرْيَةِ . فَلَمَّا أَتَى ٱلْوَادِيَ لَمْ يَرَ
عَلَيْهِ قَنْطَرَةً وَرَأَى ٱلذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي ٱلْمَاءِ
وَهُوَ لَا يُحْسِنُ ٱلسِّبَاحَةَ وَكَادَ يَغْرَقُ لَوْلَا أَنْ بَصُرَ بِهِ[5] قَوْمٌ مِنْ
أَهْلِ ٱلْقَرْيَةِ فَتَوَاقَعُوا[6] لِإِخْرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى
ٱلْهَلَاكِ[7] . فَلَمَّا حَصَلَ ٱلرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
غَائِلَةِ[8] ٱلذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ[9] ٱلْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا فَقَالَ
أَدْخُلُ هٰذَا ٱلْبَيْتَ فَأَسْتَرِيحُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ
ٱللُّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا ٱلطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ ٱلتُّجَّارِ وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ
مَالَهُ وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمَّا رَأَى ٱلرَّجُلُ ذٰلِكَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ
وَمَضَى نَحْوَ ٱلْقَرْيَةِ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا
لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ ٱلْهَوْلِ[10] وَٱلْإِعْيَاءِ[11] إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِ

١ الحيوانات المفترسة ٢ وعورة ٣ تفصيل من قولهم سبعٌ ضارٍ
٤ يتوقى ٥ لمحه ٦ اي رموا بانفسهم ٧ اي كاد يهلك
٨ اي شر ٩ جانب ١٠ الخوف الشديد ١١ شدة التعب

الحائطُ فماتَ

قالَ الرجلُ صدقتَ قد بلغني هذا الحديثُ * وأما الثورُ فإنهُ خلصَ من مكانهِ وانبعثَ[1] فلم يزلْ في مرجٍ مخصبٍ كثيرِ الماءِ والكلإِ[2] فلما سمنَ وأمنَ جعلَ يخورُ[3] ويرفعُ صوتَهُ بالخوارِ . وكانَ قريبًا منهُ أجمةٌ[4] فيها أسدٌ عظيمٌ وهوَ ملكُ تلكَ الناحيةِ ومعهُ سباعٌ كثيرةٌ وذئابٌ وبناتُ آوى[5] وثعالبُ وفهودٌ ونمورٌ . وكانَ هذا الأسدُ منفردًا برأيهِ دونَ أخذٍ برأي أحدٍ من أصحابهِ . فلما سمعَ خوارَ الثورِ ولم يكنْ رأى ثورًا قطُّ ولا سمعَ خوارَهُ خامرهُ[6] منهُ هيبةٌ وخشيةٌ[7] وكرهَ أن يشعرَ[8] بذلكَ جندُهُ فكانَ مقيمًا مكانهُ لا يبرحُ[9] ولا ينشطُ[10] بل يؤتى برزقهِ كلَّ يومٍ على يدِ جندهِ . وكانَ فيمنْ معهُ من السباعِ ابنا آوى يقالُ لأحدهما كليلةُ وللآخرِ دمنةُ وكانا ذويْ[11] دهاءٍ[12] وعلمٍ وأدبٍ

(فقالَ دمنةُ يومًا لأخيهِ كليلةَ يا أخي ما شأنُ[13] الأسدِ

---

١ اسرع ٢ العشب ٣ من الخوار وهو صوت البقر ٤ شجر كثير ملتف ٥ جمع ابن آوى وهو حيوان معروف ٦ داخله ٧ خوف ٨ يعلم ٩ اي لا يتحوّل عن مكانهِ ١٠ اي يخرج لشأنهِ ١١ مثنى ذو بمعنى صاحب ١٢ جودة راي ١٣ ما بال

مُقِيماً مَكَانَهُ لا يَبْرَحُ وَلا يَنْشَطُ خِلافًا لِعادَتِهِ . قالَ لَهُ كَلِيلَةُ ما شَأْنُكَ أَنْتَ وَٱلْمَسْأَلَةَ عَنْ هٰذا . نَحْنُ عَلَى بابِ مَلِكِنا آخِذِينَ بِما أَحَبَّ وَتارِكِينَ ما يَكْرَهُ وَلَسْنا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَرْتَبَةِ ٱلَّتِي يَتَناوَلُ أَهْلُها كَلامَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكْ عَنْ هٰذا وَٱعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ ما لَيْسَ مِنْ شَكْلِهِ أَصابَهُ ما أَصابَ ٱلْقِرْدَ مِنَ ٱلنَّجَّارِ . قالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى نَجَّارًا يَشُقُّ خَشَبَةً وَهُوَ راكِبٌ عَلَيْها وَكُلَّما شَقَّ مِنْها ذِراعًا أَدْخَلَ فِيها وَتِدًا فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَهُ ذٰلِكَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَقامَ ٱلْقِرْدُ وَتَكَلَّفَ ما لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ[1] فَرَكِبَ ٱلْخَشَبَةَ وَجَعَلَ وَجْهَهُ قِبَلَ ٱلْوَتِدِ[2] وَظَهْرَهُ قِبَلَ طَرَفِ ٱلْخَشَبَةِ فَتَدَلَّى ذَنَبُهُ فِي ٱلشَّقِّ وَنَزَعَ ٱلْوَتِدَ فَلَزِمَ ٱلشَّقُّ عَلَيْهِ فَكادَ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَلَمِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ وافاهُ[3] فَأَصابَهُ[4] عَلَى تِلْكَ ٱلْحالَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ فَكانَ ما لَقِيَ مِنَ ٱلنَّجَّارِ مِنَ ٱلضَّرْبِ أَشَدَّ مِمَّا أَصابَهُ مِنَ ٱلْخَشَبَةِ *

قالَ دِمْنَةُ قَدْ سَمِعْتُ ما ذَكَرْتَ . وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدْنُو مِنَ ٱلْمُلُوكِ

---

١ مقتضى حاله ٢ الى جهة ٣ اتاهُ ٤ وجدهُ

يَقدِرُ عَلَى صحبَتِهِمْ وَيَفُوزُ بِقُربِهِمْ . وَلٰكِنِ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو مِنْهُمْ لَيسَ يَدنُو مِنهُمْ لِبَطْنِهِ فَإِنَّ ٱلبَطْنَ يُحْشَى بِكُلِّ شَيْءٍ) وَإِنَّمَا يَدْنُو مِنهُمْ لِيَسُرَّ ٱلصَّدِيقَ وَيَكْبِتَ[1] ٱلعَدُوَّ . وَإِنَّ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ وَهُمُ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِٱلقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ بِٱلدُّونِ كَٱلكَلْبِ ٱلَّذِي يُصِيبُ عَظْمًا يَابِسًا فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا أَهْلُ ٱلفَضْلِ وَٱلمُرُوءَةِ فَلَا يُقْنِعُهُمُ ٱلقَلِيلُ وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ دُونَ أَنْ تَسْمُوَ[2] بِهِمْ نُفُوسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ أَهْلٌ . كَٱلأَسَدِ ٱلَّذِي يَفْتَرِسُ ٱلأَرْنَبَ فَإِذَا رَأَى ٱلبَعِيرَ تَرَكَهَا وَطَلَبَ ٱلبَعِيرَ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلكَلْبَ يُبَصْبِصُ بِذَنَبِهِ[3] حَتَّى تَرْمِيَ لَهُ ٱلكِسْرَةَ مِنَ ٱلخُبْزِ فَيَفْرَحُ بِهَا وَتُقْنِعُهُ مِنْكَ . وَأَنَّ ٱلفِيلَ ٱلمُعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ عَلَفُهُ لَا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى يُمْسَحَ وَجْهُهُ وَيُتَمَلَّقَ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ غَيْرَ خَامِلِ[4] ٱلمَنْزِلَةِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمْرُهُ طَوِيلُ ٱلعُمْرِ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضِيقٌ وَقِلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ[5] عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ وَكَانَ خَامِلَ ٱلمَنْزِلَةِ فَٱلمَقْبُورُ أَحْيَا[6] مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ

---

١ يذلّ ويقهر ٢ بحركة ٣ خلاف مشهور ٤ بخل وشحّ
٥ اهله ٦ تفصيل من الحياة

لِبَطْنِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَقَنِعَ وَتَرَكَ ما سِوَى ذٰلِكَ عُدَّ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ ما قُلْتَ فَرَاجِعْ عَقْلَكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ ٱلَّتِي هُوَ فِيهَا مُتَمَاسِكًا[1] كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ • وَلَيْسَ لَنَا مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ما يَحُطُّ حَالَنَا ٱلَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا • ثُمَّ انَّ مَنْزِلَةَ ٱلْإِنْسَانِ مَقْدُورَةٌ[2] عَلَيْهِ مُنْذُ ٱلْأَزَلِ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا ٱلرِّضَى بِهَا كَيْفَ كَانَتْ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلْمَنَازِلَ مُتَنَازَعَةٌ[3] مُشْتَرَكَةٌ عَلَى قَدْرِ ٱلْمُرُوءَةِ فَٱلْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مُرُوءَتُهُ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْوَضِيعَةِ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلرَّفِيعَةِ وَمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلرَّفِيعَةِ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْوَضِيعَةِ • وَإِنَّ ٱلِٱرْتِفَاعَ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَٱلِٱنْحِطَاطَ مِنْهَا هَيِّنٌ كَٱلْحَجَرِ ٱلثَّقِيلِ رَفْعُهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ إِلَى ٱلْعَاتِقِ[4] عَسِرٌ وَوَضْعُهُ إِلَى ٱلْأَرْضِ هَيِّنٌ • فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ ما فَوْقَنَا مِنَ ٱلْمَنَازِلِ وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذٰلِكَ بِمُرُوءَتِنَا • ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِمَنْزِلَتِنَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ ٱلتَّحَوُّلَ عَنْهَا * قَالَ كَلِيلَةُ فَمَا ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ * قَالَ دِمْنَةُ أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هٰذِهِ ٱلْفُرْصَةِ لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ ضَعِيفُ

---

١ فقيرٌ متماسكٌ فيه ٢ مقدَّرة ٣ اي كلٌّ يطلبها ٤ ما بين العنق والكتف

اَلرَّأْيِ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَعَلَى جُنْدِهِ أَيْضاً وَلَعَلِّي عَلَى هٰذِهِ الْحالِ أَدْنُو مِنْهُ فَأُصِيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً وَمَكانَةً[1] فَيَبْتَدِرَنِي بِالْكَلامِ فَأُجِيبَهُ بِما تَقْدَحُهُ الْقَرِيحَةُ لَعَلَّها تُنْتِجُ بَيْنَنا نَتِيجَةً تُؤَدِّي إِلَى إِظْهارِ أَمْرٍ مَكْتُومٍ * قالَ كَلِيلَةُ وَما يُدْرِيكَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ * قالَ دِمْنَةُ بِالْحِسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذٰلِكَ مِنْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ ذا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حالَ صاحِبِهِ وَباطِنَ أَمْرِهِ بِما يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ وَشَكْلِهِ[2] * قالَ كَلِيلَةُ فَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصاحِبِ السُّلْطانِ وَلا لَكَ عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السَّلاطِينِ وَآدابِهِمْ وَآدابِ مَجالِسِهِمْ * قالَ دِمْنَةُ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لا يَنُوءُ بِهِ[3] الْحِمْلُ الثَّقِيلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عادَتُهُ الْحَمْلَ وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ لا يَسْتَقِلُّ بِهِ[4] وَإِنْ كانَ ذٰلِكَ مِنْ صِناعَتِهِ * قالَ كَلِيلَةُ فَإِنَّ السُّلْطانَ لا يَتَوَخَّى[5] بِكَرامَتِهِ فُضَلاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ وَلٰكِنَّهُ يُؤْثِرُ[6] الْأَدْنَى وَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ * قالَ دِمْنَةُ يُقالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطانِ فِي إِيثارِهِ الْأَفْضَلَ دُونَ الْأَدْنَى مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لا يَعْلَقُ إِلَّا بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ * قالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَمْ تَكُنْ دَنَوْتَ مِنْهُ مِنْ قَبْلُ

---

۱ بمعنى المنزلة ۲ كلاهما بمعنى ما يبدو من هيئته وحاله ۳ يثقل
٤ لا يحمله ٥ يتقصد من قبيل الاهتمام ٦ يفضل ويختار

قال دمنة قد فهمت كلامك جميعه وتدبرت[١] ما قلت وأنت صادق . لكن اعلم أن الذين لهم المنازل الرفيعة عند الملوك قد كانوا قبل أن يرقوا إليها ليست بحالتهم فيقربون بعد البعد ويدنون بعد التنائي[٢] وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدي . وقد قيل لا يواظب على باب السلطان الا من يطرح الأنفة[٣] ويحمل الأذى ويكظم[٤] الغيظ ويرفق[٥] بالناس ويكتم السر فإذا وصل إلى ذلك فقد بلغ مراده * قال كليلة هبك[٦] وصلت إلى الأسد فما توفيقك عنده الذي ترجو أن تنال به المنزلة عنده والحظوة[٧] لديه * قال دمنة لو دنوت منه وعرفت أخلاقه لرفقت في متابعته وقلة الخلاف له . وإذا أراد أمرا هو في نفسه صواب زينته له وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير وشجعته عليه وعلى الوصول إليه حتى يزداد به سرورا . وإذا أراد أمرا يخاف عليه ضره وشينه[٨] بصرته بما فيه من الضرر والشين وأطلعته على ما في تركه من النفع والزين بحسب ما أجد إليه السبيل . وأنا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد

١ اي تأملت واعتبرت ٢ التباعد ٣ عزة النفس ٤ يحبس
٥ يلطف ٦ احسب نفسك ٧ المكانة والكرامة ٨ اي عيبه

مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي ما لا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي . فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْأَدِيبَ ٱلرَّفِيقَ[1] لَوْ شَآءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ بَاطِلًا لَفَعَلَ . كَٱلْمُصَوِّرِ ٱلْماهِرِ ٱلَّذِي يُصَوِّرُ فِي ٱلْحِيطانِ صُوَرًا كَأَنَّها خارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخارِجَةٍ وَأُخْرَى كَأَنَّها داخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِداخِلَةٍ . فَإِذا هُوَ عَرَفَ ما عِنْدِي وَبانَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِي وَجُودَةُ فِكْرِي ٱلْتَمَسَ إِكْرامِي وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ

قالَ كَلِيلَةُ أَمَّا إِنْ قُلْتَ هٰذا أَوْ قُلْتَ هٰذا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلسُّلْطانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطِرَةٌ وَأُحَذِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِي أَرَدْتَهُ كَعِظَمِ خَطَرِهِ[2] عِنْدَكَ . وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَمآءُ إِنَّ ثَلاثَةً لا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ وَلا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ . وَهِيَ صُحْبَةُ ٱلسُّلْطانِ وَٱئْتِمانُ ٱلنِّسآءِ عَلَى ٱلْأَسْرارِ وَشُرْبُ ٱلسُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ . وَإِنَّما شَبَّهَ ٱلْعُلَمآءُ ٱلسُّلْطانَ بِٱلْجَبَلِ ٱلصَّعْبِ ٱلْمُرْتَقَى[3] ٱلَّذِي فِيهِ ٱلثِّمارُ ٱلطَّيِّبَةُ وَٱلْأَنْهارُ ٱلْجارِيَةُ وَٱلْجَواهِرُ ٱلنَّفِيسَةُ وَٱلْأَدْوِيَةُ ٱلنّافِعَةُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مَعْدِنُ ٱلسِّباعِ وَٱلنُّمُورِ وَٱلذِّئابِ وَكُلِّ ضارٍ مَخُوفٍ . فَالِارْتِقآءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ وَٱلْمُقامُ[4] فِيهِ أَشَدُّ * قالَ دِمْنَةُ صَدَقْتَ فِيما ذَكَرْتَ غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوالَ لَمْ

---

١ من الرفق وهو اللطف واللين ٢ شرفه ٣ الصعود اليه ٤ الاقامة

ينل الرغائب ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيماً[1]. وقد قيل إن خصالاً ثلاثة لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر[2]. منها صحبة السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو[3]. وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد إنه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما إما مع الملوك مكرماً أو مع النساك متعبداً. كالفيل إنما جماله وبهاؤه[4] في مكانين إما أن تراه في البرية وحشياً أو مركباً للملوك * قال كليلة خار الله لك[5] فيما عزمت عليه

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فعفر[6] وجهه بين يديه وسلم عليه * فقال الأسد لبعض جلسائه من هذا * فقال هذا دمنة بن سليط * قال قد كنت أعرف أباه . ثم سأله أين تكون * قال لم أزل مرابطاً باب الملك[7] داعياً له بالنصر ودوام البقاء . رجاء أن يحضر أمر فأعين الملك فيه بنفسي ورأيي . فإن أبواب الملوك تكثر فيها الأمور التي

---

١ اي امرًا جسيمًا اي عظيمًا ٢ قدر ومنزلة ٣ مباشرة قتا لو
٤ حسنه ٥ جعل لك الخير ٦ مرّغ ٧ مواظبا عليه

رُبما يحتاجُ فيها إلى الذي لا يُؤْبَهُ[1] لهُ . وليسَ أحدٌ يصغرُ أمرُهُ إلَّا وقد يكونُ عندهُ بعضُ الغَناءِ[2] والمنافعِ على قدرِهِ حتَّى العودُ الملقى في الأرضِ ربما نفعَ فيأخذُهُ الرجلُ فيحكُّ بهِ أذنهُ فيكونُ عُدَّتَهُ[3] عندَ الحاجةِ إليهِ * فلمَّا سمعَ الأسدُ قولَ دمنةَ أعجبهُ وطمعَ أنْ يكونَ عندهُ نصيحةٌ ورأيٌ . فأقبلَ على مَنْ حضرَ فقالَ إنَّ الرجلَ ذا النُّبلِ[4] والمروءةِ يكونُ خاملَ الذكرِ منخفضَ المنزلةِ فتأبى منزلتهُ إلَّا أنْ تشِبَّ[5] وترتفعَ كالشعلةِ من النارِ يضربُها صاحبُها وتأبى إلَّا ارتفاعًا

فلمَّا عرفَ دمنةُ أنَّ الأسدَ قد عجبَ منهُ وحسنَ عندهُ كلامُهُ قالَ أيُّها الملكُ إنَّ رعيَّةَ الملكِ تحضرُ بابهُ رجاءَ أنْ يعرفَ ما عندَها من علمٍ وافرٍ كالزرعِ المدفونِ الذي لا يُعرفُ فضلُهُ حتَّى يخرجَ ويظهرَ على وجهِ الأرضِ . فيجبُ على الملكِ أنْ يبلغَ بكلِّ امرئٍ مرتبتهُ على قدرِ رأيهِ وعلى قدرِ ما يجدُ عندهُ من المنفعةِ . وقد قيلَ أمرانِ لا ينبغي لأحدٍ أنْ يأتيهما[6] مثلُ أنْ يجعلَ الخلخالُ قلادةً للعنقِ ومثلُ أنْ تجعلَ

---

١ ينتبه ٢ بمعنى النفع ٣ عدَّة الشيء ما احتجت اليه فيه ٤ الذكاء والنجابة ٥ تهيج وتعلو ٦ اى يفعلها

ٱلْقِلَادَةُ خَلْخَالاً فِي ٱلرِّجْلِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ٱلْفَضْلَ فِي أَمْرَيْنِ
فَضْلِ ٱلْمُقَاتِلِ عَلَى ٱلْمُقَاتِلِ وَٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَالِمِ . وَإِنَّ كَثْرَةَ
ٱلْأَعْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبَرِينَ رُبَّمَا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى ٱلْعَمَلِ .
فَإِنَّ ٱلْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ ٱلْأَعْوَانِ وَلٰكِنْ بِصَالِحِي
ٱلْأَعْوَانِ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلْحَجَرَ ٱلثَّقِيلَ
فَيَقْتُلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَنًا . وَحَامِلُ ٱلْيَاقُوتِ وَإِنْ قَلَّ يَقْدِرُ
عَلَى بَيْعِهِ بِٱلْكَثِيرِ مِنَ ٱلْمَالِ . وَٱلْعَمَلُ ٱلَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى
ٱلْحِيَلِ وَٱلْخِدَاعِ لَا يَقْتَحِمُهُ إِلَّا أَفْهَمُ ٱلرِّجَالِ وَأَذْكَاهُمْ .
وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى ٱلْجُذُوعِ [1] لَا يُجْزِئُهُ [2] ٱلْقَصَبُ وَإِنْ
كَثُرَ * فَأَنْتَ ٱلْآنَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ لَا تَحْقِرَ مُرُوءَةً أَنْتَ
تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ ٱلْمَنْزِلَةِ فَإِنَّ ٱلصَّغِيرَ رُبَّمَا عَظُمَ كَٱلْعَصَبِ
ٱلَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ ٱلْمَيْتَةِ فَإِذَا عُمِلَتْ مِنْهُ ٱلْقَوْسُ أُكْرِمَ فَتَقْبِضُ
عَلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي ٱلْبَأْسِ وَٱللَّهْوِ *

وَأَحَبَّ دِمْنَةُ أَنْ يُرِيَ ٱلْقَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ ٱلْمَلِكِ
إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذٰلِكَ أَنَّ ذٰلِكَ

---

١ جمع جذع وهو ساق النخلة ٢ يغنيه ويكفيه .

لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ • فَقالَ إِنَّ السُّلْطانَ لا يُقَرِّبُ الرِّجالَ لِقُرْبِ آبائِهِمْ وَلا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ وَلٰكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلى كُلِّ رَجُلٍ بِما عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ وَمِنْ جَسَدِهِ ما يَدْوَى[1] حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلا يَدْفَعُ ذٰلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالدَّواءِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدُ

(فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ مَقالَتِهِ هٰذِهِ أُعْجِبَ الْأَسَدُ بِهِ[2] إِعْجابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ وَزادَ فِي كَرامَتِهِ • ثُمَّ قالَ الْمَلِكُ لِجُلَسائِهِ يَنْبَغِي لِلسُّلْطانِ أَنْ لا يُلِجَّ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي الْحُقُوقِ فَإِنَّ عاقِبَةَ ذٰلِكَ رَدِيئَةٌ حَتَّى مِمَّنْ لا يُتَوَقَّعُ أَذاهُ • وَالنَّاسُ فِي ذٰلِكَ رَجُلانِ رَجُلٌ طَبْعُهُ الشَّراسَةُ فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطِئَها[3] الْواطِئُ فَلَمْ تَلْدَغْهُ لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغُرَّهُ ذٰلِكَ مِنْها فَيَعُودَ إِلى وَطْئِها ثانِيَةً فَتَلْدَغُهُ • وَرَجُلٌ أَصْلُ طِباعِهِ السُّهُولَةُ فَهُوَ كَالصَّنْدَلِ[4] الْبارِدِ الَّذِي إِذا أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ صارَ حارًّا مُؤْذِيًا)

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْنَسَ بِالْأَسَدِ وَخَلا بِهِ فَقالَ لَهُ يَوْمًا

---

١ يصيبه داء ٢ اعجبه ٣ داسها ٤ نوع من الخشب

رَأَيْتُ ٱلْمَلِكَ قَدْ أَقامَ فِي مَكَانٍ واحِدٍ لا يَبْرَحُ مِنْهُ خِلافًا لِمَأْلُوفِهِ وَهُوَ أَعْظَمَهُ ٱللهُ مَنِيعُ ٱلْجانِبِ نافِذُ ٱلْأَمْرِ آمِنُ ٱلسَّاحَةِ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَتَطاوَلَ عَلَيْهِ بِٱلِٱسْتِفْهامِ عَلَى وَجْهِ ٱلنَّصِيحَةِ فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ ٱلْخَفِيَّةَ لا يُظْهِرُها إِلَّا ٱلْبَحْثُ عَنْها فَإِذا أُظْهِرَتْ أُجِيلَتِ ٱلْفِكْرَةُ فِيها * فَبَيْنَما هُما فِي هٰذا ٱلْحَدِيثِ إِذْ خارَ شَتْرَبَةُ خُوارًا[1] شَدِيدًا فَهَيَّجَ ٱلْأَسَدَ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِما نالَهُ . وَعَلِمَ دِمْنَةُ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ قَدْ أَدْخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ رِيبَةً[2] وَهَيْبَةً . فَسَأَلَهُ هَلْ رابَ ٱلْمَلِكَ[3] سَماعُ هٰذا ٱلصَّوْتِ * قالَ لَمْ يَرِبْنِي شَيْءٌ سِوَى ذٰلِكَ وَهُوَ ٱلَّذِي حَبَسَنِي هٰذِهِ ٱلْمُدَّةَ فِي مَكانِي . وَقَدْ صَحَّ[4] عِنْدِي مِنْ طَرِيقِ ٱلْقِياسِ أَنَّ جُثَّةَ صاحِبِ هٰذا ٱلصَّوْتِ ٱلْمُنْكَرِ[5] ٱلَّذِي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ صَوْتَهُ تابِعٌ لِبَدَنِهِ . فَإِنْ يَكُنْ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ لَنا مَعَهُ قَرارٌ وَلا مُقامٌ[6] * قالَ دِمْنَةُ لَيْسَ ٱلْمَلِكُ بِحَقِيقٍ[7] أَنْ يَدَعَ مَكانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ . فَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ ٱلْأَصْواتِ تَجِبُ ٱلْهَيْبَةُ * قالَ ٱلْأَسَدُ وَما مَثَلُ ذٰلِكَ

---

١ الخوار صوت الثور وقد مرّ ٢ شيئًا يكرهه ٣ ادخل عليه ريبة
٤ ثبت ٥ اى الكريه القبيح ٦ اقامة وقد مرّ ٧ بأهل

قالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَباً أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ وَكُلَّمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا فَضَرَبَتِ ٱلطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ بَاهِرٌ[1] فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْماً فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ٱلشَّحْمِ وَٱللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ قَالَ لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ[2] ٱلْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا[3] صَوْتاً وَأَعْظَمُهَا جُثَّةً .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ هٰذَا ٱلصَّوْتَ ٱلَّذِي رَاعَنَا[4] لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ لَوَجَدْنَاهُ أَيْسَرَ مِمَّا فِي أَنْفُسِنَا . فَإِنْ شَاءَ ٱلْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى آتِيَهُ بِبَيَانِ هٰذَا ٱلصَّوْتِ . فَوَافَقَ ٱلْأَسَدَ قَوْلُهُ فَأَذِنَ لَهُ فِي ٱلذَّهَابِ نَحْوَ ٱلصَّوْتِ .

فَٱنْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي فِيهِ شَتْرَبَةُ . فَلَمَّا فَصَلَ[5] دِمْنَةُ مِنْ عِنْدِ ٱلْأَسَدِ فَكَّرَ ٱلْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةَ حَيْثُ أَرْسَلَهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا أَصَبْتُ فِي ٱئْتِمَانِي دِمْنَةَ وَإِطْلَاعِهِ عَلَى سِرِّي وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحاً . فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي يَحْضُرُ بَابَ ٱلْمَلِكِ إِذَا كَانَ قَدْ أُطِيلَتْ

---

١ نحو عظيم ٢ اضعف ٣ اعلاها ٤ افزعنا ٥ خرج

جَفْوَتِهِ[١] مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ[٢] كَانَ مِنْهُ · أَوْ كَانَ مَبْغِيًّا عَلَيْهِ[٣] عِنْدَ سُلْطَانِهِ · أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِٱلشَّرَهِ وَٱلْحِرْصِ · أَوْ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ ضُرٌّ[٤] وَضِيقٌ فَلَمْ يَنْعَشْهُ[٥] · أَوْ كَانَ قَدِ ٱجْتَرَمَ جُرْمًا فَهُوَ يَخَافُ ٱلْعُقُوبَةَ مِنْهُ · أَوْ كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ ٱلْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ · أَوْ يَخَافُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُهُ ضَرًّا · أَوْ كَانَ لِعَدُوِّ ٱلْمَلِكِ سِلْمًا[٦] وَلِسِلْمِهِ حَرْبًا[٧] · أَوْ كَانَ قَدْ حِيلَ[٨] بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِي يَدَيْهِ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ · أَوْ بَاعَدَهُ · أَوْ طَرَدَهُ · فَلَيْسَ ٱلسُّلْطَانُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَعْجَلَ فِي ٱلِٱسْتِرْسَالِ إِلَى هٰؤُلَاءِ[٩] وَٱلثِّقَةِ بِهِمْ وَٱلِٱئْتِمَانِ لَهُمْ * وَإِنَّ دِمْنَةَ دَاهِيَةٌ[١٠] أَدِيبٌ وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحًا مَجْفُوًّا · وَلَعَلَّهُ قَدِ ٱحْتَمَلَ عَلَيَّ بِذٰلِكَ ضِغْنًا[١١] · وَلَعَلَّ ذٰلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَى خِيَانَتِي وَإِعَانَةِ عَدُوِّي وَنَقِيصَتِي[١٢] عِنْدَهُ · وَلَعَلَّهُ أَنْ يُصَادِفَ صَاحِبَ ٱلصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا[١٣] مِنِّي فَيَرْغَبَ بِهِ عَنِّي وَيَمِيلَ مَعَهُ عَلَيَّ · وَلَقَدْ كَانَ ٱلْوَاجِبُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَى صَاحِبِ هٰذَا ٱلصَّوْتِ بِنَفْسِي · وَلَمْ يَزَلِ ٱلْأَسَدُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَمْثَالِ ذٰلِكَ حَتَّى

---

١ مقاطعة ٢ دنب ٣ مظلوماً ٤ سوء حالة ٥ ينهضه
٦ مسالماً ٧ محارباً ٨ اعترض ٩ بمعنى الاستئمان لهم والاطمئنان اليهم ١٠ ذو دهاء اى حذق وبراعة والتاء للمبالغة ١١ حقداً ١٢ ثلبي وذمي
١٣ السلطان قوة الملك

جَعَلَ يَمْشِي وَيَنْظُرُ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي سارَ فِيها دِمْنَةُ فَلَمْ يَمْشِ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى بَصُرَ بِدِمْنَةَ[1] مُقْبِلًا نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذٰلِكَ وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ

وَدَخَلَ دِمْنَةُ عَلَيْهِ فَقالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ ماذا صَنَعْتَ وَماذا رَأَيْتَ * قالَ رَأَيْتُ ثَوْرًا وَهُوَ صاحِبُ ٱلْخُوارِ وَٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي سَمِعْتَهُ * قالَ فَما قُوَّتُهُ * قالَ لا شَوْكَةَ[2] لَهُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَحاوَرْتُهُ مُحاوَرَةَ ٱلْأَكْفاءِ[3] فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا * قالَ ٱلْأَسَدُ لا يَغُرَّنَّكَ ذٰلِكَ مِنْهُ وَلا يَصْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ ٱلشَّدِيدَةَ لا تَعْبَأُ[4] بِضَعِيفِ ٱلْحَشِيشِ[5] لٰكِنَّها تَحْطِمُ طِوالَ[6] ٱلنَّخْلِ وَعَظِيمَ ٱلشَّجَرِ وَتَقْلَعُ ٱلدَّوْحَةَ[7] ٱلْعاتِيَةَ[8] مِنْ مَوْضِعِها * قالَ دِمْنَةُ لا تَهابَنَّ أَيُّها ٱلْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا وَلا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ فَأَنا عَلَى[9] ضَعْفِي آتِيكَ بِهِ فَيَكُونُ لَكَ عَبْدًا سامِعًا مُطِيعًا * قالَ ٱلْأَسَدُ دُونَكَ ما بَدا لَكَ وَقَدْ تَعَلَّقَ أَمَلُهُ بِهِ . فَٱنْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى ٱلثَّوْرِ فَقالَ لَهُ غَيْرَ هائِبٍ وَلا مُكْتَرِثٍ إِنَّ ٱلْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِآتِيَهُ بِكَ وَأَمَرَنِي إِنْ أَنْتَ عَجِلْتَ إِلَيْهِ أَنْ أُؤَمِّنَكَ عَلَى ما

---

١ لمحة ٢ باس وشدة ٣ الأمثال ٤ تكترث ٥ العسب اليابس ٦ تكسر ٧ الشجرة العظيمة ٨ المتكبرة ٩ بمعنى مع

سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ فِي ٱلتَّأَخُّرِ عَنْهُ وَتَرْكِكَ لِقَاءَهُ[١] . وَإِنْ أَنْتَ تَأَخَّرْتَ وَأَحْجَمْتَ[٢] أَنْ أُعَجِّلَ ٱلرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأُخْبِرَهُ * قَالَ لَهُ شَتْرَبَةُ وَمَنْ هٰذَا ٱلْأَسَدُ ٱلَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ وَأَيْنَ هُوَ وَمَا حَالُهُ * قَالَ دِمْنَةُ هُوَ مَلِكُ ٱلسِّبَاعِ وَهٰذِهِ ٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا لَهُ وَهُوَ بِمَكَانِ كَذَا وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ . فَرُعِبَ شَتْرَبَةُ مِنْ ذِكْرِ ٱلْأَسَدِ وَٱلسِّبَاعِ وَقَالَ إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ ٱلْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ ٱلْأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ وَٱلثَّوْرُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا عَلَى ٱلْأَسَدِ * فَأَحْسَنَ ٱلْأَسَدُ إِلَى ٱلثَّوْرِ وَقَرَّبَهُ وَقَالَ لَهُ مَتَى قَدِمْتَ هٰذِهِ ٱلْبِلَادَ وَمَا أَقْدَمَكَهَا[٣] . فَقَصَّ شَتْرَبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ ٱصْحَبْنِي وَٱلْزَمْنِي فَإِنِّي مُكْرِمُكَ وَمُحْسِنٌ إِلَيْكَ . فَدَعَا لَهُ ٱلثَّوْرُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَٱنْصَرَفَ وَقَدْ أُعْجِبَ بِهِ ٱلْأَسَدُ إِعْجَابًا شَدِيدًا لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ عَقْلِهِ وَأَدَبِهِ * ثُمَّ إِنَّهُ قَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَأَنِسَ بِهِ وَٱئْتَمَنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ تَزِدْهُ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا عُجْبًا بِهِ[٤] وَرَغْبَةً فِيهِ وَتَقْرِيبًا لَهُ حَتَّى صَارَ أَخَصَّ أَصْحَابِهِ

---

١ اتيانه ٢ بمعنى تاخرت ٣ جعلك تقدمها ٤ اى رضىً شديدًا له

عِنْدَهُ مَنْزِلَةً

فَلَمَّا رَأَى دِمْنَةُ أَنَّ ٱلثَّوْرَ قَدِ ٱخْتَصَّ بِٱلْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَلَهْوِهِ حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ. فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ وَقَالَ لَهُ أَلَا تَعْجَبُ يَا أَخِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي وَصُنْعِي بِنَفْسِي وَنَظَرِي فِيمَا يَنْفَعُ ٱلْأَسَدَ وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى ٱلْأَسَدِ ثَوْرًا غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ أَصَابَكَ مَا أَصَابَ ٱلنَّاسِكَ * قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ[١] مِنْ بَعْضِ ٱلْمُلُوكِ كُسْوَةً فَاخِرَةً فَبَصُرَ بِهِ سَارِقٌ فَطَمِعَ فِي ٱلثِّيَابِ وَعَمِلَ عَلَى سَرِقَتِهَا[٢]. فَأَتَى ٱلنَّاسِكَ وَقَالَ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكَ فَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَآخُذَ عَنْكَ. فَأَذِنَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ فِي صُحْبَتِهِ فَصَحِبَهُ مُتَشَبِّهًا بِهِ وَرَفَقَ[٣] لَهُ فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أَمِنَهُ ٱلنَّاسِكُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ[٤]. فَرَصَدَهُ[٥] حَتَّى إِذَا ظَفِرَ بِهِ وَأَمْكَنَتْهُ ٱلْفُرْصَةُ أَخَذَ تِلْكَ ٱلثِّيَابَ فَذَهَبَ بِهَا * فَلَمَّا فَقَدَ ٱلنَّاسِكُ ثِيَابَهُ عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ

---

١ نال ٢ اى نواها وسعى فيها ٣ لان ولطف ٤ ركن اليه وامنه
٥ ترقبه

قَدْ أَخَذَها فَتَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ . فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِوَعِلَيْنِ[١] يَتَناطَحانِ حَتَّى سالَتْ دِماؤُهُما . فَجاءَ ثَعْلَبٌ يَلَغُ[٢] فِي تِلْكَ الدِّماءِ وَيَتَحَكَّكُ بِهِما وَيُزاحِمُهُما فَغَضِبا مِنْهُ وَأَقْبَلا عَلَيْهِ بِنِطاحِهِما فَقَتَلاهُ * فَعَجِبَ النّاسِكُ مِنْ ذٰلِكَ وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ إِحْدَى الْمُدُنِ فَلَمْ يَجِدْ فِيها قِرًى[٣] إِلَّا بَيْتَ ٱمْرَأَةٍ فَنَزَلَ بِها وَٱسْتَضافَها[٤] وَكانَتْ لِلْمَرْأَةِ جارِيَةٌ تُؤاجِرُها[٥] . وَكانَتِ الْجارِيَةُ قَدْ عَلِقَتْ[٦] رَجُلاً تُرِيدُ أَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلاً لَها وَقَدْ أَضَرَّ ذٰلِكَ بِمَوْلاتِها وَلَمْ يَكُنْ لَها سَبِيلٌ إِلَى مُدافَعَتِهِ . فَٱحْتالَتْ لِقَتْلِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي ٱسْتَضافَها فِيها النّاسِكُ * ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ وافَى[٧] فَسَقَتْهُ مِنَ الْخَمْرَةِ حَتَّى سَكِرَ وَنامَ . فَلَمّا ٱسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ وَنامَ مَنْ فِي الْبَيْتِ عَمَدَتْ[٨] لِسُمٍّ كانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهُ[٩] فِي قَصَبَةٍ لِتَنْفُخَهُ فِي أَنْفِ الرَّجُلِ . فَلَمّا أَرادَتْ ذٰلِكَ بَدَرَتْ[١٠] مِنْ أَنْفِهِ عَطْسَةٌ فَعَكَسَتِ السُّمَّ إِلَى حَلْقِ الْمَرْأَةِ فَوَقَعَتْ مَيْتَةً . وَكُلُّ ذٰلِكَ بِعَيْنِ النّاسِكِ وَسَمْعِهِ

فَلَمّا رَأَى ذٰلِكَ لَمْ يُصَدِّقْ أَنْ طَلَعَ الصَّباحُ حَتَّى خَرَجَ

---

١ الوعل الانثى من تيوس الجبل ٢ يشرب بلسانه كالكلب ٣ ضيافة
٤ طلب منها ان تضيفه ٥ تستخدمها بالاجرة ٦ احبت ٧ جاءَ
٨ قصدت ٩ هيأته ١٠ سبقت واسرعت

يَبْتَغِي مَنْزِلاً غَيْرَهُ. فَاسْتَضَافَ رَجُلاً إِسْكَافاً فَأَتَى بِهِ ٱمْرَأَتَهُ وَقَالَ لَهَا ٱنْظُرِي إِلَى هٰذَا ٱلنَّاسِكِ وَأَكْرِمِي مَثْوَاهُ (١) وَقُومِي بِخِدْمَتِهِ فَقَدْ دَعَانِي بَعْضُ أَصْدِقَائِي لِلشُّرْبِ عِنْدَهُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ ذَاهِباً. وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ ٱبْنَةٌ تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَهَا لِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا يُرِيدُهُ. فَكَانَ ٱلرَّجُلُ يَخْتَلِفُ (٢) إِلَى ٱلْبَيْتِ فِي غِيَابِ زَوْجِهَا وَٱلْوَسِيطُ بَيْنَهُمَا ٱمْرَأَةُ حَجَّامٍ (٣). فَأَرْسَلَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ إِلَى ٱمْرَأَةِ ٱلْحَجَّامِ تَأْمُرُهَا بِٱلْمَصِيرِ (٤) إِلَيْهَا وَتُعَرِّفُ ٱلرَّجُلَ غِيَابَ زَوْجِهَا وَقَالَتْ إِنَّ زَوْجِي قَدْ ذَهَبَ لِيَشْرَبَ عِنْدَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ وَإِنْ عَادَ لَا يَعُودُ إِلَّا سَكْرَانَ فَقُولِي لَهُ يُسْرِعِ ٱلْكَرَّةَ (٥). ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ جَاءَ فَقَعَدَ عَلَى ٱلْبَابِ يَنْتَظِرُ ٱلْإِذْنَ وَوَافَقَ ذٰلِكَ مَجِيءُ ٱلْإِسْكَافِ سَكْرَانَ فَرَأَى ٱلرَّجُلَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَٱرْتَابَ بِهِ فَلَمْ يُكَلِّمْهُ وَدَخَلَ مُغْضَباً (٦) إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَأَوْجَعَهَا ضَرْباً. ثُمَّ أَوْثَقَهَا (٧) فِي أُسْطُوَانَةٍ (٨) فِي ٱلْمَنْزِلِ وَذَهَبَ فَنَامَ لَا يَعْقِلُ* وَجَاءَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ تُعْلِمُهَا أَنَّ ٱلرَّجُلَ قَدْ أَطَالَ ٱلْجُلُوسَ فَقَالَتْ لَهَا ٱنْظُرِي إِلَى مَا أَنَا

---

١ اي ضيافته ٢ يتردد ٣ حلاّق ٤ اي بالمجيء
٥ اي تعجل المجيء ٦ غضبان ٧ ربطها ٨ عمود

فِيهِ بِسَبَبِهِ. فَإِنْ شِئْتِ وَأَحْسَنْتِ إِلَيَّ وَحَلَلْتِنِي وَرَبَطْتُكِ مَكَانِي حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَأُعَجِّلَ ٱلْعَوْدَةَ. فَأَجَابَتْهَا ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ إِلَى ذٰلِكَ وَحَلَّتْهَا وَٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَأَوْثَقَتْ هِيَ نَفْسَهَا مَكَانَهَا. فَٱسْتَيْقَظَ ٱلْإِسْكَافُ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ زَوْجَتُهُ فَنَادَاهَا بِٱسْمِهَا فَلَمْ تُجِبْهُ ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ وَخَافَتْ مِنَ ٱلْفَضِيحَةِ أَنْ يُنْكِرَ صَوْتَهَا[1]. ثُمَّ دَعَاهَا ثَانِيَةً فَلَمْ تُجِبْهُ. فَٱمْتَلَأَ غَيْظًا وَحَنَقًا وَقَامَ نَحْوَهَا بِٱلشَّفْرَةِ[2] فَجَدَعَ[3] أَنْفَهَا وَقَالَ خُذِي هٰذَا فَأَتْحِفِي بِهِ صَدِيقَكِ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهَا ٱمْرَأَتُهُ * ثُمَّ جَاءَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ فَرَأَتْ صُنْعَ زَوْجِهَا بِٱمْرَأَةِ ٱلْحَجَّامِ فَسَاءَهَا ذٰلِكَ وَأَكْبَرَتْهُ[4] وَحَلَّتْ وِثَاقَهَا[5] فَٱنْطَلَقَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا مَجْدُوعَةَ ٱلْأَنْفِ وَكُلُّ ذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلنَّاسِكِ وَسَمْعِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْإِسْكَافِ جَعَلَتْ تَبْتَهِلُ وَتَدْعُو عَلَى زَوْجِهَا ٱلَّذِي ظَلَمَهَا. وَتَقُولُ ٱللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ زَوْجِي قَدْ ظَلَمَنِي فَأَعِدْ عَلَيَّ أَنْفِي صَحِيحًا. ثُمَّ رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَنَادَتْ زَوْجَهَا أَيُّهَا ٱلْفَاجِرُ ٱلظَّالِمُ قُمْ فَٱنْظُرْ كَيْفَ صُنْعُكَ بِي وَصُنْعُ ٱللّٰهِ بِي كَيْفَ رَحِمَنِي وَرَدَّ أَنْفِي صَحِيحًا كَمَا

١ اي يلتبس عليه ٢ السكين ٣ قطع ٤ عدته امرًا كبيرًا
٥ رباطها

كانَ فقامَ وَأَوْقدَ ٱلْمِصْباحَ وَنظَرَ فاذا أَنفُ زَوْجتِهِ صَحيحٌ ·
فَٱستغفرَ إِليْها وتابَ عَنْ ذَنْبِهِ وَٱستغفرَ إِلى رَبِّهِ * وَأَمَّا ٱمْرَأَةُ
ٱلْحجَّامِ فإِنَّها لمَّا وَصلَتْ إِلى مَنْزِلِها تفكَّرَتْ فِي طَلَبِ ٱلْعذْرِ
عِنْدَ زَوْجِها وَأَهْلِها فِي جَدْعِ أَنفِها وَرَفْعِ ٱلِٱلْتِباسِ ·فَلَمَّا كانَ
عِنْدَ ٱلسَّحَرِ ٱستَيْقَظَ ٱلْحجَّامُ فقالَ لِٱمْرَأَتِهِ هاتِي أَدَواتِي[1] كُلَّها
فَإِنِّي أُرِيدُ ٱلْمُضِيَّ إِلى بعضِ ٱلْأَشْرافِ ·فَأَتَتْهُ بِٱلْموسَى · فقالَ
لَها هاتِي ٱلْأَدَواتِ جَمِيعَها فلَمْ تأْتِهِ إِلَّا بِٱلْموسَى · فَغَضِبَ حِينَ
أَطالَتِ ٱلتَّكْرارَ وَرَماها بِهِ فَوَلْوَلَتْ وَصاحَتْ أَنفِي أَنفِي وَجَلَبَتْ[2]
حَتَّى جاءَ أَهْلُها وَأَقرِباؤُها فرَأَوْها على تِلْكَ ٱلْحالةِ فَأَخَذُوا ٱلْحجَّامَ
فَٱنطَلَقُوا بِهِ إِلى ٱلْقاضِي · فقالَ لَهُ ٱلْقاضِي ما حمَلَكَ على
جَدْعِ أَنفِ ٱمْرَأَتِكَ · فَلَمْ تكُنْ لَهُ حُجَّةٌ يَحتَجُّ بِها. فَأَمَرَ بِهِ
ٱلْقاضِي أَنْ يُقتَصَّ مِنهُ[3] *فَلَمَّا قُدِّمَ لِلْقِصاصِ وافَى[4] ٱلنَّاسِكُ
فَتَقَدَّمَ إِلى ٱلْقاضِي وَقالَ لَهُ أَيُّها ٱلْحاكِمُ لا يشْتَبِهَنَّ عَلَيْكَ
هٰذا ٱلْأَمْرُ فَإِنَّ ٱللِّصَّ لَيْسَ هُوَ ٱلَّذِي سَرَقَنِي · وَإِنَّ ٱلثَّعْلَبَ
لَيْسَ ٱلْوَعِلانِ قتَلاهُ · وَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ لَيْسَ ٱلسُّمُّ قتَلَها · وَإِنَّ ٱمْرَأَةَ

---

١ آلات صناعتي ٢ من الجلبة وهي الصياح ٣ يعاقب ٤ جاءَ

ٱلْحَجَّامِ لَيْسَ زَوْجُهَا جَدَعَ أَنْفَهَا وَإِنَّمَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذٰلِكَ بِأَنْفُسِنَا • فَسَأَلَهُ ٱلْقَاضِي عَنِ ٱلتَّفْسِيرِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْقِصَّةِ • فَأَمَرَ ٱلْقَاضِي بِإِطْلَاقِ ٱلْحَجَّامِ

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ وَهُوَ شَبِيهٌ بِأَمْرِي • وَلَعَلِّي مَا ضَرَّنِي أَحَدٌ سِوَى نَفْسِي وَلٰكِنْ مَا ٱلْحِيلَةُ * قَالَ كَلِيلَةُ أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ * قَالَ دِمْنَةُ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ ٱلْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ مَنْزِلَتِي عِنْدَ ٱلْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ • وَلٰكِنْ أَلْتَمِسُ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا كَانَتْ حَالِي عَلَيْهِ • فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً ٱلْعَاقِلُ جَدِيرٌ بِٱلنَّظَرِ فِيهَا وَٱلِٱحْتِيَالِ لَهَا بِجُهْدِهِ • مِنْهَا ٱلنَّظَرُ فِيمَا مَضَى مِنَ ٱلضَّرِّ وَٱلنَّفْعِ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنَ ٱلضَّرِّ ٱلَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلضَّرِّ • وَيَلْتَمِسَ ٱلنَّفْعَ ٱلَّذِي مَضَى وَيَحْتَالَ لِمُعَاوَدَتِهِ. وَمِنْهَا ٱلنَّظَرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ وَٱلْمَضَارِّ وَٱلِٱسْتِيثَاقِ[1] مِمَّا يَنْفَعُ وَٱلْهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ • وَمِنْهَا ٱلنَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ قِبَلِ ٱلنَّفْعِ وَمَا يَخَافُ مِنْ قِبَلِ ٱلضَّرِّ لِيَسْتَتِمَّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى مَا

١ احد الوثيقة وهي ما يعتمد عليه

يخافُ بجهدِهِ

وَإِنِّي لمَّا نظرتُ فِي ٱلْأَمرِ ٱلَّذِي بِهِ أَرجو أَنْ تعودَ منزلتِي وما غُلبتُ عليهِ مِمَّا كُنتُ فيهِ لمْ أَجِدْ حيلةً ولا وجهًا إِلَّا ٱلِاحتيالَ لِآكِلِ ٱلعُشبِ(١) هٰذا حتَّى أُفرِّقَ بينَهُ وبينَ ٱلحياةِ فإِنَّهُ إِنْ فارقَ ٱلأَسدَ عادتْ لِي منزلتِي . ولعلَّ ذٰلكَ يكونُ خيرًا للأَسدِ فإِنَّ إِفراطَهُ فِي تقريبِ ٱلثورِ خليقٌ أَنْ يَشينَهُ ويضرَّهُ فِي أَمرِهِ * قالَ كليلةُ ما أَرى علَى ٱلأَسدِ فِي رأْيِهِ فِي ٱلثورِ ومكانِهِ منهُ ومنزلتِهِ عندَهُ شينًا ولا شرًّا * قالَ دمنةُ إِنَّما يُؤْتى ٱلسُّلطانُ(٢) ويفسدُ أَمرُهُ مِنْ قبلِ ستَّةِ أَشياءَ . ٱلحِرمانِ وَٱلفتنةِ وَٱلهوى وَٱلفظاظةِ وَٱلزمانِ وَٱلخُرقِ * فأَمَّا ٱلحِرمانُ فأَنْ يُحرَمَ مِنْ صالحِي ٱلأَعوانِ وَٱلنُّصحاءِ وَٱلساسةِ(٣) مِنْ أَهلِ ٱلرَّأْيِ وَٱلنَّجدةِ(٤) وَٱلأَمانةِ وأَنْ يكونَ مَنْ حولَهُ فاسِدًا مانِعًا مِنْ وُصولِ أُمورِ ٱلمُلْكِ إِلَيْهِ . وأَنْ يحرِمَ هوَ أَهلَ ٱلنَّصيحةِ وَٱلصَّلاحِ مِنْ عنايتِهِ وَٱلتفاتِهِ إِليهِمْ * وأَمَّا ٱلفتنةُ فهِيَ تحارُبُ رعيتِهِ ووقوعُ ٱلخِلافِ وَٱلنِّزاعِ بينَهُمْ * وأَمَّا ٱلهوى

١ يريد به الثور ٢ يوجد عليه السبيل ٣ جمع سائس من سياسة الدولة
٤ الشدة والباس

فَٱلْإِغْرامُ(١) بِٱلنِّساءِ وَٱلْحَدِيثُ وَٱللَّهْوُ وَٱلشَّرابُ وَٱلصَّيْدُ وَما أَشْبَهَ ذٰلِكَ * وَأَمَّا ٱلْفَظاظَةُ فَهِيَ إِفْراطُ ٱلشِّدَّةِ حَتَّى يَجْمَحَ ٱللِّسانُ بِٱلشَّتْمِ(٢) وَٱلْيَدُ بِٱلْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِما * وَأَمَّا ٱلزَّمانُ فَهُوَ ما يُصِيبُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلسِّنِينَ(٣) مِنَ ٱلْمُوتانِ(٤) وَنَقْصِ ٱلثَّمَراتِ وَٱلْغَزَواتِ(٥) وَأَشْباهِ ذٰلِكَ * وَأَمَّا ٱلْخُرْقُ فَإِعْمالُ ٱلشِّدَّةِ فِي مَوْضِعِ ٱللِّينِ وَٱللِّينِ فِي مَوْضِعِ ٱلشِّدَّةِ * وَإِنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ بِٱلثَّوْرِ إِغْراماً شَدِيداً هُوَ ٱلَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ * قالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ تُطِيقُ ٱلثَّوْرَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى ٱلْأَسَدِ مِنْكَ وَأَكْثَرُ أَعْواناً . قالَ دِمْنَةُ لا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضَعْفِي فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ لَيْسَتْ بِٱلضَّعْفِ وَلا ٱلْقُوَّةِ وَلا ٱلصِّغَرِ وَلا ٱلْكِبَرِ فِي ٱلْجُثَّةِ . فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهائِهِ وَرَأْيِهِ ما يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَقْوِياءِ . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ غُراباً ضَعِيفاً ٱحْتالَ لِأَسْوَدَ(٦) حَتَّى قَتَلَهُ * قالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غُراباً كانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى

---

١ الولع ٢ سبق اليه ٣ السنين التي فيها الشدة والضيق
٤ موت المواشي ٥ الحروب ٦ حية عظيمة

جَبَلٍ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ ثُعْبَانٍ[1] أَسْوَدَ . فَكَانَ ٱلْغُرَابُ إِذَا أَفْرَخَ عَمَدَ ٱلْأَسْوَدُ إِلَى فِرَاخِهِ فَأَكَلَهَا . فَبَلَغَ ذٰلِكَ مِنَ الْغُرَابِ[2] فَأَحْزَنَهُ فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى وَقَالَ لَهُ أُرِيدُ مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ وَمَا هُوَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ فَأَنْقُرَ عَيْنَيْهِ فَأَفْقَأَهُمَا لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ ٱبْنُ آوَى بِئْسَ ٱلْحِيلَةُ ٱلَّتِي ٱحْتَلْتَ فَٱلْتَمِسْ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بُغْيَتَكَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرِّرَ بِنَفْسِكَ[3] وَتُخَاطِرَ بِهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ ٱلْعُلْجُومِ[4] ٱلَّذِي أَرَادَ قَتْلَ ٱلسَّرَطَانِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ ٱلْغُرَابُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱبْنُ آوَى زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ ٱلسَّمَكِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ[5] إِلَى مَا فِيهَا مِنَ ٱلسَّمَكِ فَيَأْكُلُ مِنْهُ . فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ثُمَّ هَرِمَ[6] فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ . فَجَلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ ٱلْحِيلَةَ فِي أَمْرِهِ فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَآبَةِ[7] وَٱلْحُزْنِ . فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ

---

١ حية ٢ اي عظم عنده ٣ تعرضها للهلكة ٤ طائر ٥ يتردد
٦ شاخ ٧ الغم

لَهُ مالي أَراكَ أَيُّهـا ٱلطَّائِرُ هٰكَذا حَزِيناً كَئِيباً • قالَ ٱلْعُلْجُومُ
وَكَيفَ لا أَحزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدِ ما هٰهُنا مِنَ ٱلسَّمَكِ •
وَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّا بِهٰذا ٱلْمَكانِ فَقالَ أَحَدُهُما
لِصاحِبِهِ إِنَّ هٰهُنا سَمَكاً كَثِيرًا أَفَلا نَصِيدُهُ أَوَّلاً • فَقالَ
ٱلْآخَرُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكانِ كَذا سَمَكاً أَكْثَرَ مِنْ هٰذا
ٱلسَّمَكِ فَلْنَبْدَأْ بِذٰلِكَ فَإِذا فَرَغْنا مِنْهُ جِئْنا إِلَى هٰذا فَأَفْنَيْناهُ •
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُما إِذا فَرَغا مِمَّا ثَمَّ[1] أَنْتَهَيا إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَجَمَةِ
فَٱصْطادا ما فِيها • فَإِذا كانَ ذٰلِكَ فَهُوَ هَلاكِي وَنَفادُ[2] مُدَّتِي *
فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّرَطانُ إِلَى جَماعَةِ ٱلسَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ • فَأَقْبَلْنَ
عَلَى ٱلْعُلْجُومِ فَٱسْتَشَرْنَهُ وَقُلْنَ لَهُ إِنَّا أَتَيْناكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنا فَإِنَّ
ذا ٱلْعَقْلِ لا يَدَعُ مُشاوَرَةَ عَدُوِّهِ وَبَقاؤُكَ بِبَقائِنا • قالَ ٱلْعُلْجُومُ
أَمَّا مُكابَرَةُ[3] ٱلصَّيَّادَيْنِ فَلا طاقَةَ لِي بِها[4] • وَلا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا
ٱلْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ[5] قَرِيبٍ مِنْ هُنا فِيهِ سَمَكٌ وَمِياهٌ كَثِيرَةٌ
وَقَصَبٌ • فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُنَّ ٱلِٱنْتِقالَ إِلَيْهِ كانَ فِيهِ صَلاحُكُنَّ
وَخِصْبُكُنَّ • فَقُلْنَ لَهُ ما يَمُنُّ عَلَيْنا بِذٰلِكَ غَيْرُكَ • فَجَعَلَ ٱلْعُلْجُومُ

---

١ [illegible] ٢ فراغ ٣ معاندة ٤ لا قدرة لي عليها ٥ مستنقع

يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سمكتَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِما إِلَى بَعْضِ ٱلتِّلالِ فَيأْكُلهُما. حَتَّى إِذا كانَ ذات يَوْمٍ جاءَ لِأَخْذِ ٱلسمكتَيْنِ فَجاءَهُ ٱلسَّرطانُ فقالَ لهُ إِنِي أَيضًا قَدْ أَشفَقْتُ(١) مِنْ مكانِي هٰذا وَاستَوْحَشْتُ مِنْهُ فَٱذْهَبْ بِي الَى ذٰلِكَ ٱلْغَدِيرِ. فقالَ لَهُ حبًّا وَكَرامةً وَٱحْتَمَلَهُ وَطارَ بِهِ حَتَّى إِذا دَنا مِنَ ٱلتَّلِّ ٱلَّذِي كانَ يَأْكُلُ ٱلسَّمكَ فِيهِ نَظَرَ ٱلسَّرطانُ فرَأَى عِظامَ ٱلسَّمكِ مَجْمُوعَةً هُناكَ فَعَلِمَ أَنَّ ٱلْعلْجُومَ هُوَ صاحِبُها وَأَنَّهُ يرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ. فقالَ فِي نَفْسِهِ إِذا لَقِيَ ٱلرَّجلُ عَدُوَّهُ فِي ٱلْمَواطِنِ ٱلَّتِي يَعلَمُ أَنَّهُ فِيها هالِكٌ سَواءٌ قاتَلَ أَمْ لَمْ يُقاتِلْ كانَ حَقِيقًا(٢) أَنْ يُقاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ كَرَمًا وَحِفاظًا(٣). وَلا يُمكِّنَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَستَفْرِغَ ما عِندَهُ مِنَ ٱلْحِيلَةِ فِي قِتالِهِ. لِأَنَّهُ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى ٱلتَّلَفِ فلَعَلَّ خَلاصَهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْقِتالِ وَٱلْهَلاكُ واقِعٌ بِهِ كَيْفَ كانَ. فَلَمْ يَزَلْ يَحْتالُ عَلَى ٱلْعلْجُومِ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ عُنُقِهِ فَأَهْوَى(٤) بِكَلْبَتَيْهِ(٥) عَلَيْها فعصَرَها فَماتَ. وَتَخَلَّصَ ٱلسَّرطانُ إِلَى جَماعَةِ ٱلسَّمكِ فَأَخبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ

١ حمت ٢ اهلاً ٣ محافظة ٤ اي هجم ٥ اي ناسوِ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْحِيلَةِ مَهْلَكَةٌ لِلْمُحْتالِ . وَلٰكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كانَ فِيهِ هَلاكُ ٱلْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ وَتَكُونُ فِيهِ سَلامَتُكَ . قالَ ٱلْغُرابُ وَما ذاكَ . قالَ ٱبْنُ آوَى تَنْطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ(١) فِي طَيَرانِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنْ حُلِيِّ ٱلنِّساءِ فَتَخْطَفَهُ وَلا تَزالُ طائِرًا وَاقِعًا(٢) بِحَيْثُ لا تَفُوتُ ٱلْعُيُونَ . فَإِذا رَأَيْتَ ٱلنَّاسَ قَدْ تَبِعُوكَ تَأْتِي جُحْرَ ٱلْأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِٱلْحُلِيِّ عِنْدَهُ . فَإِذا رَأَى ٱلنَّاسُ ذٰلِكَ أَخَذُوا حُلِيَّهُمْ وَأَراحُوكَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ * فَٱنْطَلَقَ ٱلْغُرابُ مُحَلِّقًا(٣) فِي ٱلسَّماءِ فَوَجَدَ ٱمْرَأَةً مِنْ بَناتِ ٱلْعُظَماءِ عَلَى شاطِئِ نَهْرٍ تَغْتَسِلُ وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيابَها وَحُلِيَّها ناحِيَةً فَٱنْقَضَّ(٤) وَٱخْتَطَفَ مِنْ حُلِيِّها عِقْدًا وَطارَ بِهِ . فَتَبِعَهُ ٱلنَّاسُ وَلَمْ يَزَلْ طائِرًا واقِعًا بِحَيْثُ يَراهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى جُحْرِ ٱلْأَسْوَدِ فَأَلْقَى ٱلْعِقْدَ عَلَيْهِ وَٱلنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْا أَخَذُوا ٱلْعِقْدَ وَقَتَلُوا ٱلْأَسْوَدَ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْحِيلَةَ تُجْزِئُ(٥)

---

١ تسلب ان تبصر ٢ اي تطير وتقع ٣ مرتفعًا ٤ وقع
٥ تعني وتكفي

ما لا تجزئ القوة * قال كليلة إن الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأي والعقل فماذا تستطيع له * قال دمنة إن الثور لكما ذكرت في قوته ورأيه ولكنه مقر لي بالفضل وأنا خليق أن أصرعه[1] كما صرعت الأرنب الأسد . قال كليلة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن أسدا كان في أرض كثيرة المياه والعشب وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير . إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد . فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب . وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا . فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك . فرضي الأسد بذلك وصالح الوحش عليه ووفين له به * ثم إن أرنبا أصابتها القرعة وصارت غداء الأسد . فقالت للوحوش

١ اي اهلكه

انْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ (١) بِي فِيما لا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ
ٱلْأَسَدِ • فَقالَتِ ٱلْوُحُوشُ وَما ٱلَّذِي تُكَلِّفِينَنا مِنَ ٱلْأُمورِ •
قالَتْ تَأْمُرْنَ ٱلَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى ٱلْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَما (٢)
أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ ٱلْإِبْطآءِ • فَقُلْنَ لَها ذٰلِكَ لَكِ • فَٱنْطَلَقَتِ
ٱلْأَرْنَبُ مُتَباطِئَةً (٣) حَتَّى جاوَزَتِ ٱلْوَقْتَ ٱلَّذِي كانَ يَتَغَدَّى
فِيهِ ٱلْأَسَدُ • ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَها رُوَيْدًا (٤) وَقَدْ جاعَ
فَغَضِبَ وَقامَ مِنْ مَكانِهِ نَحْوَها فَقالَ لَها مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ •
قالَتْ أَنا رَسُولُ ٱلْوُحُوشِ إِلَيْكَ وَقَدْ بَعَثْنَنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ
فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ فَأَخَذَها مِنِّي وَقالَ أَنا
أَوْلَى بِهٰذِهِ ٱلْأَرْضِ وَما فِيها مِنَ ٱلْوَحْشِ • فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ
هٰذا غَذآءُ ٱلْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ ٱلْوُحُوشُ إِلَيْهِ فَلا تَغْصِبَنَّهُ فَسَبَّكَ
وَشَتَمَكَ فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً لِأُخْبِرَكَ • فَقالَ ٱلْأَسَدُ ٱنْطَلِقِي مَعِي
فَأَرِينِي مَوْضِعَ هٰذا ٱلْأَسَدِ • فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْأَرْنَبُ إِلَى جُبٍّ (٥)
فِيهِ مآءٌ غامِرٌ صافٍ • فَٱطَّلَعَتْ فِيهِ وَقالَتْ هٰذا ٱلْمَكانُ •
فَٱطَّلَعَ ٱلْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ ٱلْأَرْنَبِ فِي ٱلْمآءِ فَلَمْ يَشُكَّ

---

١ لاطفتنّ ٢ [illegible] ٣ ماشية الهوينا ٤ مهلاً ٥ بئر

في قولها وَوَثَبَ عَلَى ٱلْأَسَدِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي ٱلْجُبِّ. فَٱنْقَلَبَتِ[1] ٱلْأَرْنَبُ إِلَى ٱلْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِٱلْأَسَدِ

قَالَ كَلِيلَةُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ ٱلثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلْأَسَدِ فَشَأْنَكَ[2] فَإِنَّ ٱلثَّوْرَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَبِكَ وَبِغَيْرِنَا مِنَ ٱلْجُنْدِ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ ٱلْأَسَدِ فَلَا تُقْدِمْ[3] عَلَيْهِ فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ تَرَكَ ٱلدُّخُولَ عَلَى ٱلْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. ثُمَّ أَتَاهُ عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ مَا حَبَسَكَ عَنِّي مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ. أَلَا لِخَيْرٍ كَانَ ٱنْقِطَاعُكَ. قَالَ دِمْنَةُ لِيَكُنْ خَيْرًا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. قَالَ ٱلْأَسَدُ وَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ. قَالَ دِمْنَةُ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَلِكُ يُرِيدُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ. قَالَ وَمَا ذَاكَ. قَالَ كَلَامٌ فَظِيعٌ. قَالَ أَخْبِرْنِي بِهِ. قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ كُلَّ كَلَامٍ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ لَا يَجْسُرُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا مُشْفِقًا إِلَّا إِذَا كَانَ ٱلْمَقُولُ لَهُ عَاقِلًا فَإِنِ ٱتَّفَقَ ذٰلِكَ حَمَلَ ٱلْقَوْلَ عَلَى عَمَلِ ٱلْمَحَبَّةِ وَعَلِمَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ لِأَنَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ نَفْعٍ فَهُوَ لَهُ * وَإِنَّكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ

---

١ عادت ٢ اي اعمل ما تريد ٣ تهجم

لَذُو فَضِيلَةٍ وَرَأْيُكَ يَدُلُّكَ عَلَى أَنْ يُوجِعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَكْرَهُ وَإِنِّي وَاثِقٌ بِكَ أَنَّكَ تَعْرِفُ نُصْحِي وَإِيثَارِي(١) إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي. وَإِنَّهُ لَيَعْرِضُ(٢) لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقِي فِيمَا أُخْبِرُكَ بِهِ. وَلَكِنِّي إِذَا تَذَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نُفُوسَنَا مَعَاشِرَ الْوُحُوشِ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَدَاءِ(٣) النُّصْحِ الَّذِي يَلْزَمُنِي وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي أَوْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ مِنِّي. فَإِنَّهُ يُقَالُ مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالْأَطِبَّاءَ مَرَضَهُ وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ * قَالَ الْأَسَدُ فَمَا ذَاكَ. قَالَ دِمْنَةُ حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ(٤) عِنْدِي أَنَّ شَتْرَبَةَ خَلَا بِرُؤُوسِ جُنْدِكَ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ(٥) الْأَسَدَ وَبَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ(٦) وَقُوَّتَهُ فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يَؤُولُ(٧) مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ(٨) مِنَ الشُّؤُونِ

فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ شَتْرَبَةَ خَوَّانٌ غَدَّارٌ وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا وَجَعَلْتَهُ نَظِيرَ نَفْسِكَ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلُكَ وَأَنَّكَ مَتَى زُلْتَ عَنْ مَكَانِكَ كَانَ لَهُ مُلْكُكَ وَلَا يَدَعُ جُهْدًا(٩) إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنْ أَحَدِ رَعِيَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْحَالِ فَلْيَصْرَعْهُ.

---

١ تفضيلي ٢ يخطر ٣ تأدية ٤ الصادق ٥ امتحنت
٦ مكره وحيلته ٧ يرجع ٨ امر ٩ طاقة واستطاعة

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذٰلِكَ كَانَ هُوَ ٱلْمَصْرُوعَ · وَشَتْرَبَةُ أَعْلَمُ بِٱلْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا · وَٱلْعَاقِلُ هُوَ ٱلَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ · فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَأَنْ لَا تَسْتَدْرِكَهُ[1] * فَإِنَّهُ يُقَالُ ٱلرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ حَازِمٌ وَأَحْزَمُ مِنْهُ وَعَاجِزٌ · فَٱلْحَازِمُ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ ٱلْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ[2] لَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شَعَاعًا[3] وَلَمْ تَعْيَ بِهِ[4] حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ ٱلَّتِي يَرْجُو بِهَا ٱلْمَخْرَجَ مِنْهُ · وَأَحْزَمُ مِنْ هٰذَا ٱلْمِقْدَامُ[5] ذُو ٱلْعُدَّةِ ٱلَّذِي يَعْرِفُ ٱلْإِبْتِلَاءَ[6] قَبْلَ وُقُوعِهِ فَيُعْظِمُهُ[7] إِعْظَامًا وَيَحْتَالُ لَهُ حِيلَةً حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ فَيَحْسِمُ[8] ٱلدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ وَيَدْفَعُ ٱلْأَمْرَ قَبْلَ وُقُوعِهِ · وَأَمَّا ٱلْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ[9] حَتَّى يَهْلِكَ * وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلسَّمَكَاتِ ٱلثَّلَاثِ · قَالَ ٱلْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثٌ مِنَ ٱلسَّمَكِ كَيِّسَةٌ[10] وَأَكْيَسُ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ · وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ[11] مِنَ ٱلْأَرْضِ لَا يَكَادُ يَقْرَبُهُ أَحَدٌ وَبِقُرْبِهِ نَهْرٌ جَارٍ · فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ ٱجْتَازَ بِذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ صَيَّادَانِ فَأَبْصَرَا ٱلْغَدِيرَ فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا

١ تتلافاهُ ٢ يتحير ٣ متفرقًا وهو كناية عن شدة الخوف ٤ تعجز
٥ الجريء الكثير الاقدام ٦ البلية ٧ يعده عظيمًا ٨ يقطع
٩ فتور ١٠ عاقلة ١١ ما ارتفع من الارض

إِلَيْهِ بِشِبَاكِهِمَا فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ ٱلسَّمَكِ. فَسَمِعَ ٱلسَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا فَأَمَّا أَكْيَسُهُنَّ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ٱرْتَابَتْ[١] بِهِمَا وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا فَلَمْ تُعَرِّجْ[٢] عَلَى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ ٱلْمَآءُ مِنَ ٱلنَّهْرِ إِلَى ٱلْغَدِيرِ فَنَجَتْ بِنَفْسِهَا. وَأَمَّا ٱلْكَيِّسَةُ ٱلْأُخْرَى فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا وَتَهَاوَنَتْ فِي ٱلْأَمْرِ حَتَّى جَآءَ ٱلصَّيَّادَانِ. فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ ٱلْمَآءُ فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَّا ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ. فَحِينَئِذٍ قَالَتْ فَرَّطْتُ[٣] وَهٰذِهِ عَاقِبَةُ ٱلتَّفْرِيطِ فَكَيْفَ ٱلْحِيلَةُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ وَقَلَّمَا تَنْجَحُ حِيلَةُ ٱلْعَجَلَةِ وَٱلْإِرْهَاقِ[٤] * غَيْرَ أَنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ[٥] مِنْ مَنَافِعِ ٱلرَّأْيِ وَلَا يَيْأَسُ عَلَى حَالٍ وَلَا يَدَعُ ٱلرَّأْيَ وَٱلْجُهْدَ. ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاوَتَتْ[٦] فَطَفَتْ[٧] عَلَى وَجْهِ ٱلْمَآءِ مُنْقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً[٨] وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا. فَأَخَذَهَا ٱلصَّيَّادَانِ وَظَنَّاهَا مَيْتَةً فَوَضَعَاهَا عَلَى ٱلْأَرْضِ بَيْنَ ٱلنَّهْرِ وَٱلْغَدِيرِ فَوَثَبَتْ إِلَى ٱلنَّهْرِ فَنَجَتْ. وَأَمَّا ٱلْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ فِي إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ حَتَّى صِيدَتْ

---

١ شككت ٢ لم تعطف ولم تمل ٣ قصرت ٤ اي التاخر ولا ابطآء
٥ يقطع الامل ٦ اظهرت انها ميتة ٧ عامت ٨ مرة

قَالَ ٱلْأَسَدُ قَدْ فَهِمْتُ ذٰلِكَ وَلا أَظُنُّ ٱلثَّوْرَ يَغُشُّنِي وَلا يَرْجُو لِيَ ٱلْغَوائِلَ[1]. وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَرَ مِنِّي سُوءًا قَطُّ وَلَمْ أَدَعْ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتُهُ مَعَهُ وَلا أُمْنِيَّةً[2] إِلَّا بَلَّغْتُهُ إِيَّاها. قَالَ دِمْنَةُ أَيُّها ٱلْمَلِكُ إِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا ما ذَكَرْتَهُ مِنْ إِكْرامِكَ لَهُ وَتَبْلِيغِكَ إِيَّاهُ كُلَّ مَنْزِلَةٍ خَلا مَنْزِلَتَكَ وَإِنَّهُ مُتَطَلِّعٌ[3] إِلَيْها. فَإِنَّ ٱللَّئِيمَ لا يَزالُ نافِعًا ناصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلَّتِي لَيْسَ لَها بِأَهْلٍ. فَإِذا بَلَغَها أَشْرَأَبَّتْ[4] نَفْسُهُ إِلَى ما فَوْقَها وَلا سِيَّما أَهْلِ ٱلْخِيانَةِ وَٱلْفُجُورِ[5]. فَإِنَّ ٱللَّئِيمَ ٱلْفاجِرَ لا يَخْدُمُ ٱلسُّلْطانَ وَلا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرَقٍ[6] أَوْ حاجَةٍ فَإِذا أَسْتَغْنَى وَذَهَبَتِ ٱلْهَيْبَةُ وَٱلْحاجَةُ عادَ إِلَى جَوْهَرِهِ. كَذَنَبِ ٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي يُرْبَطُ لِيَسْتَقِيمَ فَلا يَزالُ مُسْتَوِيًا ما دامَ مَرْبُوطًا فَإِذا حُلَّ ٱنْحَنَى وَتَعَوَّجَ كَما كانَ

وَٱعْلَمْ أَيُّها ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نُصَحائِهِ ما يَثْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ لَمْ يَحْمَدْ غِبَّ[7] رَأْيِهِ. كَٱلْمَرِيضِ ٱلَّذِي يَدَعُ ما يَصِفُ لَهُ ٱلطَّبِيبُ وَيَعْمِدُ لِما تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ.

---

١ المهالك ٢ ما يتمنى ٣ رافع بصرهُ ٤ تطاولت ٥ المعاصي
٦ خوف ٧ عاقبة

وَحَقٌّ عَلَى مُؤَازِرِ[١] ٱلسُّلْطَانِ أَنْ يُبَالِغَ فِي ٱلتَّحْضِيضِ[٢] لَهُ عَلَى ما يَزِيدُ بِهِ سُلْطَانُهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ وَٱلْكَفِّ عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَشِينُهُ[٣]. وَخَيْرُ ٱلْإِخْوانِ وَٱلْأَعْوانِ أَقَلُّهُمْ مُداهَنَةً[٤] فِي ٱلنَّصِيحَةِ. وَخَيْرُ ٱلْأَعْمالِ أَحْمَدُها عاقِبَةً. وَخَيْرُ ٱلنِّسآءِ ٱلْمُوافِقَةُ لِبَعْلِها. وَخَيْرُ ٱلثَّنآءِ ما كانَ عَلَى أَفْواهِ ٱلْأَخْيارِ. وَأَفْضَلُ ٱلْمُلُوكِ مَنْ لا يُخالِطُهُ بَطَرٌ وَلا يَسْتَكْبِرُ عَنْ قَبُولِ ٱلنَّصِيحَةِ. وَخَيْرُ ٱلْأَخْلاقِ أَعْوَنُها عَلَى ٱلْوَرَعِ[٥] * وَقَدْ قِيلَ لَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا تَوَسَّدَ ٱلنَّارَ[٦] وَٱفْتَرَشَ ٱلْحَيَّاتِ[٧] كانَ أَحَقَّ أَنْ يَهْنِئَهُ ٱلنَّوْمُ مِمَّنْ يُحِسُّ مِنْ صاحِبِهِ بِعَداوَةٍ يُرِيدُهُ بِها وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ. وَأَعْجَزُ ٱلْمُلُوكِ آخَذُهُمْ[٨] بِٱلْهُوَيْنآءِ[٩] وَأَقَلُّهُمْ نَظَرًا فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلْأُمُورِ وَأَشْبَهُهُمْ بِٱلْفِيلِ ٱلْهائِجِ ٱلَّذِي لا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. فَإِنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ تَهاوَنَ بِهِ وَإِنْ أَضاعَ ٱلْأُمُورَ حَمَلَ ذٰلِكَ عَلَى قُرَنآئِهِ[١٠] * قالَ ٱلْأَسَدُ لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي ٱلْقَوْلِ وَقَوْلُ ٱلنَّاصِحِ مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ. وَإِنْ كانَ شَتْرَبَةُ مُعادِيًا لِي كَما تَقُولُ فَإِنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّنِي وَلا أَنْ يَفُتَّ فِي ساعِدِي[١١] وَكَيْفَ

---

١ معاون ٢ الحث ٣ خلاف زينة ٤ غشا وملقا ٥ التقوى
٦ اتخذها وسادة اي مخدة ٧ اتخذها فراشا ٨ تفضيل من الاخذ
٩ التأني والمراد بها هنا التواني والفتور ١٠ جمع قرين وهو العشير ١١ عضدي

يَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ . ثُمَّ لَيْسَ إِلَى ٱلْغَدْرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ ٱلْأَمَانِ ٱلَّذِي جَعَلْتُهُ لَهُ وَبَعْدَ إِكْرَامِي لَهُ وَثَنَائِي عَلَيْهِ وَإِنْ غَيَّرْتُ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَّلْتُهُ فَقَدْ سَفَّهْتُ رَأْيِي[1] وَجَهَّلْتُ نَفْسِي[2] وَغَدَرْتُ بِذِمَّتِي[3] وَنَقَضْتُ عَهْدِي* قَالَ دِمْنَةُ لَا يَغُرَّنَّكَ قَوْلُكَ هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ . فَإِنَّ شَتْرَبَةَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ ٱحْتَالَ لَكَ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ إِنِ ٱسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ فَلَا تَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ مَا أَصَابَ ٱلْقَمْلَةَ مِنَ ٱلْبُرْغُوثِ . قَالَ ٱلْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ قَمْلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ دَهْرًا فَكَانَتْ تُصِيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَشْعُرُ وَتَدِبُّ دَبِيبًا رَفِيقًا[4] . فَمَكَثَتْ كَذٰلِكَ حِينًا حَتَّى ٱسْتَضَافَهَا لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي بُرْغُوثٌ فَقَالَتْ لَهُ بِتِ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فِي دَمٍ طَيِّبٍ وَفِرَاشٍ لَيِّنٍ . فَأَقَامَ ٱلْبُرْغُوثُ عِنْدَهَا حَتَّى إِذَا أَوَى ٱلرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ

---

١ نسبته الى السفه وهو الجهل والحمق ٢ نسبتها الى الجهل ٣ عهدي وحرمي ٤ لطيفًا

٢٢/١١/٠٦

وَثَبَ عَلَيْهِ ٱلْبُرْغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدْغَةً أَيْقَظَتْهُ وَأَطَارَتِ ٱلنَّوْمَ عَنْهُ فَقَامَ ٱلرَّجُلُ وَأَمَرَ أَنْ يُفَتَّشَ فِرَاشُهُ فَنُظِرَ فَلَمْ يُرَ إِلا ٱلْقَمْلَةُ فَأُخِذَتْ فَقُصِعَتْ (١) وَفَرَّ ٱلْبُرْغُوثُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ ٱلشَّرِّ لا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ. وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنْ ذٰلِكَ جَاءَ ٱلشَّرُّ بِسَبَبِهِ. وَإِنْ كُنْتَ لا تَخَافُ مِنْ شَتْرَبَةَ فَخَفْ غَيْرَهُ مِنْ جُنْدِكَ ٱلَّذِينَ قَدْ حَرَّشَهُمْ عَلَيْكَ (٢) وَحَمَلَهُمْ عَلَى عَدَاوَتِكَ * فَوَقَعَ فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ (٣) كَلَامُ دِمْنَةَ فَقَالَ فَمَا ٱلَّذِي تَرَى إِذَنْ وَبِمَاذَا تُشِيرُ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلضِّرْسَ ٱلْمَأْكُولَ (٤) لا يَزَالُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي أَلَمٍ وَأَذًى حَتَّى يَقْلَعَهُ. وَٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي قَدْ عَفِنَ فِي ٱلْبَطْنِ ٱلرَّاحَةُ فِي قَذْفِهِ. وَٱلْعَدُوَّ ٱلْمُخِيفَ دَوَاؤُهُ قَتْلُهُ. قَالَ ٱلْأَسَدُ لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مُجَاوَرَةَ شَتْرَبَةَ إِيَّايَ. وَأَنَا مُرْسِلٌ إِلَيْهِ وَذَاكِرٌ لَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ. ثُمَّ آمُرُهُ بِٱللَّحَاقِ حَيْثُ أَحَبَّ (٥)

فَكَرِهَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَتْرَبَةَ فِي

---

١ قتلت بالظفر ٢ اغراهم بك وهيجهم عليك ٣ اثر فيها ٤ المنخور
٥ اي بالانصراف

ذٰلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوابًا عَرَفَ باطِلَ ما أَتَى هُوَ بِهِ وَاطَّلَعَ عَلَى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. فَقالَ لِلْأَسَدِ أَمَّا إِرْسالُكَ إِلَى شَتْرَبَةَ فَلا أَراهُ لَكَ رَأْيًا وَلا حَزْمًا. فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ فِي ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لا يَزالُ لَكَ فِي نَفْسِكَ الْخِيارُ[1] ما دامَ لا يَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ. فَإِنَّهُ مَتَى عَلِمَ ذٰلِكَ خِفْتُ أَنْ يُعاجِلَ الْمَلِكَ بِالْمُكابَرَةِ. وَهُوَ إِنْ قاتَلَكَ قاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا وَإِنْ فارَقَكَ فارَقَكَ فِراقًا يَلِيكَ[2] مِنْهُ النَّقْصُ وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ الْعارُ. مَعَ أَنَّ ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لا يُعْلِنُونَ عُقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنْ ذَنْبَهُ. وَلٰكِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عُقُوبَةً. فَلِذَنْبِ الْعَلانِيَةِ عُقُوبَةُ الْعَلانِيَةِ وَلِذَنْبِ السِّرِّ عُقُوبَةُ السِّرِّ * قالَ الْأَسَدُ إِنَّ الْمَلِكَ إِذا عاقَبَ أَحَدًا عَنْ ظِنَّةٍ[3] ظَنَّها مِنْ غَيْرِ تَيَقُّنٍ لِجُرْمِهِ[4] فَنَفْسَهُ عاقَبَ وَإِيَّاها ظَلَمَ وَكانَ ناقِصَ الْبَصِيرَةِ * قالَ دِمْنَةُ أَمَّا إِذا كانَ هٰذا رَأْيَ الْمَلِكِ فَلا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْكَ غِرَّةٌ[5] أَوْ غَفْلَةٌ. فَإِنِّي لا أَحْسَبُ الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ. وَمِنْ عَلاماتِ ذٰلِكَ أَنَّكَ تَرَى هَيْئَتَهُ مُتَغَيِّرَةً وَتَرَى أَوْصالَهُ[6]

---

١ لا تزال مخيرًا ٢ يلحقك ٣ تهمة ٤ ذنبه ٥ بمعنى الغفلة ٦ مفاصله

تُرْعَدُ [١] وَتَراهُ مُلْتَفِتاً يَميناً وَشِمالاً وَتَراهُ يُصَوِّبُ قَرْنَيْهِ [٢] فِعلَ ٱلَّذِي هَمَّ بِٱلنِّطاحِ وَٱلْقِتالِ * قالَ ٱلْأَسَدُ سَأَكُونُ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ ما يَدُلُّ عَلَى ما ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ ما فِي أَمْرِهِ شَكٌّ

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ تَحْرِيشِ ٱلْأَسَدِ عَلَى ٱلثَّوْرِ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ ما كانَ يَلْتَمِسُ وَأَنَّ ٱلْأَسَدَ سَيَتَحَذَّرُ مِنَ ٱلثَّوْرِ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ أَرادَ أَنْ يَأْتِيَ ٱلثَّوْرَ لِيُغْرِيَهُ بِٱلْأَسَدِ [٣]. وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيانُهُ مِنْ قِبَلِ ٱلْأَسَدِ مَخافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذٰلِكَ فَيَتَأَذَّى بِهِ. فَقالَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ أَلا آتِي شَتْرَبَةَ فَأَنْظُرَ إِلَى حالِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَعَ كَلامَهُ لَعَلِّي أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ فَأُطْلِعَ ٱلْمَلِكَ عَلَى ذٰلِكَ وَعَلَى ما يَظْهَرُ لِي مِنْهُ. فَأَذِنَ لَهُ ٱلْأَسَدُ فِي ذٰلِكَ. فَٱنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةَ كَٱلْكَئِيبِ ٱلْحَزِينِ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ [٤] وَقالَ ما كانَ سَبَبُ ٱنْقِطاعِكَ عَنِّي فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ أَسَلامَةٌ هُوَ. قالَ دِمْنَةُ وَمَتَى كانَ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّلامَةِ مَنْ لا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لا يُوثَقُ بِهِ. وَلا يَنْفَكُّ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى ما مِنْ ساعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ

---

١ ترتعد ٢ يوجهها الى الامام ٣ يحرشه ويهيجه عليه ٤ تلقاهُ بالترحيب

فِيها عَلَى نَفْسِهِ * قالَ شَتْرَبَةُ وَما ٱلَّذِي حَدَثَ * قالَ دِمْنَةُ حَدَثَ ما قُدِّرَ وَهُوَ كائِنٌ. وَمَنْ ذا ٱلَّذِي غالَبَ ٱلْقَدَرَ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي بَلَغَ مِنَ ٱلدُّنْيا جَسِيماً مِنَ ٱلْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطَرْ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي بَلَغَ مُناهُ فَلَمْ يَغْتَرَّ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي تَبِعَ هَواهُ فَلَمْ يَخْسَرْ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي حادَثَ ٱلنِّسآءَ فَلَمْ يُصَبْ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي طَلَبَ مِنَ ٱللِّئامِ [1] فَلَمْ يُحْرَمْ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي خالَطَ ٱلْأَشْرارَ فَسَلِمَ * وَمَنْ ذا ٱلَّذِي صَحِبَ ٱلسُّلْطانَ فَدامَ لَهُ مِنْهُ ٱلْأَمْنُ وَٱلْإِحْسانُ * وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قالَ مَثَلُ ٱلسَّلاطِينِ فِي قِلَّةِ وَفآئِهِمْ لِمَنْ صَحِبَهُمْ وَسَخآءِ أَنْفُسِهِمْ بِمَنْ فَقَدُوا مِنْ قُرَنآئِهِمْ كَمَثَلِ صاحِبِ ٱلْخانِ كُلَّما فَقَدَ واحِدًا جاءَ آخَرُ * قالَ شَتْرَبَةُ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلاماً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رابَكَ [2] مِنَ ٱلْأَسَدِ رائِبٌ وَهالَكَ [3] مِنْهُ أَمْرٌ * قالَ دِمْنَةُ أَجَلْ [4] لَقَدْ رابَنِي مِنْهُ ذٰلِكَ وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي * قالَ شَتْرَبَةُ فَفِي نَفْسِ مَنْ رابَكَ * قالَ دِمْنَةُ قَدْ تَعْلَمُ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَتَعْلَمُ حَقَّكَ عَلَيَّ وَما كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ ٱلْعَهْدِ وَٱلْمِيثاقِ أَيّامَ أَرْسَلَنِي ٱلْأَسَدُ إِلَيْكَ. فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ وَإِطْلاعِكَ عَلَى ما ٱطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمّا أَخافُ

١ البخلاء ٢ احدث في نفسك ريبة اي شكا وقلقا ٣ افزعك ٤ نعم

عَلَيْكَ مِنْهُ*قالَ شَتْرَبَةُ وَما ٱلَّذي بَلَغَكَ*قالَ دِمْنَةُ حَدَّثَني الْخَبيرُ ٱلصَّدُوقُ ٱلَّذي لا مِرْيَةَ[1] في قَوْلِهِ أَنَّ ٱلْأَسَدَ قالَ لِبَعْضِ أَصْحابِهِ وَجُلَسائِهِ قَدْ أَعْجَبَني سِمَنُ ٱلثَّوْرِ وَلَيْسَ لي إِلى حَياتِهِ حاجَةٌ فَأَنا آكِلُهُ وَمُطْعِمٌ أَصْحابي مِنْ لَحْمِهِ. فَلَمَّا بَلَغَني هٰذا ٱلْقَوْلُ وَعَرَفْتُ غَدْرَهُ وَسُوءَ عَهْدِهِ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِأَقْضِيَ حَقَّكَ وَتَحْتالَ أَنْتَ لِأَمْرِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ شَتْرَبَةُ كَلامَ دِمْنَةَ وَتَذَكَّرَ ما كانَ دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ ٱلْعَهْدِ وَٱلْميثاقِ وَفَكَّرَ في أَمْرِ ٱلْأَسَدِ ظَنَّ أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ وَرَأَى أَنَّ ٱلْأَمْرَ شَبيهٌ بِما قالَ دِمْنَةُ. فَأَهَمَّهُ ذٰلِكَ وَقالَ ما كانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدُرَ بي وَلَمْ آتِ إِلَيْهِ ذَنْباً[2] وَلا إِلى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ مُنْذُ صَحِبْتُهُ وَلا أَظُنُّ ٱلْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حُمِلَ عَلَيَّ بِٱلْكَذِبِ وَشُبِّهَ[3] عَلَيْهِ أَمْري فَإِنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ صَحِبَهُ قَوْمُ سُوءٍ وَجَرَّبَ مِنْهُمُ ٱلْكَذِبَ وَأُمُوراً تُصَدِّقُ إِذا بَلَغَتْهُ عَنْ غَيْرِهِمْ. فَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلْأَشْرارِ رُبَّما أَوْرَثَتْ صاحِبَها سُوءَ ظَنٍّ بِٱلْأَخْيارِ وَحَمَلَهُ ما يَخْتَبِرُهُ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْخَطاءِ في حَقِّ غَيْرِهِمْ كَخَطاءِ ٱلْبَطَّةِ ٱلَّتي زَعَمُوا أَنَّها رَأَتْ فِي ٱلْماءِ

---

١ شك ٢ لم اذنب اليه ٣ التبس

ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سمكَةً فحاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَها. فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذٰلِكَ مِرارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصادُ فَتَرَكَتْهُ. ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ سمكَةً فَظَنَّتْ أَنَّها مِثْلُ الَّذي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ فَتَرَكَتْها وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَها

فَإِنْ كانَ الْأَسَدُ قَدْ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وَسَمِعَهُ فِيَّ فَما جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَيَّ. وَإِنْ كانَ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ وَأَرادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ. وَقَدْ كانَ يُقالُ إِنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضَى صاحِبِهِ وَلا يَرْضَى. وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضاهُ فَيَسْخَطُ. فَإِذا كانَتِ الْمَوْجِدَةُ[1] عَنْ عِلَّةٍ كانَ الرِّضَى مَوْجُودًا وَالْعَفْوُ مَأْمُولًا. وَإِذا كانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ انْقَطَعَ الرَّجاءُ. لِأَنَّ الْعِلَّةَ إِذا كانَتِ الْمَوْجِدَةُ فِي وُرُودِها[2] كانَ الرِّضَى مَأْمُولًا فِي صُدُورِها[3]. وَقَدْ نَظَرْتُ فَلا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا وَلا كَبِيرَ ذَنْبٍ وَلا صَغِيرَهُ. وَلَعَمْرِي لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطالَ صُحْبَةَ صاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلا أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ يَكْرَهُها صاحِبُهُ.

---

١ الغضب ٢ الضمير للعلة ٣ خلاف ورودها

وَلٰكِنَّ ٱلرَّجُلَ ذا ٱلْعَقْلِ وَٱلْوَفاءِ إِذا سَقَطَ عِنْدَهُ صاحِبُهُ سَقْطَةً نَظَرَ فِيها وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطَائِهِ عَمْدًا كانَ أَوْ خَطأً. ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ فِي ٱلصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يُخافُ ضَرَرُهُ وَشَيْنُهُ فَلا يُؤَاخِذُ صاحِبَهُ بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى ٱلصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلاً

فَإِنْ كانَ ٱلأَسَدُ قَدِ ٱعْتَقَدَ عَلَيَّ ذَنْبًا فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنِّي خالَفْتُهُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ بَطَرًا مِنِّي وَنَصِيحَةً لَهُ. فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى ٱلْجَرَاءَةِ عَلَيْهِ وَٱلْمُخالَفَةِ لَهُ. وَلا أَجِدُ لِي فِي هٰذا ٱلْمَحْضَرِ[1] إِثْمًا[2] ما. لِأَنِّي لَمْ أُخالِفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا ما قَدْ نَدَرَ عِنْدَ مُخالَفَتِهِ ٱلرُّشْدَ[3] وَٱلْمَنْفَعَةَ وَٱلدِّينَ وَلَمْ أُجاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى رُؤُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ أَصْحابِهِ وَلٰكِنْ كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأُكَلِّمُهُ سِرًّا كَلامَ ٱلْهائِبِ ٱلْمُوَقِّرِ. وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنِ ٱلْتَمَسَ ٱلرُّخَصَ[4] مِنَ ٱلإِخْوانِ عِنْدَ ٱلْمُشاوَرَةِ وَمِنَ ٱلأَطِبَّاءِ عِنْدَ ٱلْمَرَضِ وَمِنَ ٱلْفُقَهاءِ عِنْدَ ٱلشُّبْهَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ مَنافِعَ ٱلرَّأْيِ وَٱزْدادَ فِيما وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذٰلِكَ تَوَرُّطًا[5] وَحَمَلَ ٱلْوِزْرَ[6] *

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَراتِ

---

١ مكان الحضور ٢ ذنباً ٣ الهدى ٤ جمع رخصة وهي اليسر والتساهل ٥ دخولاً في الورطة وهي الهلاك ٦ الاثم

ٱلسُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلسُّلْطَانِ خَطِرَةٌ وَإِنْ صُوحِبَ بِٱلسَّلَامَةِ وَٱلثِّقَةِ ٱلْمَوَدَّةِ وَحُسْنِ ٱلصُّحْبَةِ فَرُبَّمَا عَثَرَ مُصَاحِبُهُ ٱلْعَثْرَةَ فَلَا يَنْتَعِشُ(١) وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ(٢) * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَبَعْضُ مَا أُوتِيتُ مِنَ ٱلْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ ٱلْهَلَاكُ وَبَعْضُ ٱلْمَحَاسِنِ آفَةٌ لِصَاحِبِهَا . فَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱللَّذِيذَةَ ٱلثَّمَرِ رُبَّمَا كَانَ أَذَاهَا فِي حَمْلِهَا فَلُوِيَتْ أَغْصَانُهَا وَهُصِرَتْ(٣) أَطْرَافُهَا حَتَّى تَتَكَسَّرَ . وَٱلطَّاوُوسَ ٱلَّذِي ذَنَبُهُ أَفْضَلُهُ يَنْسِلُ(٤) فَيُؤْلِمُهُ . وَٱلْفَرَسَ ٱلْمُطَهَّمَ(٥) ٱلْجَرِيَّ(٦) رُبَّمَا رُكِبَ حَتَّى يَنْقَطِعَ . وَٱلْبُلْبُلَ ٱلْحَسَنَ ٱلصَّوْتِ يُحْبَسُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلطَّيْرِ * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا وَلَا هٰذَا فَهُوَ إِذَنْ مِنْ مَوَاقِعِ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ ٱلَّذِي لَا يُدْفَعُ . وَٱلْقَدَرُ هُوَ ٱلَّذِي يَسْلُبُ ٱلْأَسَدَ قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ وَيُدْخِلُهُ ٱلْقَبْرَ . وَهُوَ ٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلرَّجُلَ ٱلضَّعِيفَ عَلَى ظَهْرِ ٱلْفِيلِ ٱلْهَائِجِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى ٱلْحَيَّةِ ذَاتِ ٱلْحُمَةِ(٧) مَنْ يَنْزِعُ حُمَتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا . وَهُوَ ٱلَّذِي يُصَيِّرُ ٱلْعَاجِزَ حَازِمًا وَيُثَبِّطُ(٨) ٱلسَّهْمَ ٱلْمُنْطَلِقَ وَيُوَسِّعُ عَلَى ٱلْمُقْتِرِ(٩) وَيُشَجِّعُ ٱلْجَبَانَ وَيُجَبِّنُ ٱلشُّجَاعَ عِنْدَمَا تَعْتَرِيهِ(١٠) ٱلْمَقَادِيرُ بِٱلْعِلَلِ ٱلَّتِي ٱتَّفَقَتْ(١١) لَهَا

---

١ ينهض ٢ يرفع من سقوطه ٣ جذبت وعطفت ٤ ينتزع ٥ التام الخلق ٦ الكثير الجري ٧ الابرة التي تلدغ بها ٨ يعوق ٩ الفقير ١٠ تصيبه ١١ حدثت اتفاقا

قالَ دِمْنَةُ إِنَّ إِرادَةَ ٱلْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْرِيشِ ٱلْأَشْرارِ وَلا سَكْرَةِ ٱلسُّلْطانِ وَلا غَيْرِ ذٰلِكَ. وَلٰكِنَّها ٱلْغَدْرُ وَٱلْفُجُورُ مِنْهُ فَإِنَّهُ فاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ لِطَعامِهِ حَلاوَةٌ وَآخِرُهُ سَمٌّ مُمِيتٌ* قالَ شَتْرَبَةُ فَأَراني[١] قَدِ ٱسْتَلْذَذْتُ ٱلْحَلاوَةَ إِذْ ذُقْتُها وَقَدِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِها ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَوْتُ. وَلَوْلا ٱلْحَيْنُ[٢] ما كانَ مُقامِي عِنْدَ ٱلْأَسَدِ وَهُوَ آكِلُ لَحْمٍ وَأَنا آكِلُ عُشْبٍ. فَأَنا فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ كَٱلنَّحْلَةِ ٱلَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ[٣] ٱلنَّيْلُوفَرِ إِذْ تَسْتَلِذُّ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ فَتَحْبِسُها تِلْكَ ٱللَّذَّةُ عَنِ ٱلْحِينِ ٱلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَطِيرَ فِيهِ. فَإِذا جاءَ ٱللَّيْلُ يَنْضَمُّ عَلَيْها فَتَرْتَبِكُ فِيهِ وَتَمُوتُ. وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ ٱلدُّنْيا بِٱلْكَفافِ[٤] ٱلَّذِي يُغْنِيهِ وَطَمَحَتْ[٥] عَيْنُهُ إِلَى ما سِوَى ذٰلِكَ وَلَمْ يَتَخَوَّفْ عاقِبَتَهُ كانَ كَٱلذُّبابِ ٱلَّذِي لا يَرْضَى بِٱلشَّجَرِ وَٱلرَّياحِينِ وَلا يُقْنِعُهُ ذٰلِكَ حَتَّى يَطْلُبَ ٱلْماءَ ٱلَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ ٱلْفِيلِ فَيَضْرِبُهُ ٱلْفِيلُ بِآذانِهِ فَيُهْلِكُهُ. وَمَنْ يَبْذُلْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ فِي ٱلسِّباخِ[٦] وَمَنْ يُشِرْ عَلَى ٱلْمُعْجَبِ[٧] كَمَنْ يُشاوِرُ

---

١ أرى نفسي ٢ الاجل ٣ زهر ٤ ما كف وأغنى عن الناس
٥ ارتفعت وما لت ٦ الارض ذات النز والملح ٧ المتكبر

الْمَيْتَ أَوْ يُسارُّ[١] الْأَصَمَّ[٢]

قالَ دِمْنَةُ دَعْ عَنْكَ هٰذا الْكَلامَ وَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ. قالَ شَتْرَبَةُ بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتالُ لِنَفْسِي إِذا أَرادَ الْأَسَدُ أَكْلِي مَعَ ما عَرَّفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلاقِهِ. وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ أَرادَ أَصْحابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلاكِي لَقَدَرُوا عَلَى ذٰلِكَ. فَإِنَّهُ إِذا اجْتَمَعَ الْمَكَرَةُ[٣] الظَّلَمَةُ عَلَى الْبَرِيءِ الصَّالِحِ كانُوا خُلَقاءَ[٤] أَنْ يُهْلِكُوهُ وَإِنْ كانُوا ضُعَفاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ. كَما أَهْلَكَ الذِّئْبُ وَالْغُرابُ وَابْنُ آوَى الْجَمَلَ حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْخِيانَةِ. قالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ شَتْرَبَةُ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كانَ فِي أَجَمَةٍ مُجاوِرَةٍ لِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ النَّاسِ وَكانَ لَهُ أَصْحابٌ ثَلاثَةٌ ذِئْبٌ وَغُرابٌ وَابْنُ آوَى. وَإِنَّ رُعاةً مَرُّوا بِذٰلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمالٌ. فَتَخَلَّفَ[٥] مِنْها جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجَمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ. فَقالَ لَهُ الْأَسَدُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قالَ مِنْ مَوْضِعِ كَذا. قالَ

---

١ بكلم بكلام خفيٍّ ٢ الاطرش خلقة ٣ جمع ماكر ٤ جمع خليق بمعنى اهل ٥ تاخر

فَما حاجَتُكَ . قالَ ما يَأْمُرُني بِهِ ٱلْمَلِكُ . قالَ تُقيمُ عِنْدَنا في ٱلسَّعَةِ وَٱلْأَمْنِ وَٱلْخِصْبِ . فَأَقامَ ٱلْأَسَدُ وَٱلْجَمَلُ مَعَهُ زَمانًا طَويلاً * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ مَضَى في بَعْضِ ٱلْأَيّامِ لِطَلَبِ ٱلصَّيْدِ . فَلَقِيَ فيلاً عَظيمًا فَقاتَلَهُ قِتالاً شَديدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلاً مُثْخَنًا بِٱلْجِراحِ يَسيلُ مِنْهُ ٱلدَّمُ وَقَدْ خَدَشَهُ ٱلْفيلُ بِأَنْيابِهِ . فَلَمّا وَصَلَ إِلَى مَكانِهِ وَقَعَ لا يَسْتَطيعُ حَراكًا وَلا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ ٱلصَّيْدِ . فَلَبِثَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرابُ وَٱبْنُ آوَى أَيّامًا لا يَجِدُونَ طَعامًا لِأَنَّهُمْ كانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلاتِ ٱلْأَسَدِ وَطَعامِهِ . فَأَصابَهُمْ وَأَصابَهُ جُوعٌ شَديدٌ وَهُزالٌ[1] وَعَرَفَ ٱلْأَسَدُ مِنْهُمْ ذٰلِكَ فَقالَ لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَٱحْتَجْتُمْ إِلَى ما تَأْكُلُونَ . فَقالُوا لا تُهِمُّنا أَنْفُسُنا . لٰكِنّا نَرَى ٱلْمَلِكَ عَلَى ما نَراهُ فَلَيْتَنا نَجِدُ ما يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قالَ ٱلْأَسَدُ ما أَشُكُّ في نَصيحَتِكُمْ وَلٰكِنِ ٱنْتَشِرُوا لَعَلَّكُمْ تُصيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونَني بِهِ فَيُصيبُني وَيُصيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ . فَخَرَجَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرابُ وَٱبْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ ٱلْأَسَدِ فَتَنَحَّوْا وَٱئْتَمَرُوا[2] فيما بَيْنَهُمْ وَقالُوا ما لَنا وَلِهٰذا ٱلْآكِلِ ٱلْعُشْبِ ٱلَّذي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنا وَلا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنا أَلا نُزَيِّنُ[3]

---

١ نقيض السمن ٢ تشاوروا ٣ نحسن

لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمَنا مِنْ لَحْمِهِ. قالَ ٱبْنُ آوَى هٰذا مِمَّا لا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ ٱلْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ[1]. قالَ ٱلْغُرابُ أَنا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ ٱلْأَسَدِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ. فَقالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ هَلْ أَصَبْتَ شَيْئاً. قالَ ٱلْغُرابُ إِنَّما يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ. وَأَمَّا نَحْنُ فَلا سَعْيَ لَنا وَلا بَصَرَ لِما بِنا مِنَ ٱلْجُوعِ. وَلٰكِنْ قَدْ وُفِّقْنا إِلَى أَمْرٍ وَٱجْتَمَعْنا عَلَيْهِ إِنْ وافَقَنا ٱلْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ. قالَ ٱلْأَسَدُ وَما ذاكَ. قالَ ٱلْغُرابُ هٰذا ٱلْجَمَلُ آكِلُ ٱلْعُشْبِ ٱلْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنا مِنْهُ وَلا رَدِّ عائِدَةٍ[2] وَلا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً[3] فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ غَضِبَ وَقالَ ما أَخْطَأَ رَأْيَكَ وَما أَعْجَزَ مَقالَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنِ ٱلْوَفاءِ وَٱلرَّحْمَةِ. وَما كُنْتَ حَقِيقاً أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ ٱلْمَقالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهٰذا ٱلْخِطابِ مَعَ ما عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ أَمَّنْتُ ٱلْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي. أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْراً مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْساً خائِفَةً وَحَقَنَ دَماً مَهْدُوراً[4]. وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَلَسْتُ بِغادِرٍ بِهِ وَلا خافِرٍ[5] لَهُ ذِمَّةً* قالَ ٱلْغُرابُ إِنِّي لَأَعْرِفُ ما يَقُولُ ٱلْمَلِكُ وَلٰكِنْ

---

١ عهده اي امّنه ٢ فائدة ٣ يعني منفعة ٤ مسفوكا بالباطل ٥ ناقض

ٱلنَّفْسَ ٱلْواحِدَةَ يُقْتَدَى بِها أَهْلُ ٱلْبَيْتِ وَأَهْلُ ٱلْبَيْتِ تُقْتَدَى بِهِمْ ٱلْقَبِيلَةُ وَٱلْقَبِيلَةُ يُقْتَدَى بِها أَهْلُ ٱلْمِصْرِ وَأَهْلُ ٱلْمِصْرِ فِدَى ٱلْمَلِكِ. وَقَدْ نَزَلَتْ بِٱلْمَلِكِ ٱلْحاجَةُ وَأَنا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لا يَتَكَلَّفَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ وَلا يَلِيَهُ[1] بِنَفْسِهِ وَلا يَأْمُرَ بِهِ أَحَدًا. وَلٰكِنَّا نَحْتالُ بِحِيلَةٍ لَنا وَلَهُ فِيها صَلاحٌ وَظَفَرٌ* فَسَكَتَ ٱلْأَسَدُ عَنْ جَوابِ ٱلْغُرابِ عَنْ هٰذا ٱلْخِطابِ. فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْغُرابُ إِقْرارَ ٱلْأَسَدِ أَتَى صاحِبَيْهِ فَقالَ لَهُما قَدْ كَلَّمْتُ ٱلْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ ٱلْجَمَلَ عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَٱلْجَمَلُ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ فَنَذْكُرَ ما أَصابَهُ وَنَتَوَجَّعَ لَهُ ٱهْتِمامًا مِنّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلاحِهِ. وَيَعْرِضَ كُلُّ واحِدٍ مِنّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلًا لِيَأْكُلَهُ فَيَرُدَّ ٱلْآخَرانِ عَلَيْهِ وَيُسَفِّها رَأْيَهُ وَيُبَيِّنا ٱلضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ. فَإِذا جاءَتْ نَوْبَةُ ٱلْجَمَلِ صَوَّبْنا رَأْيَهُ فَهَلَكَ وَسَلِمْنا كُلُّنا وَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ عَنّا. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى ٱلْأَسَدِ* فَقالَ ٱلْغُرابُ قَدِ ٱحْتَجْتَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ إِلَى ما يَقُوتُكَ. وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنا لَكَ فَإِنّا بِكَ نَعِيشُ. فَإِذا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنّا بَقاءٌ بَعْدَكَ وَلا لَنا فِي ٱلْحَياةِ مِنْ خِيرَةٍ[2] فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ

---

١ يتولاهُ ٢ الاسم من اختار الشيء اى اختيار

فَقَدْ طِبْتُ بِذٰلِكَ نَفْسًا. فَأَجَابَهُ ٱلذِّئْبُ وَٱبْنُ آوَى أَنِ ٱسْكُتْ فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شِبَعٌ * قَالَ ٱبْنُ آوَى لٰكِنْ أَنَا أُشْبِعُ ٱلْمَلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ وَطِبْتُ نَفْسًا. فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا إِنَّكَ لَمُنْتِنٌ قَذِرٌ * قَالَ ٱلذِّئْبُ إِنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ فَقَدْ سَمَحْتُ بِذٰلِكَ وَطَابَتْ بِهِ نَفْسِي. فَٱعْتَرَضَهُ ٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى وَقَالَا قَدْ قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ * فَظَنَّ ٱلْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْأَكْلِ ٱلْتَمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا ٱلْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ٱلْأَعْذَارَ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى ٱلْأَسَدُ عَنْهُ بِذٰلِكَ وَيَنْجُو مِنَ ٱلْمَهَالِكِ. فَقَالَ لٰكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيءٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ وَيُطْعِمْ أَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ وَطَابَتْ نَفْسِي بِهِ. فَقَالَ ٱلذِّئْبُ وَٱبْنُ آوَى وَٱلْغُرَابُ لَقَدْ صَدَقَ ٱلْجَمَلُ وَكَرُمَ وَقَالَ مَا عَرَفَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ — ١٦٩/٣||

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ ٱلْأَسَدِ قَدِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنِعَ

مِنهُمْ وَلا أَحتَرِسَ وَإِنْ كَانَ رَأْيُ ٱلْأَسَدِ فِيَّ عَلَى غَيْرِ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلرَّأْيِ. فَإِنَّ ذٰلِكَ لا يَنْفَعُنِي وَلا يُغْنِي عَنِّي شَيْئاً. وَقَدْ يُقالُ خَيْرُ ٱلسَّلاطِينِ مَنْ أَشْبَهَ ٱلنَّسرَ وَحَوْلَهُ ٱلْجِيَفُ لا مَنْ أَشْبَهَ ٱلْجِيفَةَ وَحَوْلَها ٱلنُّسُورُ. وَلَوْ أَنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفسِهِ لِي إِلَّا ٱلْخَيْرُ وَٱلرَّحمةُ لَغَيَّرَتْهُ كَثْرَةُ ٱلْأَقاوِيلِ فَإِنَّها إِذا كَثُرَتْ لَمْ تَكُفَّ دُونَ أَنْ تُذْهِبَ ٱلرِّقَةَ وَٱلرَّأْفَةَ. أَلا تَرَى أَنَّ ٱلْماءَ لَيْسَ كَٱلْقَوْلِ وَأَنَّ ٱلْحَجَرَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْإِنْسانِ. وَٱلْماءُ إِذا دامَ ٱنْحِدارُهُ عَلَى ٱلْحَجَرِ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى يَثْقُبَهُ وَيُؤَثِّرَ فيهِ. وَكَذٰلِكَ ٱلْقَوْلُ فِي ٱلْإِنْسانِ. قالَ دِمْنَةُ فَماذا تُرِيدُ أَنْ تَصنَعَ ٱلْآنَ. قالَ شَتْرَبَةُ ما أَرَى إِلَّا ٱلْاجْتِهادَ وَٱلْمُجاهَدَةَ بِٱلْقِتالِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي فِي صَلاتِهِ وَلا لِلْمُحْتَسِبِ[1] فِي صَدَقَتِهِ وَلا لِلْوَرِعِ فِي وَرَعِهِ مِنَ ٱلْأَجْرِ ما لِلْمُجاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ إِذا كانَتْ مُجاهَدَتُهُ عَلَى ٱلْحَقِّ. قالَ دِمْنَةُ لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخاطِرَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذٰلِكَ. وَلٰكِنْ ذا ٱلرَّأْيِ جاعِلٌ ٱلْقِتالَ آخِرَ ٱلْحِيَلِ وَبادِئٌ قَبْلَ ذٰلِكَ بِما ٱسْتَطاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ[2]. وَقَدْ قِيلَ لا تَحْقِرَنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلضَّعِيفَ ٱلْمَهِينَ[3] وَلا سِيَّما إِذا كانَ

---

١ المتصدق لوجه الله ٢ احتيال ٣ الحقير

ذا حِيلةٍ وَيَقْدِرُ عَلَى ٱلْأَعْوانِ . فَكَيْفَ بِٱلْأَسَدِ عَلَى جَرَآءَتِهِ وَشِدَّتِهِ . فَإِنَّ مَنْ حَقَرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أَصابَهُ ما أَصابَ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ مِنَ ٱلطِّيطَوَى . قالَ شَتْرَبَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ طائِرًا مِنْ طُيُورِ ٱلْبَحْرِ يُقالُ لَهُ ٱلطِّيطَوَى كانَ وَطَنُهُ عَلَى ساحِلِ ٱلْبَحْرِ وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا جاءَ أَوانُ إِفْراخِهِما قالَتِ ٱلْأُنْثَى لِلذَّكَرِ لَوِ ٱلْتَمَسْنا مَكانًا حَرِيزًا[١] غَيْرَ هٰذا نُفْرِخُ فِيهِ فَإِنِّي أَخافُ مِنَ ٱلْبَحْرِ إِذا مَدَّ ٱلْماءُ أَنْ يَذْهَبَ بِفِراخِنا . فَقالَ لَها ما أَراهُ يَحْمِلُ[٢] عَلَيْنا فَإِنْ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ يَخافُنِي أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ فَأَفْرِخِي فِي مَكانِكِ فَإِنَّهُ مُوافِقٌ لَنا وَٱلْماءُ وَٱلزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قالَتْ لَهُ يا غافِلُ ما أَشَدَّ عِنادَكَ وَتَصَلُّبَكَ أَما تَذْكُرُ وَعِيدَهُ[٣] وَتَهَدُّدَهُ إِيّاكَ . أَلا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدِ مَنْ لا طاقَةَ لَكَ بِهِ . فَأَبَى أَنْ يُطِيعَها . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَها قالَتْ لَهُ إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ ٱلنّاصِحِ يُصِيبُهُ ما أَصابَ ٱلسُّلَحْفاةَ حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ ٱلْبَطَّتَيْنِ . قالَ ٱلذَّكَرُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَتِ ٱلْأُنْثَى زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ وَكانَ

---

١ حصينًا ٢ يهجم ٣ الوعيد في الشر كالوعد في الخير

فيهِ بطّتانِ. وكانَ في ٱلْغَديرِ سُلَحْفاةٌ بينها وبينَ ٱلْبطّتَيْنِ مودّةٌ وصداقةٌ. فٱتّفقَ أَنْ غِيضَ[1] ذٰلكَ ٱلْماءُ فجاءَتِ ٱلْبطّتانِ لِوداعِ ٱلسُّلَحْفاةِ وقالتا ٱلسَّلامُ عليكِ فإنّنا ذاهبتانِ عن هٰذا ٱلْمَكانِ لأَجلِ نُقصانِ ٱلْماءِ عنهُ. فقالتْ إنّما يبِينُ نُقصانُ ٱلْماءِ على مِثلي ٱلّتي كأنّي ٱلسَّفينةُ لا أَقدِرُ على ٱلْعيشِ إلّا بٱلْماءِ. فأَمّا أَنتما فتقدِرانِ على ٱلْعيشِ حيثُ كُنتما. فٱذهبا بي معكما. قالتا نَعَمْ * قالتْ كيفَ ٱلسَّبيلُ إلى حَمْلي * قالتا نأخذُ بطرَفَيْ عودٍ وتقبِضينَ بفيكِ على وسطِهِ ونطيرُ بكِ في ٱلْجوِّ. وإيّاكِ إذا سمِعتِ ٱلنّاسَ يتكلّمونَ أَنْ تنطِقي. ثُمَّ أَخذَتاها فطارَتا بها في ٱلْجوِّ. فقالَ ٱلنّاسُ عجَبٌ سُلَحْفاةٌ بينَ بطّتَيْنِ قد حملَتاها. فلمّا سمِعتْ ذٰلكَ قالتْ فقأَ ٱللهُ أَعينَكُمْ أَيُّها ٱلنّاسُ. فلمّا فتحتْ فاها بٱلنُّطقِ وقعتْ على ٱلْأَرضِ فماتتْ

قالَ ٱلذَّكَرُ قد سمِعتُ مقالتَكِ فلا تخافي وكيلَ ٱلْبحرِ. فلمّا مدَّ ٱلْماءُ[2] دنا وكيلُ ٱلْبحرِ فذهبَ بفِراخِهما * فقالتِ ٱلْأُنثى قد عرَفتُ في بدْءِ ٱلْأَمرِ أَنَّ هٰذا كائنٌ وما أَصابنا إنّما هوَ بتفريطِكَ[3] * قالَ ٱلذَّكَرُ قد قلتُ ما قلتُ وأَنا على قولي

---

١ نقص ٢ ارتفع وعمر شيئاً من الساحل ٣ تقصيرك

وَسَوْفَ تَرَيْنَ صُنْعِي بِهِ وَانْتِقامِي مِنْهُ * ثُمَّ مَضَى إِلَى جَماعَةِ الطَّيْرِ فَقالَ لَهُنَّ إِنَّكُنَّ أَخَواتِي وَثِقاتِي[1] فَأَعِنَّنِي * قُلْنَ ماذا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ. قالَ تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى سائِرِ الطَّيْرِ فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ ما لَقِيتُ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ وَنَقُولُ لَهُنَّ إِنَّكُنَّ طَيْرٌ مِثْلُنا فَأَعِنَّنا * فَقالَتْ لَهُ جَماعَةُ الطَّيْرِ إِنَّ الْعَنْقاءَ بِنْتَ الرِّيحِ هِيَ سَيِّدَتُنا وَمَلِكَتُنا فَاذْهَبْ بِنا إِلَيْها حَتَّى نَصِيحَ بِها فَتَظْهَرَ لَنا فَنَشْكُوَ إِلَيْها ما نالَكَ[2] مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ وَنَسْأَلَها أَنْ تَنْتَقِمَ لَنا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِها * ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْها مَعَ الطِّيطَوَى فَاسْتَغَثْنَها[3] وَصِحْنَ بِها فَتَراءَتْ لَهُنَّ فَأَخْبَرْنَها بِقِصَّتِهِنَّ وَسَأَلْنَها أَنْ تَطِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحارَبَةِ وَكِيلِ الْبَحْرِ. فَأَجابَتْهُنَّ إِلَى ذٰلِكَ. فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَماعَةِ الطَّيْرِ خافَ مِنْ مُحارَبَةِ مَلِكٍ لا طاقَةَ لَهُ بِهِ[4]. فَرَدَّ فِراخَ الطِّيطَوَى وَصالَحَهُ فَرَجَعَتِ الْعَنْقاءُ عَنْهُ

وَإِنَّما حَدَّثْتُكَ بِهٰذا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتالَ مَعَ الْأَسَدِ لا أَراهُ لَكَ رَأْيًا * قالَ شَتْرَبَةُ فَما أَنا بِمُقاتِلِ الْأَسَدِ وَلا ناصِبٍ

---

١ اللواتي اثق بكنّ ٢ اصابك ٣ طلبن اغاثتها اي مساعدتها

٤ لا قدرة له عليه

لهُ العَداوةَ سِرًّا ولا علانيةً ولا متغيِّر لهُ عمّا كُنتُ عليهِ حتّى يَبدُوَ لي منهُ ما أتخوَّفُ فأُغالبهُ * فكرِهَ دِمنةُ قولَهُ وعلِمَ أنَّ الأسدَ إن لم يرَ مِنَ الثورِ العلاماتِ التي كانَ ذكرَها لهُ اتّهمَهُ (١) وأساءَ بهِ الظنَّ . فقالَ لِشتربةَ اذهبْ إلى الأسدِ فستعرِفُ حينَ ينظرُ إليكَ ما يُريدُ منكَ * قالَ شتربةُ وكيفَ أعرِفُ ذلكَ * قالَ دِمنةُ سترى الأسدَ حينَ تدخلُ عليهِ مُقعِيًا (٢) على ذنبِهِ رافعًا صدرَهُ إليكَ مادًّا بصرَهُ نحوكَ قد صرَّ (٣) أُذنيهِ وفغرَ (٤) فاهُ واستوى (٥) للوثبةِ (٦) . قالَ إن رأيتُ هذهِ العلاماتِ مِنَ الأسدِ عرفتُ صدقَكَ في قولِكَ

ثُمَّ إنَّ دِمنةَ لمّا فرغَ مِن تحريشِ الأسدِ على الثورِ والثورِ على الأسدِ توجَّهَ إلى كليلةَ * فلمّا التقيا قالَ كليلةُ إلامَ انتهى عملُكَ الذي كُنتَ فيهِ * قالَ دِمنةُ قريبٌ مِنَ الفراغِ على ما أُحِبُّ وتُحِبُّ * ثُمَّ إنَّ كليلةَ ودِمنةَ انطلقا جميعًا ليحضُرا قتالَ الأسدِ والثورِ وينظُرا ما يجري بينهما وما يؤُولُ إليهِ أمرُهما . وجاءَ شتربةُ فدخلَ على الأسدِ فرآهُ مُقعِيًا كما وصفَهُ

---

١ بمعنى اساءَ بهِ الظنَّ ٢ جالسًا على اليتيهِ ناصبًا فخذيهِ كجلوس الكلب
٣ نصب ٤ فتح ٥ جلس ٦ القفزة والهجمة

لَهُ دِمْنَةُ * فَقَالَ ما صاحِبُ ٱلسُّلْطانِ إِلاَّ كَصاحِبِ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتي في صَدْرِهِ لا يَدْرِي مَتَى تَهِيجُ عَلَيْهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى ٱلثَّوْرِ فَرَأَى ٱلدِّلالاتِ ٱلَّتِي ذَكَرَها لَهُ دِمْنَةُ فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ جاءَ لِقِتالِهِ فَواثَبَهُ[١] وَنَشَأَتْ بَيْنَهُما ٱلْحَرْبُ وَٱشْتَدَّ قِتالُ ٱلثَّوْرِ وَٱلْأَسَدِ وَطالَ وَسالَتْ بَيْنَهُما ٱلدِّماءُ * فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةُ أَنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْقِتالِ ما بَلَغَ قالَ لِدِمْنَةَ أَيُّها ٱلْفَسْلُ[٢] ما أَنْكَرَ[٣] جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عاقِبَتَكَ فِي تَدْبِيرِكَ * قالَ دِمْنَةُ وَما ذاكَ * قالَ كَلِيلَةُ جُرِحَ ٱلْأَسَدُ وَهَلَكَ ٱلثَّوْرُ. وَإِنَّ أَخْرَقَ[٤] ٱلْخُرْقِ[٥] مَنْ حَمَلَ صاحِبَهُ عَلَى سُوءِ ٱلْخُلُقِ وَٱلْمُبارَزَةِ وَٱلْقِتالِ وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ سَبِيلاً. وَإِنَّما ٱلرَّجُلُ إِذا أَمْكَنَتْهُ ٱلْفُرْصَةُ مِنْ عَدُوِّهِ يَتْرُكُهُ مَخافَةَ ٱلتَّعَرُّضِ لَهُ بِٱلْمُجاهَرَةِ وَرَجاءَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ بِدُونِ ذٰلِكَ. وَإِنَّ ٱلْعاقِلَ يُدَبِّرُ ٱلْأَشْياءَ وَيَقِيسُها قَبْلَ مُباشَرَتِها[٦] فَما رَجا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْها أَقْدَمَ[٧] عَلَيْهِ وَما خافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ[٨] عَلَيْهِ مِنْها ٱنْحَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ * وَإِنِّي لَأَخافُ عَلَيْكَ عاقِبَةَ بَغْيِكَ هٰذا فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْقَوْلَ وَلَمْ

١ هاجمه ٢ الذي لا مروءة له ٣ اقبح ٤ تفضيل من الخرق وهو عدم احسان التصرّف في الامور ٥ جمع اخرق ٦ الشروع فيها ٧ هجم ٨ لا يمكن

تُحْسِنِ ٱلْعَمَلَ. أَيْنَ مُعاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لا تُضِرُّ بِٱلْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ * وَقَدْ قِيلَ لا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَعَ ٱلْعَمَلِ. وَلا فِي ٱلْفِقْهِ إِلَّا مَعَ ٱلْوَرَعِ(١). وَلا فِي ٱلصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ ٱلنِّيَّةِ. وَلا فِي ٱلْمالِ إِلَّا مَعَ ٱلْجُودِ. وَلا فِي ٱلصِّدْقِ إِلَّا مَعَ ٱلْوَفَاءِ. وَلا فِي ٱلْحَياةِ إِلَّا مَعَ ٱلصِّحَّةِ وَلا فِي ٱلْأَمْنِ إِلَّا مَعَ ٱلسُّرُورِ * وَقَدْ شَرَطْتَ أَمْرًا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْعاقِلُ ٱلرَّفِيقُ(٢).

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ ٱلْعاقِلِ ٱلطَّيْشَ وَيَزِيدُ ٱلْأَحْمَقَ طَيْشًا كَما أَنَّ ٱلنَّهارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظَرًا وَيَزِيدُ ٱلْخُفَّاشَ(٣) سُوءَ ٱلنَّظَرِ. فَذُو ٱلْعَقْلِ لا يَبْطَرُ مِنْ مَنْزِلَةٍ أَصابَها وَإِنْ تَعاظَمَ أَمْرُهُ وَقَدْرُهُ وَيَكُونُ عِنْدَ ذٰلِكَ كَٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي لا تُحَرِّكُهُ ٱلرِّياحُ ٱلشَّدِيدَةُ. وَٱلسَّخِيفُ كَٱلْعُشْبِ يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ * وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ. فَإِنَّهُ يُقالُ إِنَّ ٱلسُّلْطانَ إِذا كانَ صالِحًا وَوُزَراؤُهُ وُزَراءَ سُوءٍ مَنَعُوا خَيْرَهُ فَلا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ. وَمَثَلُهُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْماءِ ٱلطَّيِّبِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلتَّماسِيحُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَناوَلَهُ وَإِنْ كانَ إِلَى ٱلْماءِ مُحْتاجًا. وَإِنَّما ٱلْمَلِكُ وَزِينَتُهُ أَنْ تَكُونَ جُنُودُهُ وَوُزَراؤُهُ ذَوِي صَلاحٍ

---

١ التقى ٢ الحاذق المحسن للعمل ٣ الوطواط

فَيُسَدِّدُونَ أَحْوالَ ٱلنَّاسِ وَيَنْظُرُونَ فِي صَلاحِهِمْ * وَأَنْتَ يا دِمْنَةُ أَرَدْتَ أَنْ لا يَدْنُوَ مِنَ ٱلْأَسَدِ أَحَدٌ سِواكَ وَهٰذا أَمْرٌ لا يَصِحُّ وَلا يَتِمُّ أَبَدًا وَذٰلِكَ لِلْمَثَلِ ٱلْمَضْرُوبِ إِنَّ ٱلْبَحْرَ بِأَمْواجِهِ وَٱلسُّلْطانَ بِأَصْحابِهِ. وَمِنَ ٱلْحُمْقِ ٱلْحِرْصُ عَلَى ٱلْتِماسِ ٱلْإِخْوانِ بِغَيْرِ ٱلْوَفاءِ لَهُمْ. وَٱلْتِماسِ ٱلْآخِرَةِ بِٱلرِّياءِ. وَمَوَدَّةِ ٱلنِّساءِ بِٱلْغِلْظَةِ[1]. وَنَفْعِ ٱلنَّفْسِ بِضَرِّ ٱلْغَيْرِ * وَما عِظَتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَما قالَ ٱلرَّجُلُ لِلطَّائِرِ لا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ ما لا يَسْتَقِيمُ وَلا تُعالِجْ تَأْدِيبَ ما لا يَتَأَدَّبُ * قالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ جَماعَةً مِنَ ٱلْقِرَدَةِ[2] كانُوا ساكِنِينَ فِي جَبَلٍ. فَٱلْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بارِدَةٍ ذاتِ رِياحٍ وَأَمْطارٍ نارًا فَلَمْ يَجِدُوا. فَرَأَوْا يَراعَةً[3] تَطِيرُ كَأَنَّها شَرارَةُ نارٍ فَظَنُّوها نارًا وَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا فَأَلْقَوْهُ عَلَيْها وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ بِأَفْواهِهِمْ وَيَتَرَوَّحُونَ[4] بِأَيْدِيهِمْ طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِدُوا نارًا يَصْطَلُونَ[5] بِها مِنَ ٱلْبَرْدِ. وَكانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى ما صَنَعُوا فَجَعَلَ يُنادِيهِمْ وَيَقُولُ لا تَتْعَبُوا

---

١ خلاف الرقة ٢ جمع قرد ٣ ذبابة تطير في الليل كأنها نار
٤ يجلبون الريح ٥ يتدفأون

فَإِنَّ ٱلَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى ٱلْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ فَإِنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلصُّلْبَ ٱلَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ ٱلسُّيُوفُ وَٱلْعُودَ ٱلَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا تُعْمَلُ مِنْهُ ٱلْقَوْسُ فَلَا تَتْعَبْ . فَأَبَى ٱلطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ ٱلْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ ٱلْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَاتَ * فَهٰذَا مَثَلُكَ مَعِي فِي ذٰلِكَ . ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ ٱلْخِبُّ[١] وَٱلْفُجُورُ[٢] وَهُمَا خَلَّتَا[٣] سُوءٍ وَٱلْخِبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً . وَلِهٰذَا مَثَلٌ * قَالَ دِمْنَةُ وَمَا ذٰلِكَ ٱلْمَثَلُ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا[٤] وَمُغَفَّلًا ٱشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ تَخَلَّفَ[٥] ٱلْمُغَفَّلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَوَجَدَ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَخَذَهُ . فَأَحَسَّ بِهِ ٱلْخَبُّ فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ قَعَدَا لِٱقْتِسَامِ ٱلْمَالِ . فَقَالَ ٱلْمُغَفَّلُ خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ وَكَانَ ٱلْخَبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِٱلْأَلْفِ جَمِيعِهَا . فَقَالَ لَا نَقْتَسِمْ فَإِنَّ ٱلشِّرْكَةَ وَٱلْمُفَاوَضَةَ[٦]

---

١ الخبث والخداع ٢ الكذب والعصيان ٣ خصلتا ٤ الخبيث الخادع ٥ تاخر ٦ بمعنى الشركة

أَقْرَبُ إِلَى ٱلصَّفَاءِ وَٱلْمُخَالَطَةِ. وَلٰكِنْ آخُذُ نَفَقَةً وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا وَنَدْفِنُ ٱلْبَاقِيَ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ وَذٰلِكَ أَكْتَمُ لِأَمْرِنَا. فَإِذَا ٱحْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ. فَأَخَذَا مِنْهَا يَسِيرًا وَدَفَنَا ٱلْبَاقِيَ فِي أَصْلِ ٱلشَّجَرَةِ وَدَخَلَا ٱلْبَلَدَ* ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَبَّ خَالَفَ ٱلْمُغَفَّلَ إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ(١) فَأَخَذَهَا وَسَوَّى ٱلْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ. وَجَاءَ ٱلْمُغَفَّلُ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ لِلْخَبِّ قَدِ ٱحْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ فَٱنْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتَنَا. فَقَامَ ٱلْخَبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا إِلَى ٱلْمَكَانِ فَحَفَرَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا. فَأَقْبَلَ ٱلْخَبُّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ لَا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ. خَالَفْتَنِي إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ فَأَخَذْتَهَا. فَجَعَلَ ٱلْمُغَفَّلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا وَلَا يَزْدَادُ ٱلْخَبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي ٱللَّطْمِ وَقَالَ مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ وَهَلْ شَعَرَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ* ثُمَّ طَالَ بَيْنَهُمَا ذٰلِكَ فَتَرَافَعَا إِلَى ٱلْقَاضِي فَأَقْتَصَّ ٱلْقَاضِي قِصَّتَهُمَا(٢). فَٱدَّعَى ٱلْخَبُّ أَنَّ ٱلْمُغَفَّلَ أَخَذَهَا وَجَحَدَ(٣) ٱلْمُغَفَّلُ. فَقَالَ لِلْخَبِّ أَلَكَ عَلَى دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ. قَالَ نَعَمِ ٱلشَّجَرَةُ ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ لِي أَنَّ ٱلْمُغَفَّلَ قَدْ أَخَذَهَا* وَكَانَ ٱلْخَبُّ قَدْ أَتَى أَبَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ

---

١ قصدها مخالفا له ٢ طلب ان يقصاها عليه ٣ انكر

أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوارَى[1] فِي ٱلشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَ أَجَابَ • فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ رُبَّ مُتَحَيِّلٍ أَوْقَعَهُ تَحَيُّلُهُ فِي وَرْطَةٍ[2] عَظِيمَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْخَلَاصِ مِنْهَا • فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ ٱلْعُلْجُومِ • قَالَ ٱلْخَبُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ أَبُوهُ زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا جَاوَرَ حَيَّةً فَكَانَ كُلَّمَا أَفْرَخَ جَاءَتْ إِلَى عُشِّهِ وَأَكَلَتْ فِرَاخَهُ • فَفَزِعَ[3] فِي ذٰلِكَ إِلَى ٱلسَّرَطَانِ فَقَالَ لَهُ ٱلسَّرَطَانُ إِنَّ بِقُرْبِكَ جُحْرًا يَسْكُنُهُ ٱبْنُ عِرْسٍ وَهُوَ يَأْكُلُ ٱلْحَيَّاتِ • فَٱجْمَعْ سَمَكًا كَثِيرًا وَفَرِّقْهُ مِنْ جُحْرِ ٱبْنِ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ ٱلسَّمَكِ ٱنْتَهَى مِنْ جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ فَأَكَلَهَا • فَفَعَلَ وَكَانَ كَذٰلِكَ • ثُمَّ تَدَرَّجَ ٱبْنُ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ فِي طَلَبِ غَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ إِلَى جُحْرِ ٱلْعُلْجُومِ فَأَكَلَهُ أَيْضًا وَفِرَاخَهُ جَمِيعًا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَثَبَّتْ[4] فِي ٱلْحِيَلِ وَيَتَدَبَّرْهَا وَيَنْظُرْ فِيهَا أَوْقَعَتْهُ حِيلَتُهُ فِي أَشَدِّ مِمَّا يَحْتَالُ لَهُ * قَالَ ٱلْخَبُّ قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلٰكِنْ لَا تَخَفْ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَسِيرٌ حَقِيرٌ • وَلَمْ يَزَلْ بِهِ[5] حَتَّى طَاوَعَهُ وَٱنْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ

١ يختفي ٢ مهلكة ٣ التجا ٤ يتأنّ ٥ اي لم يزل يحاوله

جَوْفَ ٱلشَّجَرَةِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ مِنَ ٱلْخَبِّ حَدِيثَ شَهَادَةِ ٱلشَّجَرَةِ أَكْبَرَهُ[١] وَٱنْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَٱلْخَبُّ وَٱلْمُغَفَّلُ مَعَهُ حَتَّى وَافَى ٱلشَّجَرَةَ فَسَأَلَهَا عَنِ ٱلْخَبَرِ. فَقَالَ ٱلشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا نَعَمِ ٱلْمُغَفَّلُ أَخَذَهَا. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقَاضِي ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ وَجَعَلَ يَطُوفُ بِٱلشَّجَرَةِ[٢] حَتَّى بَانَ لَهُ خَرْقٌ فِيهَا فَتَأَمَّلَهُ فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ ٱلشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا ٱلنِّيرَانُ. فَٱسْتَغَاثَ أَبُو ٱلْخَبِّ عِنْدَ ذٰلِكَ فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْهَلَاكِ. فَسَأَلَهُ ٱلْقَاضِي عَنِ ٱلْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْخَبَرِ. فَأَوْقَعَ بِٱلْخَبِّ ضَرْبًا وَبِأَبِيهِ صَفْعًا[٣] وَأَرْكَبَهُ مَشْهُورًا وَغَرَّمَ ٱلْخَبَّ ٱلدَّنَانِيرَ[٤] فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا ٱلْمُغَفَّلَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْخِبَّ وَٱلْخَدِيعَةَ رُبَّمَا كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ ٱلْمَغْبُونَ. وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخِبِّ وَٱلْخَدِيعَةِ وَٱلْفُجُورِ. وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ. وَإِنَّمَا عُذُوبَةُ مَاءِ ٱلْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى ٱلْبِحَارِ. وَصَلَاحُ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمُ ٱلْمُفْسِدُ. وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ

---

١ اعده كبيرًا ٢ يدور حولها ٣ ضربا على مؤخر العنق ٤ الزمه دفعها

ٱلْحَيَّةِ ذاتِ ٱللِّسانَيْنِ ٱلَّتي فيها ٱلسُّمُّ فَإِنَّهُ قَدْ يَجْري مِنْ لِسانِكَ كَسُمِّها. وَإِنّي لَمْ أَزَلْ لِذٰلِكَ ٱلسُّمِّ مِنْ لِسانِكَ خائِفًا وَلِما يَحُلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا[١]. وَٱلْمُفْسِدُ بَيْنَ ٱلْإِخْوانِ وَٱلْأَصْحابِ كَٱلْحَيَّةِ ٱلَّتي يُرَبّيها ٱلرَّجُلُ وَيُطْعِمُها وَيَمْسَحُها وَيُكْرِمُها ثُمَّ لا يَكُونُ لَهُ مِنْها غَيْرُ ٱللَّدْغِ. وَقَدْ يُقالُ ٱلْزَمْ ذا ٱلْعَقْلِ وَذا ٱلْكَرَمِ وَذا ٱلْأَصْلِ ٱلطَّيِّبِ وَٱسْتَرْسِلْ إِلَيْهِمْ[٢] وَإِيّاكَ وَمُفارَقَتَهُمْ. وَٱصْحَبِ ٱلصّاحِبَ إِذا كانَ عاقِلًا كَريمًا أَوْ عاقِلًا غَيْرَ كَريمٍ أَوْ كَريمًا غَيْرَ عاقِلٍ. فَٱلْعاقِلُ ٱلْكَريمُ كامِلٌ وَٱلْعاقِلُ غَيْرُ ٱلْكَريمِ ٱصْحَبْهُ وَإِنْ كانَ غَيْرَ مَحْمُودِ ٱلْخَليقَةِ[٣] وَٱحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلاقِهِ وَٱنْتَفِعْ بِعَقْلِهِ. وَٱلْكَريمُ غَيْرُ ٱلْعاقِلِ ٱلْزَمْهُ وَلا تَدَعْ مُواصَلَتَهُ وَإِنْ كُنْتَ لا تَحْمَدُ عَقْلَهُ وَٱنْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَٱنْفَعْهُ بِعَقْلِكَ. وَٱلْفِرارَ كُلَّ ٱلْفِرارِ مِنَ ٱللَّئيمِ ٱلْأَحْمَقِ. وَإِنّي بِٱلْفِرارِ مِنْكَ لَجَديرٌ. وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوُدًّا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ ٱلَّذي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ ما صَنَعْتَ. وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ ٱلتّاجِرِ ٱلَّذي قالَ إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذانُها مِئَةَ مَنٍّ[٤]

---

١ منتظرًا ٢ التعمق في مودتهم ٣ الطبيعة ٤ المنّ رطلان شاميان

حَدِيدًا لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ لِبُزَاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ ٱلْفِيلَةَ . قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ . فَأَرَادَ ٱلْخُرُوجَ إِلَى بَعْضِ ٱلْوُجُوهِ[١] لِٱبْتِغَاءِ[٢] ٱلرِّزْقِ وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةُ مَنٍّ حَدِيدًا فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ[٣] . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِمُدَّةٍ فَجَاءَ وَٱلْتَمَسَ ٱلْحَدِيدَ فَقَالَ لَهُ قَدْ أَكَلَتْهُ ٱلْجُرْذَانُ . فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ أَنْ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرِحَ ٱلرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَادَّعَى * ثُمَّ إِنَّ ٱلتَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ٱبْنًا لِلرَّجُلِ فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْغَدِ فَقَالَ لَهُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنِ ٱبْنِي . فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِٱلْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِيًا قَدِ ٱخْتَطَفَ صَبِيًّا صِفَتُهُ كَذَا وَلَعَلَّهُ ٱبْنُكَ . فَلَطَمَ ٱلرَّجُلُ رَأْسَهُ وَقَالَ يَا قَوْمُ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ ٱلْبُزَاةَ تَخْتَطِفُ ٱلصِّبْيَانَ . فَقَالَ نَعَمْ وَإِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِئَةَ مَنٍّ حَدِيدًا لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتُهَا ٱلْفِيلَةَ . قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ أَنَا أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهٰذَا ثَمَنُهُ فَارْدُدْ

---

١ الجهات ٢ طلب ٣ ما توجه له

عَلَيَّ أُبْنِي

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِمَلِكِهِ وَصاحِبِ نُعْماهُ[١] فَلَيسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَغْدُرَ بِغَيْرِهِ. وَإِذا صاحَبَ أَحَدٌ صاحِباً وَغَدَرَ بِمَنْ سِواهُ فَقَدْ عَلِمَ صاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ. فَلا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لا وَفاءَ لَهُ. وَحِباءٍ[٢] يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لا شُكْرَ لَهُ. وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلا يَسْمَعُهُ. وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ مَنْ لا يَحْفَظُهُ* وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْمُرَّةَ لَوْ طُلِيَتْ بِٱلْعَسَلِ لَمْ[٣] يُجْدِها ذٰلِكَ شَيْئاً. وَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلْأَخْيارِ تُورِثُ ٱلْخَيْرَ وَصُحْبَةَ ٱلْأَشْرارِ تُورِثُ ٱلشَّرَّ. كَٱلرِّيحِ إِذا مَرَّتْ بِٱلطِّيبِ حَمَلَتْ طِيباً وَإِذا مَرَّتْ بِٱلنَّتِنِ حَمَلَتْ نَتِناً* وَقَدْ طالَ وَثَقُلَ كَلامي عَلَيْكَ

فَٱنْتَهى كَلِيلَةُ مِنْ كَلامِهِ إِلَى هٰذا ٱلْمَكانِ وَقَدْ فَرَغَ ٱلْأَسَدُ مِنَ ٱلثَّوْرِ[٤]* ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ وَقالَ لَقَدْ فَجَعَني[٥] شَتْرَبَةُ بِنَفْسِهِ وَكانَ ذا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ. وَلا أَدْري لَعَلَّهُ كانَ بَرِيئاً أَوْ مَكْذُوباً عَلَيْهِ.

---

١ نعمته ٢ عطآء ٣ يفدها ٤ اي فرغ من قتله ٥ رزأني وإصابي

فَحَزِنَ وَنَدِمَ عَلَى ما كانَ مِنْهُ. وَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةُ فَتَرَكَ مُحاوَرَةَ كَلِيلَةَ وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقالَ لَهُ لِيَهْنِئْكَ ٱلظَّفَرُ. إِذا أَهْلَكَ ٱللّٰهُ أَعْداءَكَ فَماذا يُحْزِنُكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ* قالَ أَنا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَتْرَبَةَ وَرَأْيِهِ وَأَدَبِهِ* قالَ لَهُ دِمْنَةُ لا تَرْحَمْهُ أَيُّها ٱلْمَلِكُ فَإِنَّ ٱلْعاقِلَ لا يَرْحَمُ مَنْ يَخافُهُ. وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْحازِمَ رُبَّما أَبْغَضَ ٱلرَّجُلَ وَكَرِهَهُ ثُمَّ قَرَّبَهُ وَأَدْناهُ لِما يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْغَناءِ[1] وَٱلْكَفاءَةِ[2]. فِعْلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُتَكارِهِ عَلَى ٱلدَّواءِ ٱلشَّنِيعِ[3] رَجاءَ مَنْفَعَتِهِ. وَرُبَّما أَحَبَّ ٱلرَّجُلَ وَعَزَّ عَلَيْهِ فَأَقْصاهُ[4] وَأَهْلَكَهُ مَخافَةَ ضَرَرِهِ كَٱلَّذِي تَلْدَغُهُ ٱلْحَيَّةُ فِي إِصْبَعِهِ فَيَقْطَعُها وَيَتَبَرَّأُ مِنْها مَخافَةَ أَنْ يَسْرِيَ سُمُّها إِلَى بَدَنِهِ. فَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ بِقَوْلِ دِمْنَةَ* ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِكَذِبِهِ وَفُجُورِهِ فَقَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ

---

١ المنفعة ٢ مصدر فلانٌ كفوءٌ لكذا أي أهلٌ له
٣ الشاربه كرهًا ٤ أبعده



بابُ
ٱلفحصِ عَن أَمْرِ دِمْنَةَ

قالَ دبشليمُ ٱلمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلفَيلَسُوفِ قَدْ حَدَّثْتَنِي عَنِ ٱلْواشِي(١) ٱلْماهِرِ ٱلمحْتالِ كَيْفَ يُفْسِدُ بِٱلنَّمِيمةِ ٱلْمَوَدَّةَ ٱلثَّابِتَةَ بَيْنَ ٱلمتَحابَّيْنِ. فَحَدِّثْني إِنْ رَأَيْتَ بما كانَ مِنْ حالِ دِمْنَةَ وَإِلامَ آلَ مآلُهُ(٢) بَعْدَ قَتْلِ شَتْرَبَةَ وَما كانَ مِنْ مَعاذِيرِهِ عِنْدَ ٱلأَسَدِ وَأَصْحابِهِ حِينَ راجَعَ ٱلأَسَدُ رَأْيَهُ فِي ٱلثَّوْرِ وَأَدْخَلَ ٱلنَّمِيمَةَ عَلَى دِمْنَةَ وَما كانَتْ حُجَّتُهُ ٱلَّتِي ٱحْتَجَّ بِها

قالَ ٱلفَيلَسُوفُ إِنِّي وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ دِمْنَةَ أَنَّ ٱلأَسَدَ حِينَ قَتَلَ شَتْرَبَةَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ وَذَكَرَ قَدِيمَ صُحْبَتِهِ وَجَسِيمَ(٣) خِدْمَتِهِ وَإِنَّهُ كانَ أَكْرَمَ أَصْحابِهِ عَلَيْهِ وَأَخَصَّهُمْ مَنْزِلَةً لَدَيْهِ وَأَقْرَبَهُمْ وَأَدْناهُمْ إِلَيْهِ وَكانَ يُواصِلُ ٱلْمَشُورَةَ دُونَ خَواصِّهِ* وَكانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ ٱلثَّوْرِ ٱلنَّمِرُ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ أَمْسَى ٱلنَّمِرُ ذاتَ لَيْلَةٍ(٤) عِنْدَ ٱلأَسَدِ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ جَوْفَ ٱللَّيْلِ(٥) يُرِيدُ مَنْزِلَهُ. فَٱجْتازَ(٦) عَلَى مَنْزِلِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. فَلَمَّا

١ المفسد ٢ رجع مرجعه ٣ عظيم ٤ احدى الليالي ٥ اي وسطه ٦ مرَّ

انْتَهَى إِلَى ٱلْبَابِ سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَلُومُهُ فِي ٱلنَّمِيمَةِ وَٱسْتِعْمَالِهَا مَعَ ٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ[١] فِي حَقِّ ٱلْخَاصَّةِ[٢]. وَعَرَفَ ٱلنَّمِرُ عِصْيَانَ دِمْنَةَ وَتَرْكَ ٱلْقَبُولِ مِنْهُ فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا. فَكَانَ فِيمَا قَالَ كَلِيلَةُ لِدِمْنَةَ لَقَدِ ٱرْتَكَبْتَ مَرْكَبًا صَعْبًا وَدَخَلْتَ مَدْخَلًا ضَيِّقًا وَجَنَيْتَ[٣] عَلَى نَفْسِكَ جِنَايَةً[٤] مُوبِقَةً[٥] وَعَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ[٦] وَسَوْفَ يَكُونُ مَصْرَعُكَ[٧] شَدِيدًا إِذَا ٱنْكَشَفَ لِلْأَسَدِ أَمْرُكَ وَٱطَّلَعَ عَلَيْهِ وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمِحَالَكَ[٨] وَبَقِيتَ لَا نَاصِرَ لَكَ. فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ ٱلْهَوَانُ وَٱلْقَتْلُ مَخَافَةَ شَرِّكَ وَحَذَرًا مِنْ غَوَائِلِكَ[٩] فَلَسْتُ بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ خَلِيلًا وَلَا مُفْشٍ لَكَ سِرًّا. لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا تَبَاعَدْ مِمَّنْ لَا رَغْبَةَ لَكَ فِيهِ. وَأَنَا جَدِيرٌ بِمُبَاعَدَتِكَ[١٠] وَٱلْتِمَاسِ ٱلْخَلَاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّمِرُ هٰذَا مِنْ كَلَامِهِمَا قَفَلَ[١١] رَاجِعًا فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ ٱلْأَسَدِ فَأَخَذَ عَلَيْهَا ٱلْعُهُودَ وَٱلْمَوَاثِيقَ[١٢] أَنَّهَا لَا تَبُوحُ بِمَا يُسِرُّ إِلَيْهَا فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذٰلِكَ. فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ

---

١ القول على الناس ما لم يفعلوهُ وقد مرّ ٢ خلاف العامة ٣ جنى الذنب عليهِ جرَّهُ اليهِ ٤ ذنبًا ٥ مهلكة ٦ اي سيئة ٧ اي مقتلك ٨ كيدك ومكرك ٩ اي شرورك ١٠ اهل لها ١١ بمعنى رجع ١٢ اي عاهدها

فَوَجَدَتْهُ كَئِيباً[1] حَزِيناً مَهْمُوماً لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَتْرَبَةَ * فَقَالَتْ لَهُ مَا هٰذَا ٱلْهَمُّ ٱلَّذِي أَخَذَ مِنْكَ[2] وَغَلَبَ عَلَيْكَ * قَالَ يَحْزُنُنِي قَتْلُ شَتْرَبَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُوَاظَبَتَهُ مَعِي وَمَا كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ مُؤَامَرَتِهِ[3] وَأَسْكُنُ[4] إِلَيْهِ فِي مُشَاوَرَتِهِ وَأَقْبَلُ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ[5] * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ لَكَ فِي قَتْلِهِ فَرَجاً فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْزَنَ. وَإِلَّا فَقَلْبُكَ يَشْهَدُ أَنَّ عَمَلَكَ ٱلَّذِي عَمِلْتَهُ لَمْ يَكُنْ صَوَاباً وَلَا عَدْلاً. لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ فَفَكِّرْ فِي نَفْسِكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ لَهُ سَلِيماً فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ كَذٰلِكَ

فَٱنْظُرِ ٱلْآنَ وَٱبْحَثْ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ[6] هَلْ تَرَى ضَمِيرَكَ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّ ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ بِٱلثَّوْرِ كَانَ عَدْلاً أَمْ ظُلْماً * فَقَالَ ٱلْأَسَدُ إِنْ صَحَّ مَا تَقُولِينَ فَإِنِّي لَمْ أَقْتُلِ ٱلثَّوْرَ إِلَّا ظُلْماً لِأَنِّي قَدْ بَحَثْتُ فِي نَفْسِي كَمَا تَقُولِينَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ شَتْرَبَةَ وَقَتْلِهِ ظُلْماً وَبَغْياً[7] مَكْذُوباً عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَشْرَارِ. وَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأُمُورِ تُحِقُّ ٱلْحَقَّ وَتُبْطِلُ ٱلْبَاطِلَ.

---

١ مغموماً ٢ اي اشتد عليك ٣ بمعنى مشاورته ٤ اركنُ واطمئن
٥ اي نصحه ٦ سريرتك المضمرة ٧ بمعنى ظلماً

وَإِنَّ حَدِيثَكَ لِيَدُلُّ عَلَى مَكْنُونِ[1] أَمْرٍ. أَفَبَلَغَكَ شَيْءٌ عَنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ * فَقَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنَّ أَشَدَّ مَا شَهِدَ ٱمْرُؤٌ عَلَى نَفْسِهِ. وَهٰذَا خَطَآءٌ عَظِيمٌ كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِ ٱلثَّوْرِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يَقِينٍ. وَلَوْلَا مَا قَالَتِ ٱلْعُلَمَآءُ مِنْ إِذَاعَةِ ٱلْأَسْرَارِ وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلشَّنَارِ[2] لَذَكَرْتُ لَكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا عَلِمْتُ. فَإِنَّ ٱلْعُلَمَآءَ قَدْ قَالُوا إِنَّ أَحْمَدَ ٱلنَّاسِ عَاقِبَةً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ أَكْتَمُهُمْ لِلسِّرِّ * قَالَ ٱلْأَسَدُ إِنَّ أَقْوَالَ ٱلْعُلَمَآءِ لَهَا وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ. فَإِنَّهُمْ قَدْ قَالُوا أَيْضًا مَنِ ٱطَّلَعَ عَلَى ذُنُوبِ ٱلْمُذْنِبِينَ فَكَتَمَهَا عَنِ ٱلسُّلْطَانِ فَلَمْ يُعَاقَبُوا عَلَى ذُنُوبِهِمْ عُوقِبَ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. وَإِنَّ ٱلَّذِي أَطْلَعَكِ عَلَى هٰذَا ٱلسِّرِّ ٱلْعَظِيمِ لَمْ يُطْلِعْكِ عَلَيْهِ إِلَّا لِتُعْلِمِينِي بِهِ فَأَطْلِعِينِي عَلَى مَا أَسَرَّ إِلَيْكِ مِنْ ذٰلِكَ وَأَخْبِرِينِي بِهِ وَلَا تَطْوِيهِ عَنِّي * فَأَخْبَرَتْهُ بِجَمِيعِ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهَا ٱلنَّمِرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَهُ بِٱسْمِهِ وَقَالَتْ إِنِّي لَمْ أَجْهَلْ قَوْلَ ٱلْعُلَمَآءِ فِي تَعْظِيمِ ٱلْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْعَارِ فِي إِذَاعَةِ ٱلْأَسْرَارِ. وَلٰكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فِيهِ ٱلْمَصْلَحَةُ[3] لَكَ. فَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَآءُ إِنَّ فَسَادَ عَامَّةِ

---

١ مستور ٢ اقبح العيب ٣ المنفعة والفائدة

ٱلْأَشْيَاءِ يَكُونُ مِنْ حَالَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا إِفْشَاءُ ٱلسِّرِّ وَٱلْأُخْرَى تَرْكُ عُقُوبَةِ مَنْ يَسْتَوْجِبُ ٱلْعُقُوبَةَ . وَلَإِفْشَاءُ ٱلسِّرِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَبْقَى عَلَى هٰذَا ٱلْخَائِنِ[1] دِمْنَةَ ٱلَّذِي أَدْخَلَ ٱلْفَسَادَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلثَّوْرِ بِمَكْرِهِ وَفُجُورِهِ . فَلَوْ كُتِمَ أَمْرُهُ لَنَجَا مِنَ ٱلْعِقَابِ عَلَى فِعْلِهِ وَلَخِيفَ مِنْهُ أَكْبَرُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةِ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَدْ أَمَرَ ٱلْعُلَمَاءُ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْجَانِي[2] وَٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ وَلٰكِنَّهُمْ قَدْ نَهَوْا عَنِ ٱغْتِفَارِ ٱلْجُرْمِ[3] ٱلْعَظِيمِ وَٱلذَّنْبِ ٱلْكَبِيرِ

فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ صَحَّ[4] عِنْدَ ٱلْأَسَدِ مَا فَعَلَ دِمْنَةُ فَٱسْتَدْعَى أَصْحَابَهُ وَجُنْدَهُ فَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَلَمَّا حَضَرَ دِمْنَةُ نَكَسَ ٱلْأَسَدُ رَأْسَهُ[5] إِلَى ٱلْأَرْضِ مَلِيًّا[6] * فَٱلْتَفَتَ دِمْنَةُ إِلَى بَعْضِ ٱلْحَاضِرِينَ فَقَالَ مَا ٱلَّذِي حَدَثَ وَعَلَامَ ٱجْتَمَعْتُمْ وَمَا ٱلَّذِي أَحْزَنَ ٱلْمَلِكَ * فَٱلْتَفَتَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ أَحْزَنَ ٱلْمَلِكَ بَقَاؤُكَ وَلَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَنْ يَدَعَكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ حَيًّا * قَالَ دِمْنَةُ وَمَا حَدَثَ مِنْ أَمْرِي حَتَّى وَجَبَ بِهِ قَتْلِي * قَالَتْ إِنَّهُ قَدْ بَانَ لِلْمَلِكِ كَذِبُكَ وَفُجُورُكَ[7]

---

١ اى يبقى في الحياة ٢ المذنب ٣ بمعنى الذنب ٤ ثبت ٥ اي اطرق
٦ طويلاً ٧ بمعنى الكذب والشرّ

وَخَدِيعَتكَ فِي قَتْلِ ٱلثَّوْرِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كانَ مِنْهُ فَلَسْتَ حَقِيقاً[١] أَنْ تُتْرَكَ بِٱلْحَياةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ * قالَ دِمْنَةُ ما تَرَكَ ٱلْأَوَّلُ لِلآخِرِ شَيْئاً لِأَنَّهُ يُقالُ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ فِي تَوَقِّي ٱلشَّرِّ يُصِيبُهُ ٱلشَّرُّ قبلَ ٱلْمُسْتَسْلِمِ[٢] لهُ فَلا يَكُونَنَّ ٱلْمَلِكُ وَخاصَّتُهُ وَجُنُودُهُ ٱلْمَثَلَ ٱلسَّوْءَ . وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قالَ كُلَّما ٱزْدادَ ٱلْإِنْسانُ فِي ٱلْخَيْرِ ٱجْتِهادًا كانَ ٱلشَّرُّ أَلَيْهِ أَسْرَعَ . وَقَدْ قِيلَ مَنْ صَحِبَ ٱلْأَشْرارَ وَهُوَ يَعْلَمُ حالَهُمْ كانَ أَذاهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَلِذٰلِكَ ٱنْقَطَعَتِ[٣] ٱلنُّسَّاكُ بِأَنْفُسِها عَنِ ٱلْخَلْقِ وَٱخْتارَتِ ٱلْوَحْدَةَ عَلَى ٱلْمُخالَطَةِ وَحُبَّ ٱلْعَمَلِ لِلّٰهِ عَلَى حُبِّ ٱلدُّنْيا وَأَهْلِها . وَمَنْ يَجْزِي بِٱلْخَيْرِ خَيْرًا وَبِٱلْإِحْسانِ إِحْساناً إِلَّا ٱللّٰهُ . وَمَنْ طَلَبَ ٱلْجَزاءَ عَلَى ٱلْخَيْرِ مِنَ ٱلنَّاسِ كانَ حَقِيقاً أَنْ يَحْظَى بِٱلْحِرْمانِ إِذْ يُخْطِئُ ٱلصَّوابَ[٤] فِي خُلُوصِ ٱلْعَمَلِ لِغَيْرِ ٱللّٰهِ وَطَلَبِ ٱلْجَزاءِ مِنَ ٱلنَّاسِ . وَلٰكِنَّ عاقِبَةَ ما يَنْبَغِي أَنْ يُعاقَبَ بِهِ ٱلْفُجَّارُ يُصابُ بِهِ ٱلْأَخْيارُ . وَهٰذا ٱلْأَمْرُ شَبِيهٌ بِشَأْنِي لِأَنَّنِي حَمَلَنِي حُبُّ ٱلْمَلِكِ وَنُصْحِي لَهُ وَإِشْفاقِي[٥] عَلَيْهِ أَنْ أُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّ عَدُوِّهِ ٱلْخائِنِ . وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ قَدْ شاهَدَ مِنْهُ ذٰلِكَ عِياناً وَظَهَرَتْ لَهُ مِنْهُ ٱلْعَلاماتُ ٱلَّتِي ذَكَرْتُها لَهُ . أَفَهٰذا

---

١ مستحقا ٢ المنقاد ٣ اي خلت ٤ لا يصيبه ٥ خوفي وحذري

جَزَائِي مِنْهُ أَنْ أُقْتَلَ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ دِمْنَةَ أَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ لِيَجْتَهِدَ فِي ٱلْفَحْصِ عَنْهُ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ٱلْعَجَلَةِ وَٱلنَّدَامَةِ * فَعِنْدَ ذٰلِكَ سَجَدَ دِمْنَةُ لِلْأَسَدِ شُكْرًا لَهُ وَدَعَا لَهُ وَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَعْجَلْ فِي قَتْلِي وَلَا تَسْمَعْ فِي كَلَامَ ٱلْأَشْرَارِ وَلْيَبْحَثِ ٱلْمَلِكُ عَنْ أَمْرِي حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ صِدْقِي. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ إِنَّ ٱلنَّارَ أُخْفِيَتْ فِي ٱلْحِجَارَةِ فَلَا تُسْتَخْرَجُ مِنْهَا إِلَّا بِٱلْمُعَالَجَةِ وَٱلْقَدْحِ. وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ لِنَفْسِي ذَنْبًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ لَمْ أَقُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ. وَأَنَا أَرْغَبُ[1] إِلَى ٱلْمَلِكِ إِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِي أَنْ يَأْمُرَ بِٱلنَّظَرِ فِيهِ وَيَكُونَ مَنْ يَتَوَلَّى ذٰلِكَ لَا تَأْخُذُهُ فِي ٱللّٰهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ[2] وَإِلَّا فَلَا مَلْجَأَ لِي فِي ذٰلِكَ إِلَّا ٱللّٰهُ وَهُوَ ٱلَّذِي يَعْلَمُ سَرَائِرَ ٱلْعِبَادِ وَمَا تَكِنُّ[3] صُدُورُهُمْ. وَإِنَّ أَحَقَّ مَا رَغِبَتْ فِيهِ رَعِيَّةُ ٱلْمَلِكِ هُوَ مَحَاسِنُ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ ٱلصَّوَابِ وَجَمِيلُ ٱلسِّيَرِ[4]. وَإِنَّ ٱلْبَاطِلَ قَدْ يَتَلَبَّسُ[5] بِٱلْحَقِّ حَتَّى يَتَشَابَهَا كَمَا أَصَابَ ٱلْخَازِنَ

---

١ أبتهل وأتضرع ٢ اي لا يخاف فيه اللوم ٣ تضمر وتخفي ٤ جمع سيرة الانسان وهي طريقته التي يسير عليها بين الناس ٥ يختلط

ٱلَّذِي فَضَحَ سِرَّهُ بِٱلتَّلْبِيسِ[1] عَلَيْهِ . قَالَ ٱلْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ تَاجِرٌ وَكَانَ لَهُ خَازِنٌ لِبَيْتِ مَالِهِ . وَإِنَّ ٱلْخَازِنَ أَرَادَ ٱخْتِلَاسَ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمَالِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِأَنَّ ٱلتَّاجِرَ كَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْخَازِنُ بَيْتَ ٱلْمَالِ أَقْفَلَ عَلَيْهِ ٱلْبَابَ . فَإِذَا أَرَادَ ٱلْخُرُوجَ أَتَى فَفَتَحَ لَهُ وَفَتَّشَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِ ٱلتَّاجِرِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ مَاهِرٌ وَكَانَ هُوَ لِلْخَازِنِ صَدِيقًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْخَازِنُ يَوْمًا هَلْ لَكَ[2] أَنْ تُوَاطِئَنِي[3] عَلَى ٱلِاخْتِلَاسِ مِنْ هٰذَا ٱلْمَالِ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ وَمَا ٱلْحِيلَةُ وَلَا سَبِيلَ لِي إِلَى ٱلْخُرُوجِ إِلَيْكَ وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ٱلدُّخُولِ إِلَيَّ وَذَكَرَ لَهُ حَالَهُ مَعَ ٱلتَّاجِرِ . قَالَ ٱلْمُصَوِّرُ أَوَمَا لِبَيْتِ ٱلْمَالِ كُوَّةٌ إِلَى ٱلْخَارِجِ تُنَاوِلُنِي مِنْهَا شَيْئًا فِي ٱلظَّلَامِ . قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ أَخْشَى أَنْ يَرَانَا أَحَدٌ . قَالَ فَأَنَا أَمُرُّ قَرِيبًا مِنَ ٱلْكُوَّةِ إِذَا ٱبْتَدَأَ ٱلظَّلَامُ فَأُصَفِّرُ لَكَ أَوْ أُومِئُ إِلَيْكَ فَتَرْمِي لِي بِصُرَّةٍ فَآخُذُهَا وَلَا يُشْعَرُ بِنَا . فَرَضِيَ ٱلْخَازِنُ بِذٰلِكَ وَأَعْجَبَهُ وَأَقَامَا عَلَيْهِ حِينًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَازِنَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْمُصَوِّرِ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَالَ بِحِيلَةٍ

---

١ الخلط ٢ اي هل تريد ٣ توافقني

أَعْلَمُ بِهَا مَجِيئَكَ مِنْ غَيْرِ صَفْرٍ وَلَا إِيمَاءٍ وَلَا مَا يُرْتَابُ بِهِ مِنْ فِعْلِكَ وَفِعْلِي فَإِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَحُسَّ بِنَا أَحَدٌ . قَالَ ٱلْمُصَوِّرُ عِنْدِي مِنَ ٱلْحِيلَةِ مَا سَأَلْتَ . إِنَّ عِنْدِي مُلَآءَةً[1] فِيهَا مِنْ تَهَاوِيلِ ٱلصُّوَرِ[2] وَتَمَاثِيلِ ٱلصَّنْعَةِ فَإِنِّي أَلْبَسُهَا حِينَ مَجِيئِي وَأَتَرَاءَى لَكَ فِيهَا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمُصَوِّرَ لَبِسَ ٱلْمُلَآءَةَ وَتَرَاءَى لَهُ فَرَمَى لَهُ بِٱلصُّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا . وَلَمْ يَزَالَا عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى بَصُرَ بِهِمَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ جَارٌ لِلْمُصَوِّرِ . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَادِمٍ لِلْمُصَوِّرِ صَدَاقَةٌ . فَطَلَبَ ٱلْمُلَآءَةَ مِنْهُ وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أُرِيَهَا صَدِيقًا لِي لِأَسُرَّهُ بِذٰلِكَ وَأُسْرِعُ ٱلْكَرَّةَ[3] بِرَدِّهَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِذٰلِكَ مَوْلَاكَ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا . وَلَمَّا أَتَى ٱللَّيْلُ أَسْرَعَ فَلَبِسَهَا وَمَرَّ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَمُرُّ ٱلْمُصَوِّرُ فَلَمَّا رَآهُ ٱلْخَازِنُ لَمْ يَشُكَّ فِي مَجِيئِهِ فَرَمَى لَهُ بِٱلصُّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا وَٱنْطَلَقَ فَرَجَعَ بِٱلْمُلَآءَةِ إِلَى خَادِمِ ٱلْمُصَوِّرِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَوَضَعَهَا مَوْضِعَهَا وَكَانَ ٱلْمُصَوِّرُ عَنْ بَيْتِهِ غَائِبًا * فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ لَبِسَ ٱلْمُلَآءَةَ عَلَى عَادَتِهِ وَتَرَاءَى لِلْخَازِنِ فَعَجِبَ مِنْ رُجُوعِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَرْمِي لَهُ بِهِ وَٱنْصَرَفَ ٱلْمُصَوِّرُ بِلَا شَيْءٍ . ثُمَّ تَلَاقَيَا بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ

---

١ ثوب يلتحف به ٢ الوانها ونقوشها ٣ اعجل المجيء

لَهُ ٱلْمُصَوِّرُ لِمَ لَمْ تَرْمِ لِي بِٱلصُّرَّةِ . قَالَ أَوَ لَمْ تَمُرَّ قُبَيْلَ مُرُورِكَ وَرَمَيْتُ لَكَ بِهَا . فَرَجَعَ ٱلْمُصَوِّرُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَعَا خَادِمَهُ وَتَوَعَّدَهُ(٤) بِٱلْقَتْلِ أَوْ يُخْبِرَهُ بِٱلْحَقِيقَةِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْقِصَّةِ فَأَخَذَ ٱلْمُلَاءَةَ فَأَحْرَقَهَا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ إِرَادَةَ أَنْ لَا يَعْجَلَ ٱلْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِشُبْهَةٍ . وَلَسْتُ أَقُولُ هٰذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهًا لَا مَنْجَى مِنْهُ وَكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ . وَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا مَنِ ٱقْتَرَفَ(١) خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ أَسْلَمَ نَفْسَهُ إِلَى ٱلْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى ذٰلِكَ عَفَا ٱللّٰهُ عَنْهُ وَأَنْجَاهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِئَةُ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى ٱلْمَلِكِ فِي إِتْلَافِهِنَّ طِبْتُ لَهُ بِذٰلِكَ نَفْسًا * فَقَالَ بَعْضُ ٱلْجُنْدِ لَمْ يَنْطِقْ بِهٰذَا لِحُبِّهِ ٱلْمَلِكَ وَلٰكِنْ لِخَلَاصِ نَفْسِهِ وَٱلْتِمَاسِ ٱلْعُذْرِ لَهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ وَيْلَكَ وَهَلْ عَلَيَّ فِي ٱلْتِمَاسِ ٱلْعُذْرِ لِنَفْسِي عَيْبٌ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ . وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا ٱلْعُذْرَ فَمَنْ يَلْتَمِسُهُ . لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْتَلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلْبَغْضَاءِ . وَلَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ

١ تهدده ٢ ارتكب

مِنكَ أَنَّكَ لا تُحِبُّ لِأَحدٍ خيرًا وَأَنَّكَ عَدُوُّ نَفسِكَ فَمَنْ سِواها بِٱلْأَوْلَى . فَمِثْلُكَ لا يَصلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱلْبهائِمِ فَضلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱلْمَلِكِ وَأَنْ يَكُونَ بِبابِهِ * فَلَمَّا أَجابَهُ دِمْنَةُ بِذٰلِكَ خَرَجَ مُكْتَئِبًا[١] حَزِينًا مُستَحْيِيًا. فَقالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ لِدِمْنَةَ لَقَدْ عَجِبْتُ مِنكَ أَيُّها ٱلْمُحْتالُ فِي قِلَّةِ حَيائِكَ وَكَثْرَةِ قِحَتِكَ[٢] وَسُرْعَةِ جَوابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ . قالَ دِمْنَةُ لِأَنَّكِ تَنظُرِينَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ وَتَسْمَعِينَ بِأُذُنٍ واحِدَةٍ مَعَ أَنَّ شَقاوَةَ جَدِّي[٣] قَدْ زَوَتْ[٤] عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا إِلَى ٱلْمَلِكِ بِالنَّمِيمَةِ عَلَيَّ

وَإِنِّي أَرَى كُلَّ شَيْءٍ قَدْ تَنَكَّرَ[٥] حَتَّى صارَ ٱلنّاسُ لا يَنطِقُونَ بِٱلْحَقِّ وَصارَ مَنْ بِبابِ ٱلْمَلِكِ لِٱسْتِخْفافِهِمْ بِهِ وَطُولِ كَرامَتِهِ إِيّاهُمْ وَما هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلْعَيْشِ وَٱلنَّعْمَةِ[٦] لا يَدْرُونَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ ٱلْكَلامُ وَلا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمِ ٱلسُّكُوتُ * قالَتْ أَلا تَنظُرُونَ إِلَى هٰذا ٱلْخَبِيثِ مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ * قالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمالِهِمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ كَٱلَّذِي يَضَعُ ٱلرَّمادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ ٱلرَّمْلَ وَيَسْتَعْمِلَ فِيهِ

---

١ معبسًا ٢ وقاحتك ٣ حظي ٤ نحت ٥ تغير عن حاله ٦ التنعم

ٱلسِّرْجِينِ(١). وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسَ ٱلْمَرْأَةِ. وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ ٱلرَّجُلِ. وَٱلضَّيْفُ ٱلَّذِي يَقُولُ أَنَا رَبُّ ٱلْبَيْتِ. وَٱلَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ ٱلْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ. وَإِنَّمَا ٱلْخَبِيثُ مَنْ لَا يَعْرِفُ ٱلْأُمُورَ وَلَا أَحْوَالَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ ٱلشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ أَتَظُنُّ أَيُّهَا ٱلْغَادِرُ ٱلْمُحْتَالُ بِقَوْلِكَ هٰذَا أَنَّكَ تَخْدَعُ ٱلْمَلِكَ وَلَا يَسْجُنُكَ * قَالَ دِمْنَةُ ٱلْغَادِرُ هُوَ ٱلَّذِي لَا يَأْمَنُ عَدُوُّهُ مَكْرَهُ وَإِذَا ٱسْتَمْكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ أَيُّهَا ٱلْغَادِرُ ٱلْكَذُوبُ أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ وَأَنَّ مِحَالَكَ(٢) هٰذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ(٣) * قَالَ دِمْنَةُ ٱلْكَذُوبُ هُوَ ٱلَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ وَيَأْتِي بِمَا لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَفْعَلْ. وَأَمَّا أَنَا فَكَلَامِي حَقٌّ وَٱلْمَلِكُ يَعْلَمُ أَنَّنِي لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَمْ يَكُنْ لِي جُرْأَةٌ أَنْ أَتَكَلَّمَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ لَيْسَ أَشْجَعُ مِنْ بَرِيءٍ وَلَا أَذْلَقُ(٤) لِسَانًا مِنْ ذِي حَقٍّ * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْكُمْ هُمُ ٱلَّذِينَ يُوضِحُونَ أَمْرَهُ بِفَصْلِ ٱلْخِطَابِ(٥). ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ * فَدَفَعَ ٱلْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى

---

١ الزبل ٢ كيدك ومكرك وقد مرّ ٣ ذنبك ٤ احدّ ٥ الفصل بين الحق والباطل

ٱلْقاضي فأَمَرَ ٱلْقاضي بِسجْنِهِ فَأُلْقِيَ فِي عُنُقِهِ غُلٌّ[١] وَٱنطُلِقَ بِهِ إِلَى ٱلسِّجْنِ

فَلَمَّا ٱنْتصَفَ ٱللَّيْلُ أُخْبِرَ كَليلةُ أَنَّ دِمْنَةَ فِي ٱلسِّجْنِ. فَأَتاهُ مُسْتَخْفِيًا فَلَمَّا رَآهُ وما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ ٱلْقُيُودِ وَحَرَجِ[٢] ٱلْمكانِ بكَى. وَقالَ ما وَصَلْتَ إِلَى ما وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا لِٱسْتِعْمالِكَ ٱلْخَدِيعةَ وَٱلمكْرَ وَإِضْرابِكَ[٣] عَنِ ٱلْعِظَةِ وَٱلنُّصْحِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِيَ بُدٌّ فِيما مَضَى مِنْ إِنْذارِكَ وَٱلنَّصِيحَةِ لَكَ وَٱلْمُسارعةِ إِلَيْكَ فِي خُلُوصِ ٱلرَّغْبةِ فيكَ. فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالٌ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجالٌ. وَلَو كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ كُنْتَ فِي عافِيَةٍ لَكُنْتُ ٱلْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ. غَيْرَ أَنَّ ٱلْعُجْبَ[٤] دخَلَ مِنْكَ مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيَكَ وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ. وَكُنْتُ أَضْرِبُ لكَ ٱلْأَمْثالَ كَثِيرًا وَأُذَكِّرُكَ قَوْلَ ٱلْعُلَماءِ وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ إِنَّ ٱلْمُحْتالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجلِهِ * قالَ دِمْنَةُ قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ مَقالِكَ. وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ لا تَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَذابِ إِذا وَقَفْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَلَأَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلدُّنْيا بِجُرْمِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ ٱلْإِثْمِ *

١ طوق ٢ ضيق ٣ اعراضك ٤ الكبرياء

قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ • وَلٰكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ وَعِقَابَ ٱلْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ * وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي ٱلسِّجْنِ فَهْدٌ مُعْتَقَلٌ(١) يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرَيَانِهِ • فَعَرَفَ مُعَاتَبَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَأَنَّ دِمْنَةَ مُقِرٌّ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَعِظَمِ ذَنْبِهِ فَحَفِظَ ٱلْمُحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا * ثُمَّ انَّ كَلِيلَةَ ٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَدَخَلَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ حُوشِيتَ(٢) أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ بِٱلْأَمْسِ وَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ لِوَقْتِهِ وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ ٱلْعِبَادِ • وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى(٣) فِي ٱلْجِدِّ لِلتَّقْوَى • بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ ٱلْأَثِيمِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ كَلَامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ ٱلنَّمِرُ وَهُوَ صَاحِبُ ٱلْقَضَاءِ • فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ وَلِلْجَوَّاسِ(٤) ٱلْعَادِلِ ٱجْلِسَا فِي مَوْضِعِ ٱلْحُكْمِ وَنَادِيَا فِي ٱلْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ دِمْنَةَ وَيَبْحَثُوا عَنْ شَأْنِهِ وَيَفْحَصُوا عَنْ ذَنْبِهِ وَيُثْبِتُوا(٥) قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ ٱلْقَضَاءِ وَٱرْفَعَا إِلَيَّ ذٰلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا • فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّمِرُ ذٰلِكَ وَٱلْجَوَّاسُ ٱلْعَادِلُ وَكَانَ هٰذَا

١ مقيد ٢ اي نزهت ٣ يتباطأ ويتقاعد ٤ من اسماء الاسد ٥ يدوّنوا

ٱلْجَوَّاسُ عَمَّ ٱلْأَسَدِ قالا سَمعاً وَطاعةً لِما أَمَرَ ٱلْمَلِكُ وَخَرجا مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلا بِمُقْتَضَى ما أَمَرَهُما بِهِ. حَتَّى إِذا مَضَى مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي جَلَسُوا فِيهِ ثَلاثُ ساعاتٍ أَمَرَ ٱلْقاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ فَأُتِيَ بِهِ فَوُقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَٱلْجَماعَةُ حُضُورٌ

فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ بِهِ ٱلْمَكانُ نادَى سَيِّدُ ٱلْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَيُّها ٱلْجَمْعُ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ ٱلسِّباعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَتَلَ شَتْرَبَةَ خاثِرَ[1] ٱلنَّفْسِ كَثِيرَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ شَتْرَبَةَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكَذِبِ دِمْنَةَ وَنَمِيمَتِهِ. وَهٰذا ٱلْقاضِي قَدْ أُمِرَ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ ٱلْقَضاءِ وَيَبْحَثَ عَنْ شَأْنِ دِمْنَةَ. فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئاً فِي أَمْرِ دِمْنَةَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْجَمْعِ وَٱلْأَشْهادِ[2] لِيَكُونَ ٱلْقَضاءُ فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ ذٰلِكَ. فَإِذا ٱسْتَوْجَبَ ٱلْقَتْلَ فَٱلتَّثَبُّتُ[3] فِي أَمْرِهِ أَوْلَى وَٱلْعَجَلَةُ مِنَ ٱلْهَوَى[4] وَمُتابَعَةُ ٱلْأَصْحابِ عَلَى ٱلْباطِلِ ذُلٌّ * فَعِنْدَها قالَ ٱلْقاضِي أَيُّها ٱلْجَمْعُ ٱسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ وَلا تَكْتُمُوا ما عَرَفْتُمْ مِنْ أَمْرِهِ. وَٱعْتَبِرُوا فِي تَجَنُّبِ ٱلسَّتْرِ عَلَيْهِ ثَلاثَ خِصالٍ.

---

١ اي منقبض ٢ الشهود ٣ التأني ٤ ميل النفس من جهة الطبع

أَمَّا إِحداهنَّ وَهِيَ أَهمهنَّ فأَلاَّ[1] تزدروا[2] فعلهُ ولا تعدوهُ يسيرًا فإِنهُ من أَعظم الخطايا قتل البريء الَّذي لا ذنب لهُ بالكذب والنميمة · ومن علم من أَمر هذا الكذَّاب الَّذي أَتهم البريء بكذبهِ ونميمتهِ شيئًا فستر عليهِ فهو شريكهُ في الإِثم والعقوبة * والثانية أَنهُ إِذا اعترف المذنب بذنبهِ كان أَسلم لهُ · والأَحرى[3] بالملك وجندهِ أَن يعفوا عنهُ ويصفحوا * والثالثة ترك مراعاة أَهل الذمّ والفجور وقطع أَسباب مواصلتهم ومودّتهم عن الخاصَّة والعامَّة * فمن علم من أَمر هذا المحتال شيئًا فليتكلَّم بهِ على رؤُوس الأَشهاد ممَّن حضر ليكون ذلك حجَّةً[4] عليهِ · وقد قيل إِنهُ من كتم شهادة ميت أُلجم بلجام من نار يوم القيامة · فليقل كلُّ واحدٍ منكم ما علم * فلمَّا سمع ذلك الجمع كلامهُ أَمسكوا عن القول · فقال دمنة ما يسكتكم تكلَّموا بما علمتم واعلموا أَنَّ لكلّ كلمةٍ جوابًا · وقد قالت العلماء من يشهد بما لم يرَ ويقل ما لا يعلم يصبهُ ما أَصاب الطبيب الَّذي قال لما لا يعلمهُ إِني أَعلمهُ · قالت الجماعة وكيف كان ذلك

---

١ أن لا ٢ تحتقروا ٣ اي الاولى ٤ برهانًا ودليلاً

قالَ دِمنةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ طَبِيبٌ لَهُ رِفْقٌ[1] وَعِلْمٌ . وَكانَ ذا فِطْنَةٍ فِيما يَجْرِي عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْمُعالَجاتِ . فَكَبِرَ ذٰلِكَ ٱلطَّبِيبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكانَ لِمَلِكِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنٌ وَحِيدٌ . فَأَصابَهُ مَرَضٌ فَجِيءَ بِهٰذا ٱلطَّبِيبِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ ٱلْفَتَى عَنْ وَجَعِهِ وَما يَجِدُ فَأَخْبَرَهُ فَعَرَفَ داءَهُ وَدَواءَهُ وَقالَ لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَجَمَعْتُ ٱلْأَخْلاطَ[2] عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْناسِها وَلا أَثِقُ فِي ذٰلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي . وَكانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ جاهِلٌ فَبَلَغَهُ ٱلْخَبَرُ فَأَتاهُمْ وَٱدَّعَى عِلْمَ ٱلطِّبِّ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِمَعْرِفَةِ أَخْلاطِ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْعَقاقِيرِ[3] عارِفٌ بِطَبائِعِ ٱلْأَدْوِيَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ وَٱلْمُفْرَدَةِ . فَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَدْخُلَ خِزانَةَ ٱلْأَدْوِيَةِ فَيَأْخُذَ مِنْ أَخْلاطِ ٱلدَّواءِ حاجَتَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْجاهِلُ ٱلْخِزانَةَ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَدْوِيَةُ وَلا يَدْرِي ما هِيَ وَلا لَهُ بِها مَعْرِفَةٌ أَخَذَ فِي جُمْلَةِ ما أَخَذَ مِنْها صُرَّةً فِيها سَمٌّ قاتِلٌ لِوَقْتِهِ وَدافَهُ[4] بِٱلْأَدْوِيَةِ وَلا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ بِجِنْسِهِ . فَلَمَّا تَمَّتْ أَخْلاطُ ٱلْأَدْوِيَةِ سَقَى ٱلْفَتَى مِنْهُ فَماتَ لِوَقْتِهِ . فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ دَعا بِٱلْجاهِلِ فَسَقاهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلدَّواءِ فَماتَ مِنْ ساعَتِهِ

---

١ اى حذق ومهارة ٢ يريد الادوية المخلطة ٣ النباتات التي يتداوى بها ٤ خلطه

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكُمْ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا ما يَدْخُلُ عَلَى ٱلْقائِلِ وَٱلْعامِلِ مِنَ ٱلذِلَّةِ بِٱلشُّبْهَةِ فِي ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْحَدِّ. فَمَنْ خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصابَهُ ما أَصابَ ذٰلِكَ ٱلْجاهِلَ وَنَفْسُهُ ٱلْمَلُومَةُ * وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ رُبَّما جُزِيَ ٱلْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ. وَٱلْكَلامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَٱنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ * فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ ٱلْخَنازِيرِ لِإِدْلالِهِ[1] وَتِيهِهِ[2] بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ. فَقالَ يا أَهْلَ ٱلشَّرَفِ مِنَ ٱلْعُلَماءِ ٱسْمَعُوا مَقالَتِي وَعُوا[3] بِأَحْلامِكُمْ[4] كَلامِي فَٱلْعُلَماءُ قالُوا فِي شَأْنِ ٱلصَّالِحِينَ إِنَّهُمْ يُعْرَفُونَ بِسِيماهُمْ[5]. وَأَنْتُمْ مَعاشِرَ ذَوِي ٱلْاِقْتِدارِ بِحُسْنِ صُنْعِ ٱللهِ لَكُمْ وَتَمامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ تَعْرِفُونَ ٱلصَّالِحِينَ بِسِيماهُمْ وَصُوَرِهِمْ وَتَخْبُرُونَ[6] ٱلشَّيْءَ ٱلْكَبِيرَ بِٱلشَّيْءِ ٱلصَّغِيرِ. وَهٰهُنا أَشْياءُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى هٰذا ٱلْخَبِيثِ دِمْنَةَ وَتُخْبِرُ عَنْ شَرِّهِ فَٱطْلُبُوها عَلَى ظاهِرِ جِسْمِهِ لِتَسْتَيْقِنُوا وَتَسْكُنُوا[7] إِلَى ذٰلِكَ. قالَ ٱلْقاضِي لِسَيِّدِ ٱلْخَنازِيرِ قَدْ عَلِمْتَ وَعَلِمَ ٱلْجَماعَةُ ٱلْحاضِرُونَ أَنَّكَ عارِفٌ بِما فِي ٱلصُّوَرِ مِنْ عَلاماتِ ٱلسُّوءِ فَفَسِّرْ لَنا ما تَقُولُ وَأَطْلِعْنا عَلَى ما تَرَى فِي صُورَةِ

---

١ اي جرأته ودلاله   ٢ كبريائه   ٣ احفظوا   ٤ جمع حلم بمعنى الأناة والتأني   ٥ هيئتهم   ٦ تحققون وتعرفون   ٧ تطمئنوا

هٰذا الخبيث. فأخذ سيّد الخنازير يذمّ دمنة وقال إنّ العلماء قد كتبوا وأخبروا أنّه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهي لا تزال تختلج[1] وكان أنفه مائلًا إلى جنبه الأيمن فهو خبيث جامع للخبّ[2] والفجور. وكان دمنة على هٰذه الصفة. فلمّا سمع دمنة ذٰلك قال من هٰهنا تقيسون الكلام وتتركون العلم فاسمعوا منّي ما أقوله لكم وتدبّروا[3] بعقولكم فقد وعيتم[4] ما قال هٰذا. فإن كان يزعم أنّ ما في جسمي من هٰذه العلامات هو الدليل على صدق ما رُميت[5] به فإنّي إذن أكون قد وُسمتُ[6] بسمات[7] وعلامات اضطرّتني[8] إلى الإثم فعملتُ بها ما عملتُ. ففي ذٰلك براءة لي وعذر ممّا عملته. ثمّ التفت إلى سيّد الخنازير وقال فقد بان لمن حضر قلّة عقلك وما مثلك في ذٰلك إلّا مثل رجل قال لامرأته انظري إلى عُريك وبعد ذٰلك انظري إلى عُري غيرك. قيل له وكيف كان ذٰلك

قال دمنة زعموا أنّ مدينة أغار عليها العدوّ فقتل

---

١ تضطرب ٢ المكر والخداع ٣ تأمّلوا واعتبروا ٤ اي فهمتم
٥ اي اتّهمت ٦ عُلّمت ٧ يعني العلامات ٨ دفعتني جبرًا

وَسَبَى[1] وَغَنِمَ وَٱنْطَلَقَ إِلَى بِلادِهِ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ جُنْدِيٍّ مِمَّا وَقَعَ فِي قِسْمَتِهِ رَجُلٌ حَرَّاثٌ وَمَعَهُ ٱمْرَأَتَانِ لَهُ. وَكَانَ هٰذَا ٱلْجُنْدِيُّ يُسِيءُ إِلَيْهِمْ فِي ٱلطِّعَامِ وَٱللِّبَاسِ. فَذَهَبَ ٱلْحَرَّاثُ ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعَهُ ٱمْرَأَتَاهُ يَحْتَطِبُونَ[2] لِلْجُنْدِيِّ وَهُمْ عُرَاةٌ. فَأَصَابَتْ[3] إِحْدَى ٱلْمَرْأَتَيْنِ فِي طَرِيقِهَا خِرْقَةً بَالِيَةً فَٱسْتَتَرَتْ بِهَا. ثُمَّ قَالَتْ لِزَوْجِهَا أَلَا تَنْظُرُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْقَبِيحَةِ كَيْفَ لَا تَسْتَحِي وَتَسْتَتِرُ. قَالَ لَهَا زَوْجُهَا لَوْ بَدَأْتِ بِٱلنَّظَرِ إِلَى نَفْسِكِ وَأَنَّ جِسْمَكِ كُلَّهُ عَارٍ لِمَا عَيَّرْتِ صَاحِبَتَكِ بِمَا هُوَ بِعَيْنِهِ فِيكِ

وَشَأْنُكَ عَجَبٌ أَيُّهَا ٱلْقَذِرُ ذُو ٱلْعَلَامَاتِ ٱلْفَاضِحَةِ ٱلْقَبِيحَةِ. ثُمَّ ٱلْعَجَبُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى طَعَامِ ٱلْمَلِكِ وَقِيَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ مَا بِجِسْمِكَ مِنَ ٱلْقَذَرِ وَٱلْقُبْحِ وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ. أَفَتَتَكَلَّمُ فِي ٱلنَّقِيِّ ٱلْجِسْمِ ٱلَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ. وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطَّلِعُ عَلَى عَيْبِكَ لٰكِنَّ جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ. وَقَدْ كَانَ يَحْجِزُنِي عَنْ إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلصَّدَاقَةِ. فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَيَّ وَبَهَتَّنِي[4] فِي وَجْهِي وَقُمْتَ بِعَدَاوَتِي فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِيَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَعَلَى

---

١ أسر ٢ يجمعون حطبًا ٣ وجدت ٤ قلت عليَّ ما ليس فيَّ

رُؤُوسِ ٱلْحَاضِرِينَ فَإِنِّي أَقْتَصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ مِنْ عُيُوبِكَ وَتَعْرِفُهُ ٱلْجَمَاعَةُ . وَحَقٌّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ ٱلْمَلِكَ مِنِ ٱسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ . فَلَوْ كُلِّفْتَ أَنْ تَعْمَلَ ٱلزِّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِٱلْخِذْلَانِ[1] فِيهَا . فَٱلْأَحْرَى بِكَ أَنْ لَا تَدْنُوَ إِلَى عَمَلٍ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَأَنْ لَا تَكُونَ دَبَّاغًا وَلَا حَجَّامًا لِعَامِيٍّ فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ ٱلْمَلِكِ * قَالَ سَيِّدُ ٱلْخَنَازِيرِ أَوَ لِي تَقُولُ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ وَتَلْقَانِي بِهٰذَا ٱلْمَلْقَى . قَالَ دِمْنَةُ نَعَمْ وَحَقًّا قُلْتُ فِيكَ وَإِيَّاكَ أَعْنِي أَيُّهَا ٱلْأَعْرَجُ ٱلْمَكْسُورُ ٱلَّذِي فِي وَرِكِهِ ٱلنَّاسُورُ ٱلْأَفْدَعُ[2] ٱلرِّجْلِ ٱلْمَنْفُوخُ ٱلْبَطْنِ ٱلْأَفْلَحُ[3] ٱلشَّفَتَيْنِ ٱلسَّيِّءُ ٱلْمَنْظَرِ وَٱلْمَخْبَرِ[4] * فَلَمَّا قَالَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ وَٱسْتَعْبَرَ[5] وَٱسْتَحَى وَتَلَجْلَجَ[6] لِسَانُهُ وَٱسْتَكَانَ[7] وَفَتَرَ نَشَاطُهُ . فَقَالَ دِمْنَةُ حِينَ رَأَى ٱنْكِسَارَهُ وَبُكَاءَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاؤُكَ إِذَا ٱطَّلَعَ ٱلْمَلِكُ عَلَى قَذَرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ وَحَالَ[8] بَيْنَكَ وَبَيْنَ خِدْمَتِهِ وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ * ثُمَّ إِنَّ شَهْرًا كَانَ ٱلْأَسَدُ

---

١ الخيبة ٢ الذي يميل عدد المشي الى الجانب الانسي من قدميه ٣ المشقوق
٤ اي الذات ٥ جرت عبرته اى دمعته ٦ تردد في الكلام
٧ ذل ٨ اعترض

قَدْ جَرَّبَهُ فَوَجَدَ فِيهِ أَمانَةً وَصِدْقًا فرتبهُ فِي خِدْمَتِهِ أَمرَهُ أَنْ يحفظَ ما يجْرِي بَيْنَهُمْ وَيُطْلِعَهُ عَلَيْهِ . فقامَ الشَّعْهرُ فدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسدِ فَحدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ . فَأَمَرَ ٱلْأَسَدُ بِعزلِ سيِّدِ ٱلْخنازيرِ عَنْ عَمَلِهِ وَأَمَرَ أَنْ لا يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَلا يَرَى وَجْهَهُ . وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُرَدَّ إِلَى ٱلسِّجْنِ وَقَدْ مَضَى مِنَ ٱلنَّهارِ أَكْثَرُهُ وَجَمِيعُ ما جرَى وَقالُوا وَقالَ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخاتَمِ ٱلنَّمِرِ ورَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ

ثُمَّ إِنَّ شَعْهرًا يُقالُ لَهُ رَوْزَبَةُ كانَ بينَهُ وَبينَ كَلِيلَةَ إِخاءٌ(١) وَمَوَدَّةٌ وَكانَ عِنْدَ ٱلْأَسدِ وَجيهًا وَعَلَيْهِ كَرِيمًا . وَٱتَّفَقَ أَنَّ كَلِيلَةَ أَخَذَهُ ٱلْوَجْدُ(٢) إِشْفاقًا(٣) مِنْ أَنْ يَلْتَطِخَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمرِ أَخِيهِ وَحذَرًا عَلَيْهِ وَكانَ بِهِ مَرَضٌ فهاجَ بِهِ مَرَضُهُ(٤) وَماتَ * فَٱنْطَلَقَ هٰذا ٱلشَّعْهرُ إِلَى دِمْنَةَ فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ كَلِيلَةَ فَبَكَى وَحَزِنَ وَقالَ ما أَصْنَعُ بِالدُّنْيا بَعْدَ مُفارَقَةِ ٱلْأَخِ ٱلصَّفِيِّ(٥) . وَاحَرَّ قَلْباهُ(٦) إِنَّ ٱلْإِنْسانَ إِذا ٱبْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ أَتاهُ ٱلشَّرُّ مِنْ كُلِّ جانِبٍ وَٱكْتَنَفَهُ(٧) ٱلْهَمُّ وَٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ . وَلٰكِنْ أَحْمَدُ ٱللهَ تَعالَى إِذْ لَمْ يَمُتْ كَلِيلَةُ حَتَّى

---

١ صداقة ٢ اي الم الشديد ٣ خوفًا ٤ اى اشتد عليه ٥ اي الصادق المودّة ٦ كلمة تلهّف ٧ احاط به

أَبقَى لِي مِنْ ذَوِي قَرابَتِي (١) أَخاً مِثْلَكَ . فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ ٱللهِ تَعالَى وَإِحْسانِهِ إِلَيَّ فِيما رَأَيْتُ مِنِ ٱهْتِمامِكَ بِي وَمُراعاتِكَ لِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجاءِي وَرُكْنِي (٢) فِيما أَنا فِيهِ . فَأُرِيدُ مِنْ إِنْعامِكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى مَكانِ كَذا فَتَنْظُرَ إِلَى ما جَمَعْتُهُ أَنا وَأَخِي بِحِيلَتِنا وَسَعْيِنا وَمَشِيئَةِ ٱللهِ تَعالَى فَتَأْتِينِي بِهِ . فَفَعَلَ ٱلشَّعْهَرُ ما أَمَرَهُ بِهِ دِمْنَةُ * فَلَمَّا وَضَعَ ٱلْمالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطاهُ شَطْرَهُ (٣) وَقالَ لَهُ إِنَّكَ عَلَى ٱلدُّخُولِ وَٱلْخُرُوجِ عَلَى ٱلْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ . فَتَفَرَّغْ لِشَأْنِي (٤) وَٱصْرِفِ ٱهْتِمامَكَ إِلَيَّ وَٱسْمَعْ ما أُذْكَرُ بِهِ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ إِذا رُفِعَ إِلَيْهِ ما يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْخُصُومِ . وَما يَبْدُو مِنْ أُمِّ ٱلْأَسَدِ فِي حَقِّي وَما تَرَى مِنْ مُتابَعَةِ ٱلْأَسَدِ لَها وَمُخالَفَتِهِ إِيَّاها فِي أَمْرِي وَٱحْفَظْ ذٰلِكَ كُلَّهُ . فَأَخَذَ ٱلشَّعْهَرُ ما أَعْطاهُ دِمْنَةُ وَٱنْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هٰذا ٱلْعَهْدِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَضَعَ ٱلْمالَ فِيهِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ بَكَّرَ مِنَ ٱلْغَدِ فَجَلَسَ . حَتَّى إِذا مَضَى مِنَ ٱلنَّهارِ ساعَتانِ ٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحابُهُ فِي ٱلدُّخُولِ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا ٱلْكِتابَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ

١ اقاربي ٢ ابي سندي وعمدتي ٣ نصفه ٤ لامري

وَقَوْلَ دِمْنَةَ دعا بِأُمّهِ فقرأَ عليها ذلِكَ . فَلَمّا سمِعَتْ ما فِي الْكِتابِ نادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِها إِنْ أَنا أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ فَلا تَلُمْنِي فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضَرَّكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلَيْسَ هٰذا مِمّا كُنْتُ أَنْهاكَ عَنْ سَماعِهِ لِأَنَّهُ كَلامُ هٰذا الْمُجْرِمِ الْمُسِيءِ إِلَيْنا الْغادِرِ بِذِمَّتِنا . ثُمَّ إِنَّها خَرَجَتْ مُغْضَبَةً وَذٰلِكَ بِعَيْنِ الشَّعْهَرِ الَّذِي آخاهُ دِمْنَةُ وَبِسَمْعِهِ فَخَرَجَ فِي إِثْرِها[1] مُسْرِعاً حَتَّى أَتَى دِمْنَةَ فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ . فَبَيْنَما هُوَ عِنْدَهُ إِذْ جاءَ فَيْجُ[2] الْأَسَدِ فَانْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إِلَى الْمَجْمَعِ عِنْدَ الْقاضِي .

فَلَمّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْقاضِي اسْتَفْتَحَ سَيِّدُ الْمَجْلِسِ فَقالَ يا دِمْنَةُ قَدْ أَنْبَأَنِي عَنْ خَبَرِكَ الْأَمِينُ الصّادِقُ وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَفْحَصَ عَنْ شَأْنِكَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذا . لِأَنَّ الْعُلَماءَ قالُوا إِنَّ اللّٰهَ تَعالَى جَعَلَ الدُّنْيا سَبَباً[3] إِلَى الْآخِرَةِ وَمِصْداقاً[4] لَها لِأَنَّها دارُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِياءِ الدّالِّينَ عَلَى الْخَيْرِ الْهادِينَ إِلَى الْجَنَّةِ الدّاعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللّٰهِ تَعالَى . وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ عِنْدَنا وَأَخْبَرَنا عَنْكَ مَنْ وَثِقْنا بِقَوْلِهِ . إِلّا أَنَّ سَيِّدَنا أَمَرَنا بِالْعَوْدِ إِلَى أَمْرِكَ وَالْفَحْصِ عَنْ شَأْنِكَ وَإِنْ كانَ عِنْدَهُ ظاهِراً بَيِّناً . قالَ دِمْنَةُ

١ وراءها ٢ رسول السلطان القادم على رجليه ٣ وسيلة ٤ مصدقة

أَراكَ أَيُّها ٱلْقاضي لَمْ تَتَعَوَّدِ ٱلْعَدْلَ فِي ٱلْقَضاءِ • وَلَيْسَ فِي عَدْلِ ٱلْمُلُوكِ دَفْعُ ٱلْمَظْلُومِينَ وَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ إلى قاضٍ غَيْرِ عادِلٍ بَلِ ٱلْمُخاصَمَةُ لَهُمْ وَٱلذَّوْدُ(١) عَنْ حُقُوقِهِمْ • فَكَيْفَ تَرَى أَنْ أُقْتَلَ وَلَمْ أُخاصَمْ وَتُعَجِّلَ ذٰلِكَ مُوافَقَةً لِهَواكَ وَلَمْ تَمْضِ بَعْدُ ثَلاثَةُ أَيّامٍ • وَلٰكِنْ صَدَقَ ٱلَّذِي قالَ إِنَّ ٱلَّذِي تَعَوَّدَ عَمَلَ ٱلْبِرِّ هَيِّنٌ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ * قالَ ٱلْقاضي إِنّا نَجِدُ فِي كُتُبِ ٱلْأَوَّلِينَ أَنَّ ٱلْقاضِيَ ٱلْعَدْلَ(٢) يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ ٱلْمُحْسِنِ وَٱلْمُسيءِ لِيُجازِيَ ٱلْمُحْسِنَ بِإِحْسانِهِ وَٱلْمُسيءَ بِإِساءَتِهِ • فَإِذا ذَهَبَ إِلَى هٰذا ٱزْدادَ ٱلْمُحْسِنُونَ حِرْصًا عَلَى ٱلْإِحْسانِ وَٱلْمُسيئُونَ ٱجْتِنابًا لِلذُّنُوبِ • وَٱلرَّأْيُ إِلَيْكَ(٣) يا دِمْنَةُ أَنْ تَنْظُرَ ٱلَّذِي وَقَعْتَ فِيهِ وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ وَتُقِرَّ بِهِ وَتَتُوبَ • فَلَأَنْ يُعاقَبَ ٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيا خَيْرٌ مِنْ عِقابِ ٱلْآخِرَةِ • فَأَجابَهُ دِمْنَةُ إِنَّ صالِحِي ٱلْقُضاةِ لا يَقْطَعُونَ(٤) بِٱلظَّنِّ وَلا يَعْمَلُونَ بِهِ لا فِي ٱلْخاصَّةِ وَلا فِي ٱلْعامَّةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ٱلظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ(٥) شَيْئًا • وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيما فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي

١ الدفاع ٢ العادل ٣ اى مفوض اليك ٤ اى يبتاكون
٥ اى لا يوثر فيه ولا يدفعه

مِنْكُمْ وَعِلْمِي بِنَفْسِي يَقِينٌ لا شَكَّ فِيهِ وَعِلْمُكُمْ بِي غايةُ الشَّكِّ * وَإِنَّما قُبْحُ أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي[1] فَما عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذا سَعَيْتُ بِنَفْسِي كاذِبًا عَلَيْها فَأَسْلَمْتُها إِلَى الْقَتْلِ وَالْعَطَبِ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِبَراءَتِي وَسَلامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ[2] بِهِ. وَنَفْسِي أَعْظَمُ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ حُرْمَةً[3] وَأَوْجَبُها حَقًّا. فَلَوْ فَعَلْتُ هٰذا بِأَقْصاكُمْ[4] وَأَدْناكُمْ[5] لَما وَسِعَنِي[6] فِي دِينِي وَلا حَسُنَ بِي فِي مُرُوَّتِي وَلا حَقَّ لِي[7] أَنْ أَفْعَلَهُ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي. فَاكْفُفْ أَيُّها الْقاضِي عَنْ هٰذِهِ الْمَقالَةِ فَإِنَّها إِنْ كانَتْ نَصِيحَةً فَقَدْ أَخْطَأَتْ مَوْضِعَها[8]. وَإِنْ كانَتْ خَدِيعَةً فَإِنَّ أَقْبَحَ الْخِداعِ ما كانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. مَعَ أَنَّ الْخِداعَ وَالْمَكْرَ لَيْسا مِنْ أَعْمالِ صالِحِي الْقُضاةِ وَلا ثِقاتِ[9] الْوُلاةِ * وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْجُهَّالُ وَالْأَشْرارُ سُنَّةً[10] يَقْتَدُونَ بِها لِأَنَّ أُمُورَ الْقَضاءِ يَأْخُذُ بِصَوابِها أَهْلُ الصَّوابِ وَبِخَطائِها أَهْلُ الْخَطاءِ وَالْباطِلِ وَالْقَلِيلُو الْوَرَعِ[11]. وَأَنا خائِفٌ عَلَيْكَ أَيُّها الْقاضِي مِنْ مَقالَتِكَ هٰذِهِ أَعْظَمَ الرَّزايا وَالْبَلايا. وَلَيْسَ مِنَ الْبَلاءِ وَالْمُصِيبَةِ

---

١ بلغت عنه بالفساد ٢ اتهمت ٣ عهدًا ورعاية ٤ ابعدكم
٥ اقربكم ٦ اي لما جازلي ٧ كنت حقيقًا اي اهلاً ٨ لم تصبهُ
٩ جمع ثقة اي موثوق به مؤتمن ١٠ طريقة ١١ التقوى

أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ ٱلْمَلِكِ وَٱلْجُنْدِ وَٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ فاضِلاً فِي رَأْيِكَ مُقْنِعًا فِي عَقْلِكَ مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ وَعَفافِكَ وَفَضْلِكَ. وَإِنَّما ٱلْبَلَآءُ كَيْفَ أُنْسِيتَ ذٰلِكَ فِي أَمْرِي. أَوَ ما بَلَغَكَ عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قالُوا مَنِ ٱدَّعَى عِلْمَ ما لا يَعْلَمُ وَشَهِدَ عَلَى ٱلْغَيْبِ أَصابَهُ ما أَصابَ ٱلْبازِيارَ[1]. قالَ ٱلْقاضِي وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ رَجُلٌ مِنَ ٱلْمَرازِبَةِ[2] مَذْكُورٌ. وَكانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ ذاتُ جَمالٍ وَعَفافٍ. وَكانَ لِلرَّجُلِ بازِيارٌ ماهِرٌ خَبِيرٌ بِعِلاجِ ٱلْبُزاةِ وَسِياسَتِها. وَكانَ هٰذا ٱلْبازِيارُ عِنْدَ هٰذا ٱلرَّجُلِ بِمَكانٍ خَلِيلٍ بِحَيْثُ أَدْخَلَهُ دارَهُ وَجَعَلَهُ كَواحِدٍ مِنْ أَهْلِها. فَاتَّفَقَ أَنْ وَقَعَتْ كَلِمَةٌ مِنَ ٱلْبازِيارِ فَتَسَخَّطَتْ لَها زَوْجَةُ مَوْلاهُ وَنَفَرَتْ فَغَضِبَ وَعَمِلَ عَلَى[3] أَنْ يَكِيدَها بِمَكِيدَةٍ. فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى ٱلصَّيْدِ عَلَى عادَتِهِ فَأَصابَ فَرْخَيْ بَبْغاءَ فَأَخَذَهُما وَجاءَ بِهِما إِلَى مَنْزِلِهِ وَرَبَّاهُما. فَلَمَّا كَبِرا فَرَّقَ بَيْنَهُما وَجَعَلَهُما فِي قَفَصَيْنِ وَعَلَّمَ أَحَدَهُما أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ رِيبَةً فِي بَيْتِ مَوْلايَ وَعَلَّمَ ٱلْآخَرَ أَنْ يَقُولَ أَمَّا أَنا فَلا أَقُولُ شَيْئًا.

١ مربي البازي ٢ جمع مرزبان وهو رئيس الفرس ٣ سعى في

ثُمَّ أَدَّبَهُما عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى أَتْقَنَاهُ وَحَذَقَاهُ[١] فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا بَلَغَ ٱلَّذِي أَرَادَ مِنْهُمَا حَمَلَهُمَا إِلَى مَوْلَاهُ فَلَمَّا رَآهُمَا أَعْجَبَاهُ وَنَطَقَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَطْرَبَاهُ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقُولَانِ لِأَنَّ ٱلْبَازِيَارَ كَانَ قَدْ عَلَّمَهُمَا بِلُغَةِ ٱلْبَلْخِيِّينَ. وَإِنَّ ٱلْمَرْزُبَانَ أُعْجِبَ بِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَحَظِيَ ٱلْبَازِيَارُ عِنْدَهُ بِذٰلِكَ حُظْوَةً[٢] كَرِيمَةً فَأَمَرَ ٱمْرَأَتَهُ بِٱلِٱحْتِيَاطِ عَلَيْهِمَا وَٱلِٱحْتِفَاظِ بِهِمَا فَفَعَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ذٰلِكَ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ بَعْدَ مُدَّةٍ قَدِمَ عَلَى ٱلرَّجُلِ قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ بَلْخَ فَتَأَنَّقَ لَهُمْ فِي ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَجَمَعَ مِنْ أَصْنَافِ ٱلْفَوَاكِهِ وَٱلتُّحَفِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَضَرَ ٱلْقَوْمُ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَشَرَعُوا فِي ٱلْحَدِيثِ أَشَارَ ٱلْمَرْزُبَانُ إِلَى ٱلْبَازِيَارِ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْبَبْغَاءَيْنِ فَأَحْضَرَهُمَا. فَلَمَّا وُضِعَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحَتَا بِمَا كَانَتَا عُلِّمَتَاهُ. فَعَرَفَ أُولٰئِكَ ٱلْعُظَمَاءُ مَا قَالَتَا فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَنَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ حَيَاءً وَخَجَلًا وَجَعَلَ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا * فَقَالَ ٱلرَّجُلُ مَا أَعْلَمُ مَا تَقُولَانِ وَلٰكِنِّي يُعْجِبُنِي ذٰلِكَ مِنْهُمَا وَسَأَلَهُمْ عَمَّا تَقُولَانِ فَٱمْتَنَعُوا أَنْ يَقُولُوا مَا قَالَتَا فَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ وَأَكْثَرَ ٱلسُّؤَالَ عَمَّا قَالَتَا. فَقَالُوا إِنَّمَا تَقُولَانِ كَذَا

---

١ مهرا فيه   ٢ اى وجد عنده كرامةً ومكانةً

وَكَذا وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنا إِنْ نأْكُلَ مِنْ بَيْتٍ يُعْمَلُ فِيهِ ٱلْفُجُورُ. فَلَمَّا قالُوا ذٰلِكَ سَأَلَهُمُ ٱلرَّجُلُ أَنْ يُكَلِّمُوهُما بِلِسانِ ٱلْبَلْخِيَّةِ بِغَيْرِ ما نَطَقَتا بِهِ. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ فَلَمْ يَجِدُوهُما تَعْرِفانِ غَيْرَ ما تَكَلَّمَتا بِهِ وَبانَ لَهُمْ وَلِلْجَماعَةِ بَراءَةُ ٱلْبَيْتِ مِمَّا رُمِيَ بِهِ وَوَضَحَ كَذِبُ ٱلْبازِيارِ. فَأَمَرَ بِٱلْبازِيارِ أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ وَكانَ عَلَى يَدِهِ بازٌ أَشْهَبُ[1] فَصاحَتْ بِهِ ٱمْرَأَةُ ٱلْمَرْزُبانِ مِنْ داخِلِ ٱلْبَيْتِ أَيُّها ٱلْعَدُوُّ لِنَفْسِهِ أَنْتَ رَأَيْتَ فِي ٱلْبَيْتِ ما ذَكَرْتَ وَعَلَّمْتَ بِهِ ٱلْبَبْغاءَيْنِ. قالَ نَعَمْ أَنا رَأَيْتُ فِيهِ مِثْلَ ما تَقُولانِ. فَوَثَبَ ٱلْبازِي إِلَى وَجْهِهِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ بِمَخالِبِهِ[2]. فَقالَتِ ٱلْمَرْأَةُ بِحَقٍّ أَصابَكَ هٰذا إِنَّهُ لَجَزاءٌ مِنَ ٱللهِ تَعالَى لِشَهادَتِكَ بِما لَمْ تَرَهُ عَيْنُكَ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ أَيُّها ٱلْقاضِي لِتَزْدادَ عِلْماً بِوَخامَةِ[3] عاقِبَةِ ٱلشَّهادَةِ بِٱلْكَذِبِ فِي ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقاضِي ذٰلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ عَلَى وَجْهِهِ[4] فَنَظَرَ فِيهِ ٱلْأَسَدُ فَدَعا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْها. فَقالَتْ حِينَ تَدَبَّرَتْ[5] كَلامَ دِمْنَةَ لَقَدْ صارَ ٱهْتِمامِي بِما أَتَخَوَّفُ

---

١ ابيض في سواد ٢ اظافره ٣ اي سوء ٤ اي على حكمه
٥ اي اعتبرت وتاملت

مِنِ احْتِيالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهائِهِ[1] حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَعْظَمَ مِنِ اهْتِمامِي بِما سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فِي الْغِشِّ وَالسِّعايَةِ[2] حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ. فَوَقَعَ قَوْلُها فِي نَفْسِهِ[3] فَقالَ لَها أَخْبِرِينِي عَنِ الَّذِي أَخْبَرَكِ عَنْ دِمْنَةَ بِما أَخْبَرَكِ فَيَكُونَ حُجَّةً لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةَ. فَقالَتْ لا أَكْرَهُ إِفْشاءَ سِرِّ مَنِ اسْتَكْتَمَنِيهِ[4]. فَلا يَهْنِئُنِي سُرُورِي[5] بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذا تَذَكَّرْتُ أَنِّي اسْتَظْهَرْتُ[6] عَلَيْهِ بِرُكُوبِ[7] ما نَهَتْ عَنْهُ الْعُلَماءُ مِنْ كَشْفِ السِّرِّ. وَلٰكِنِّي أُطالِبُ الَّذِي اسْتَوْدَعَنِيهِ أَنْ يُحِلَّنِي مِنْ ذِكْرِهِ[8] وَيَقُومَ هُوَ بِعِلْمِهِ وَما سَمِعَ مِنْهُ. ثُمَّ انْصَرَفَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّمِرِ وَذَكَرَتْ لَهُ ما يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنَ التَّزْيِينِ لِلْأَسَدِ وَحُسْنِ مُعاوَنَتِهِ عَلَى الْحَقِّ وَإِخْراجِ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهادَةِ الَّتِي لا يَكْتُمُها مِثْلُهُ مَعَ ما يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومِينَ وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ الْحَقِّ فِي الْحَياةِ وَالْمَماتِ. فَإِنَّ الْعُلَماءَ قَدْ قالَتْ مَنْ كَتَمَ حُجَّةَ مَيِّتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ[9] يَوْمَ الْقِيامَةِ. فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قامَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِما سَمِعَ مِنْ إِقْرارِ دِمْنَةَ

---

١ اي احتيالهِ   ٢ النميمة والافساد   ٣ اي اثر فيها   ٤ سألني كتمهُ
٥ هنأني به   ٦ استعنت   ٧ ارتكاب   ٨ من حلّ القيد اي يعفيني
٩ لم يصبها

فَلَمَّا شَهِدَ النَّمِرُ بِذٰلِكَ أَرْسَلَ ٱلْفَهْدُ ٱلْمَسْجُونُ ٱلَّذِي سَمِعَ إِقْرَارَ دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً فَأَخْرَجُوهُ فَشَهِدَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ. فَقَالَ لَهُمَا ٱلْأَسَدُ مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقُومَا بِشَهَادَتِكُمَا وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَٱهْتِمَامَنَا بِٱلْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ. فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَهَادَةَ ٱلْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا فَكَرِهْتُ ٱلتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْضِي بِهِ ٱلْحُكْمُ. حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ ٱلْآخَرُ. فَقَبِلَ ٱلْأَسَدُ قَوْلَهُمَا وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ. وَنَادَى ٱلْمُنَادِي هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يَسْعَى بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ وَبَيْنَ أَجْنَادِهِمْ وَبِطَانَتِهِمْ [1] بِٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ

فَمَنْ نَظَرَ فِي هٰذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ غَيْرِهِ بِٱلْخِلَابَةِ [2] وَٱلْمَكْرِ فَإِنَّهُ سَيُجْزَى عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ

١ حاشيتهم واتباعهم ٢ الخديعة



بابُ

الحمامةِ المطوَّقةِ

قالَ دبشليمُ الملكُ لبيدبا الفيلسوفِ قد سمعتُ مثلَ المتحابينِ كيفَ قطعَ بينهما الكذوبُ وإلى ماذا صارَ[1] عاقبةُ امرِهِ من بعدِ ذلكَ* فحدِّثني إنْ رأيتَ عن إخوانِ الصفآءِ كيفَ يبتدئُ تواصلُهم ويستمتعُ بعضُهم ببعضٍ* قالَ الفيلسوفُ إنَّ العاقلَ لا يعدِلُ بالإخوانِ شيئاً. فالإخوانُ هُمُ الأعوانُ على الخيرِ كلِّهِ والمؤاسونَ[2] عندَ ما ينوبُ[3] من المكروهِ. ومن أمثالِ ذلكَ مثلُ الحمامةِ المطوَّقةِ والجرذِ والظبي[4] والغرابِ. قالَ الملكُ وكيفَ كانَ ذلكَ

قالَ بيدبا زعموا أنَّهُ كانَ بأرضِ سكاوندجينَ عندَ مدينةِ داهرَ مكانٌ كثيرُ الصيدِ ينتابُهُ[5] الصيَّادونَ. وكانَ في ذلكَ المكانِ شجرةٌ كثيرةُ الأغصانِ ملتفَّةُ الورقِ فيها وكرُ غرابٍ. فبينما هوَ ذاتَ يومٍ ساقطٌ في وكرِهِ إذ بصرَ بصيَّادٍ قبيحِ المنظرِ سيِّءِ الخلقِ وقبحُ منظرِهِ يدلُّ على سوءِ مخبرِهِ[6]

١ انتهى ٢ اي المعينون ٣ نصب ٤ الغزال ٥ يتردد عليه
٦ ما يخبر منه اي داخله

عَلَى عاتِقِهِ[١] شَبَكَةٌ وَفِي يَدِهِ عَصًا مُقْبِلًا نَحْوَ ٱلشَّجَرَةِ · فَذُعِرَ[٢] مِنْهُ ٱلْغُرابُ وَقالَ لَقَدْ ساقَ هٰذا ٱلرَّجُلَ إِلَى هٰذا ٱلْمَكانِ إِمَّا حَيْنِي[٣] وإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي فَلَأَثْبُتَنَّ مَكانِي حَتَّى أَنْظُرَ ماذا يَصْنَعُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَثَرَ عَلَيْها ٱلْحَبَّ وَكَمَنَ قَرِيبًا مِنْها فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمامَةٌ يُقالُ لَهَا ٱلْمُطَوَّقَةُ وَكانَتْ سَيِّدَةَ ٱلْحَمامِ وَمَعَها حَمامٌ كَثِيرٌ · فَعَمِيَتْ هِيَ وَصاحِباتُها عَنِ ٱلشَّرَكِ[٤] فَوَقَعْنَ عَلَى ٱلْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ فَعَلِقْنَ فِي ٱلشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ وَأَقْبَلَ ٱلصَّيَّادُ فَرِحًا مَسْرُورًا · فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمامَةٍ تَتَلَجْلَجُ[٥] فِي حَبائِلِها[٦] وَتَلْتَمِسُ ٱلْخَلاصَ لِنَفْسِها * قالَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ لا تَخاذَلْنَ[٧] فِي ٱلْمُعالَجَةِ[٨] وَلا تَكُنْ نَفْسُ إِحْداكُنَّ أَهَمَّ إِلَيْها مِنْ نَفْسِ صاحِبَتِها · وَلٰكِنْ نَتَعاوَنُ جَمِيعُنا وَنَطِيرُ كَطائِرٍ واحِدٍ فَيَنْجُو بَعْضُنا بِبَعْضٍ · فَجَمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَوَثَبْنَ وَثْبَةً واحِدَةً فَقَلَعْنَ ٱلشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعاوُنِهِنَّ وَعَلَوْنَ بِها فِي ٱلْجَوِّ · وَلَمْ يَقْطَعِ ٱلصَّيَّادُ رَجاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لا يُجاوِزْنَ[٩] إِلَّا قَرِيبًا حَتَّى يَقَعْنَ · فَقالَ ٱلْغُرابُ لَأَتْبَعَهُنَّ وَأَنْظُرُ ما يَكُونُ مِنْهُنَّ ·

---

١ ما بين الكتف والعنق ٢ خاف ٣ هلاكي ٤ الفخ ٥ ترتبك
٦ اشراكها ٧ لا تتركن التعاون ٨ اسيء المحاولة ٩ يقطعن

فَٱلتفتتِ ٱلمطوّقةُ فرأَتِ ٱلصيّادَ يتبعهنّ فقالت للحمام هٰذا ٱلصيّادُ جادٌّ في طلبكنّ فإن نحن أخذنا في ٱلفضاء لم يخفَ عليهِ أمرُنا ولم يزل يتبعنا . وإن نحن توجّهنا إلى ٱلعمران[1] خفي عليهِ أمرُنا وٱنصرف . وبمكانِ كذا جرذٌ هو لي أخٌ فلو ٱنتهينا إليهِ قطع عنّا هذا ٱلشَّرَك . ففعلنَ ذٰلك وأَيِس[2] ٱلصيّادُ منهنّ وٱنصرف . وتبعهنّ ٱلغرابُ لينظرَ إليهنّ لعلّهُ يتعلّمُ منهنّ حيلةً تكونُ لهُ عدّةً[3] عند ٱلحاجةِ . فلمّا ٱنتهتِ ٱلحمامةُ ٱلمطوّقةُ إلى ٱلجرذِ أمرتِ ٱلحمامَ أن يقعنَ فوقعنَ وكان للجرذِ مئةُ جحرٍ أعدّها للمخاوفِ . فنادتهُ ٱلمطوّقةُ بٱسمهِ وكان ٱسمهُ زيرك فأجابها ٱلجرذُ من جحرهِ من أنتِ قالت أنا خليلتك ٱلمطوّقةُ . فأقبل إليها ٱلجرذُ يسعى فقال لها ما أوقعكِ في هٰذهِ ٱلورطةِ . قالت لهُ ألم تعلمْ أنّهُ ليس من ٱلخيرِ وٱلشرِّ شيءٌ إلّا وهو مقدَّرٌ على من تصيبهُ ٱلمقاديرُ وهي ٱلّتي أوقعتني في هٰذهِ ٱلورطةِ . فقد لا يمتنعُ من ٱلقدرِ من هو أقوى منّي وأعظمُ أمرًا . وقد تنكسفُ ٱلشمسُ وينخسفُ ٱلقمرُ إذا قُضيَ ذٰلك عليهما * ثمّ إنّ ٱلجرذَ أخذ في قرضِ

١ الاماكن المعمورة ٢ يئس ٣ عدّة الشيء ما تحتاج اليهِ وقد مرّ

ٱلْعِقْدِ[1] ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْمُطَوَّقةُ · فَقالَتْ لَهُ ٱلْمُطَوَّقةُ أَبْدَأْ بِقَطْعِ عِقْدِ سائِرِ ٱلْحَمامِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَقْبِلْ عَلَى عِقْدِي· فَأَعادَتْ عَلَيْهِ ذٰلِكَ مِرارًا وَهُوَ لا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِها · فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ قالَ لَها لَقَدْ كَرَّرْتِ ٱلْقَوْلَ عَلَيَّ كَأَنَّكِ لَيْسَ لَكِ فِي نَفْسِكِ حاجَةٌ وَلا لَكِ عَلَيْها شَفَقَةٌ وَلا تَرْعَيْنَ لَها حَقًّا· قالَتْ إِنِّي أَخافُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عِقْدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ ما بَقِيَ · وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ قَبْلِي وَكُنْتُ أَنا ٱلْأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ وَإِنْ أَدْرَكَكَ ٱلْفُتُورُ أَنْ أَبْقَى فِي ٱلشَّرَكِ · قالَ ٱلْجُرَذُ هٰذا مِمَّا يَزِيدُ ٱلرَّغْبَةَ فِيكِ وَٱلْمَوَدَّةَ لَكِ · ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ ٱلشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَغَ مِنْها · فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْمُطَوَّقةُ وَحَمامُها مَعَها

فَلَمَّا رَأَى ٱلْغُرابُ صُنْعَ ٱلْجُرَذِ رَغِبَ فِي مُصادَقَتِهِ فَجاءَ وَناداهُ بِٱسْمِهِ فَأَخْرَجَ ٱلْجُرَذُ رَأْسَهُ فَقالَ لَهُ ما حاجَتُكَ · قالَ إِنِّي أُرِيدُ مُصادَقَتَكَ · قالَ ٱلْجُرَذُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَواصُلٌ وَإِنَّما ٱلْعاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ ما يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَيَتْرُكَ ٱلْتِماسَ ما لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ · كَمَنْ أَرادَ أَنْ يُجْرِيَ

[1] اي حبل الشرك

السُّفُنَ فِي ٱلبَرِّ وَٱلعَجَلَ[1] فِي ٱلبَحْرِ فَإِنَّ[2] أَنْتَ إِلاَّ آكِلٌ وَأَنا طَعامٌ لَكَ. قالَ ٱلغُرابُ إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ لِي طَعاماً مِمَّا لا يُغْنِي عَنِّي[3] شَيْئاً. وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ آنَسُ[4] لِي مِمَّا ذَكَرْتَ. وَلَسْتَ بِحَقِيقٍ إِذا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ تَرُدَّنِي خائِباً. فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ ٱلخُلُقِ ما رَغَّبَنِي فِيكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهارَ ذٰلِكَ. فَإِنَّ ٱلعاقِلَ لا يَخْفَى فَضْلُهُ وَإِنْ هُوَ أَخْفاهُ كَٱلمِسْكِ ٱلَّذِي يُكْتَمُ ثُمَّ لا يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّشْرِ[5] ٱلطَّيِّبِ وَٱلأَرَجِ[6] ٱلفائِحِ * قالَ ٱلجُرَذُ إِنَّ أَشَدَّ ٱلعَداوَةِ عَداوَةُ ٱلجَوْهَرِ وَهِيَ عَداوَتانِ مِنْها ما هُوَ مُتَكافِئٌ[7] كَعَداوَةِ ٱلفِيلِ وَٱلأَسَدِ. فَإِنَّهُ رُبَّما قَتَلَ ٱلأَسَدُ ٱلفِيلَ أَوِ ٱلفِيلُ ٱلأَسَدَ. وَمِنْها ما قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ ٱلجانِبَيْنِ عَلَى ٱلآخَرِ كَٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلسِّنَّوْرِ[8] وَبَيْنَكَ وَبَيْنِي. فَإِنَّ ٱلعَداوَةَ ٱلَّتِي بَيْنَنا لَيْسَتْ تَضُرُّكَ وَإِنَّما ضَرَرُها عَلَيَّ. فَإِنَّ ٱلماءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخانُهُ لَمْ يَمْنَعْهُ ذٰلِكَ مِنْ إِطْفائِهِ ٱلنَّارَ إِذا صُبَّ عَلَيْها وَإِنَّما مُصاحِبُ ٱلعَدُوِّ وَمُصالِحُهُ كَصاحِبِ ٱلحَيَّةِ يَحْمِلُها فِي

١ الدواليب ٢ مما ٣ يعيدني و يدفع عني ٤ تحصيل من الأنس
٥ الرائحة العطرة ٦ ذكاء الرائحة ٧ متماثل ٨ الهر

كُمِهِ . وَٱلْعَاقِلُ لا يَسْتَأْيِسُ إِلَى ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَرِيبِ[١] * قال ٱلْغُرابُ قَدْ فَهِمْتُ ما تَقُولُ وَأَنْتَ خَلِيقٌ[٢] أَنْ تَأْخُذَ[٣] بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ[٤] وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقالِي وَلا تُصَعِّبَ عَلَيَّ ٱلْأَمْرَ بِقَوْلِكَ لَيْسَ إِلَى ٱلتَّواصُلِ بَيْنَنا سَبِيلٌ . فَإِنَّ ٱلْعُقَلاءَ ٱلْكِرامَ لا يَبْتَغُونَ[٥] عَلَى مَعْرُوفٍ جَزاءً . وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ سَرِيعٌ ٱتِّصالُها بَطِيءٌ ٱنْقِطاعُها . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْكُوزِ ٱلذَّهَبِ بَطِيءِ ٱلْإِنْكِسارِ سَرِيعُ ٱلْإِعادَةِ هَيِّنُ ٱلْإِصْلاحِ إِنْ أَصابَهُ ثَلْمٌ أَوْ كَسْرٌ . وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلْأَشْرارِ سَرِيعٌ ٱنْقِطاعُها بَطِيءٌ ٱتِّصالُها . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْكُوزِ ٱلْفَخَّارِ سَرِيعُ ٱلْإِنْكِسارِ يَنْكَسِرُ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ وَلا وَصْلَ لَهُ أَبَدًا . وَٱلْكَرِيمُ يَوَدُّ ٱلْكَرِيمَ وَٱللَّئِيمُ لا يَوَدُّ أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ[٦] . وَأَنا إِلَى وُدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُحْتاجٌ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ . وَأَنا مُلازِمٌ لِبابِكَ غَيْرُ ذائِقٍ طَعامًا حَتَّى تُؤاخِيَنِي[٧] * وَٱعْلَمْ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَشاءُ ضَرَّكَ لَفَعَلْتُ حِينَ كُنْتُ مُحَلِّقًا[٨] فَوْقَ رَأْسِكَ عِنْدَ ما كُنْتَ تَقْطَعُ حَبائِلَ ٱلْحَمامِ

قالَ ٱلْجُرَذُ قَدْ قَبِلْتُ إِخاءَكَ فَإِنِّي لَمْ أَرْدُدْ أَحَدًا عَنْ

---

١ العاقل ٢ اهل ٣ اي تعمل ٤ طبيعتك ٥ يطلبون
٦ خوف ٧ تصادقني ٨ مرتفعاً

حاجةٍ قطُّ وإنما بلوتُكَ[1] بما بلوتُكَ بهِ إرادةَ التوثُّقِ[2] لنفسي فإنْ أنتَ غدرتَ بي لمْ تقلْ إني وجدْتُ الجرذَ ضعيفَ الرأْيِ سريعَ الانخداعِ. ثُمَّ خرجَ منْ جحرِهِ فوقفَ عندَ البابِ* فقالَ لهُ الغرابُ ما يمنعُكَ منَ الخروجِ إليَّ والاستئناسِ بي أوْ في نفسِكَ بعدُ منِّي ريبةٌ[3]. قالَ الجرذُ إنَّ أهلَ الدنيا يتعاطَوْنَ فيما بينهمْ أمرينِ ويتواصلُونَ عليهما وهما ذاتُ النفسِ[4] وذاتُ اليدِ[5]. فالمتبادِلُونَ ذاتَ النفسِ همُ الأصفياءُ[6]. وأمَّا المتبادِلُونَ ذاتَ اليدِ فهمُ المتعاونُونَ الذينَ يلتمسُ بعضُهمُ الانتفاعَ ببعضٍ. ومنْ كانَ يصنعُ المعروفَ لبعضِ منافعِ الدنيا فإنَّما مثلُهُ فيما يبذُلُ ويعطي كمثَلِ الصيَّادِ وإلقائِهِ الحَبَّ للطيرِ لا يريدُ بذلكَ نفعَ الطيرِ وإنَّما يريدُ نفعَ نفسِهِ. فتعاطي ذاتِ النفسِ أفضلُ منْ تعاطي ذاتِ اليدِ. وإني واثقٌ منكَ بذاتِ نفسِكَ ومنحتُكَ منْ نفسي مثلَ ذلكَ. وليسَ يمنعُني منَ الخروجِ إليكَ سوءُ ظنٍّ بكَ. ولكنْ قدْ عرفتُ أنَّ لكَ أصحاباً جوهرُهمْ كجوهرِكَ وليسَ رأيُهمْ فيَّ كرأيِكَ* قالَ الغرابُ إنَّ منْ علامةِ الصديقِ

---

١ امتحنتك واختبرتك ٢ اخذ الوثيقة اي الاحتياط والتحفظ ٣ شك وحذر
٤ السريرة المضمرة والعاطفة ٥ المال ٦ الاصدقاء

أَنْ يَكُونَ لِصدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقاً وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا • وَلَيْسَ لِي بِصاحِبٍ وَلا صَدِيقٍ مَنْ لا يَكُونَ لَكَ مُحِبًّا • وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ قَطِيعَةُ[١] مَنْ كانَ كَذٰلِكَ مِنْ جَوْهَرِي. فَإِنَّ زارِعَ ٱلرَّيْحانِ إِذا رَأَى بَيْنَهُ عُشْباً يُفْسِدُهُ قَلَعَهُ وَرَمَى بِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ خَرَجَ إِلَى ٱلْغُرابِ فَتَصافَحا[٢] وَتَصافَيا وَأَنِسَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما بِصاحِبِهِ * حَتَّى إِذا مَضَتْ لَهُمْ أَيّامٌ قالَ ٱلْغُرابُ لِلْجُرَذِ إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ ٱلنّاسِ وَأَخافُ أَنْ يَرْمِيكَ بَعْضُ ٱلصِّبْيانِ بِحَجَرٍ • وَلِي مَكانٌ فِي عُزْلَةٍ[٣] وَلِي فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ ٱلسَّلاحِفِ وَهُوَ مُخْصِبٌ مِنَ ٱلسَّمَكِ وَنَحْنُ واجِدُونَ هُناكَ ما نَأْكُلُ فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى هُناكَ لِنَعِيشَ آمِنِينَ • قالَ ٱلْجُرَذُ وَإِنِّي أَيْضاً كارِهٌ لِمَكانِي هٰذا وَلِي أَخْبارٌ وَقِصَصٌ سَأَقُصُّها عَلَيْكَ إِذا ٱنْتَهَيْنا حَيْثُ تُرِيدُ فَٱفْعَلْ ما تَشاءُ • فَأَخَذَ ٱلْغُرابُ بِذَنَبِ ٱلْجُرَذِ وَطارَ بِهِ حَتَّى بَلَغَ حَيْثُ أَرادَ • فَلَمّا دَنا مِنَ ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي فِيها ٱلسُّلَحْفاةُ بَصُرَتِ ٱلسُّلَحْفاةُ بِغُرابٍ وَمَعَهُ جُرَذٌ فَذُعِرَتْ مِنْهُ وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُها. فَناداها فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فَأَخْبَرَها بِقِصَّتِهِ حِينَ تَبِعَ ٱلْحَمامَ وَما كانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ ٱلْجُرَذِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَيْها •

١ مقاطعة ومعاداة ٢ اى تعانقا ٣ تنحٍّ وانفراد

فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلسُّلَحْفاةُ شَأْنَ ٱلْجُرَذِ عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفائِهِ وَرَحَّبَتْ بِهِ وَقالَتْ لَهُ ما ساقَكَ إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ. قالَ ٱلْغُرابُ لِلْجُرَذِ ٱقْصُصْ عَلَيَّ ٱلْأَخْبارَ ٱلَّتِي قُلْتَ إِنَّكَ تُحَدِّثُنِي بِها فَأَخْبِرْنِي بِها مَعَ جَوابِ ما سَأَلَتِ ٱلسُّلَحْفاةُ فَإِنَّها عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي. فَبَدَأَ ٱلْجُرَذُ وَقالَ

كانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مارُوتَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ ناسِكٍ وَكانَ خالِيًا مِنَ ٱلْأَهْلِ وَٱلْعِيالِ. وَكانَ يُؤْتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ بِجُونَةٍ[١] مِنَ ٱلطَّعامِ فَيَأْكُلُ مِنْها حاجَتَهُ وَيُعَلِّقُ ٱلْباقِيَ. وَكُنْتُ أَرْصُدُ[٢] ٱلنّاسِكَ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَثِبُ إِلَى ٱلْجُونَةِ فَلا أَدَعُ فِيها طَعامًا إِلَّا أَكَلْتُهُ وَرَمَيْتُ مِنْهُ إِلَى ٱلْجِرْذانِ. فَجَهِدَ ٱلنّاسِكُ مِرارًا أَنْ يُعَلِّقَ ٱلْجُونَةَ فِي مَكانٍ لا أَنالُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ* حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذاتَ لَيْلَةٍ ضَيْفٌ فَأَكَلا جَمِيعًا ثُمَّ أَخَذا فِي ٱلْحَدِيثِ. فَقالَ ٱلنّاسِكُ لِلضَّيْفِ مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَقْبَلْتَ وَأَيْنَ تُرِيدُ ٱلْآنَ. وَكانَ ٱلرَّجُلُ قَدْ جابَ[٣] ٱلْآفاقَ[٤] وَرَأَى عَجائِبَ فَأَنْشَأَ[٥] يُحَدِّثُ ٱلنّاسِكَ عَمّا وَطِئَ[٦] مِنَ ٱلْبِلادِ

١ سلة صغيرة مغطاة بجلد ٢ ارقب ٣ قطع ٤ النواحي
٥ شرع ٦ داس

وَرَأَى مِنَ ٱلْعَجَائِبِ وَجَعَلَ ٱلنَّاسِكُ خِلَالَ[١] هٰذَا يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ لِيُنَفِّرَ بِي عَنِ ٱلْجُونَةِ. فَغَضِبَ ٱلضَّيْفُ وَقَالَ أَنَا أُحَدِّثُكَ وَأَنْتَ تَهْزَأُ بِحَدِيثِي فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَأَلْتَنِي. فَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ وَقَالَ إِنَّمَا أُصَفِّقُ بِيَدِي لِأُنَفِّرَ جُرَذًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ وَلَسْتُ أَضَعُ فِي ٱلْبَيْتِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ. فَقَالَ جُرَذٌ وَاحِدٌ يَفْعَلُ ذٰلِكَ أَمْ جِرْذَانٌ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ ٱلنَّاسِكُ جِرْذَانُ ٱلْبَيْتِ كَثِيرَةٌ لٰكِنَّ فِيهَا جُرَذًا وَاحِدًا هُوَ ٱلَّذِي غَلَبَنِي فَمَا أَسْتَطِيعُ لَهُ حِيلَةً. قَالَ ٱلضَّيْفُ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي قَوْلَ ٱلَّذِي قَالَ لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ. قَالَ ٱلنَّاسِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلضَّيْفُ نَزَلْتُ مَرَّةً عَلَى رَجُلٍ بِمَكَانِ كَذَا فَتَعَشَّيْنَا ثُمَّ فَرَشَ لِي وَٱنْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِ ٱللَّيْلِ لِٱمْرَأَتِهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ غَدًا رَهْطًا[٢] لِيَأْكُلُوا عِنْدَنَا فَٱصْنَعِي لَهُمْ طَعَامًا. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ كَيْفَ تَدْعُو ٱلنَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ عَنْ عِيَالِكَ وَأَنْتَ رَجُلٌ لَا تُبْقِي شَيْئًا وَلَا تَدَّخِرُهُ[٣]. قَالَ ٱلرَّجُلُ لَا تَنْدَمِي عَلَى شَيْءٍ

١ في صحن ٢ اي جماعة ٣ تخبأه

أَطْعَمْناهُ وَأَنْفَقْناهُ فَإِنَّ ٱلْجَمْعَ وَٱلْإِدِّخارَ رُبَّما كانَتْ عاقِبَتُهُ كَعاقِبَةِ ٱلذِّئْبِ . قالَتِ ٱلْمَرْأَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلرَّجُلُ زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ ذاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قانِصٌ[١] وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنُشّابُهُ . فَلَمْ يُجاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى رَمَى ظَبْياً[٢] فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ طالِباً مَنْزِلَهُ . فَٱعْتَرَضَهُ خِنْزِيرٌ بَرِّيٌّ فَرَماهُ بِنُشّابَةٍ نَفَذَتْ فِيهِ فَأَدْرَكَهُ ٱلْخِنْزِيرُ وَضَرَبَهُ بِأَنْيابِهِ ضَرْبَةً أَطارَتْ مِنْ يَدِهِ ٱلْقَوْسَ وَوَقَعا مَيْتَيْنِ . فَأَتَى عَلَيْهِمْ ذِئْبٌ فَقالَ هٰذا ٱلرَّجُلُ وَٱلظَّبْيُ وَٱلْخِنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلُهُمْ مُدَّةً . وَلٰكِنْ أَبْدَأُ بِهٰذا ٱلْوَتَرِ فَآكُلُهُ فَيَكُونُ قُوتَ يَوْمِي وَأَدَّخِرُ ٱلْباقِيَ إِلَى غَدٍ فَما وَراءَهُ . فَعالَجَ ٱلْوَتَرَ حَتَّى قَطَعَهُ فَلَمّا ٱنْقَطَعَ طارَتْ سِيَةُ[٣] ٱلْقَوْسِ فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَماتَ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكِ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ ٱلْجَمْعَ وَٱلْإِدِّخارَ وَخِيمُ ٱلْعاقِبَةِ . فَقالَتِ ٱلْمَرْأَةُ نِعِمّا قُلْتَ وَعِنْدَنا مِنَ ٱلْأَرُزِّ وَٱلسِّمْسِمِ ما يَكْفِي سِتَّةَ نَفَرٍ[٤] أَوْ أَكْثَرَ . فَأَنا غادِيَةٌ[٥] عَلَى صُنْعِ ٱلطَّعامِ فَٱدْعُ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَأَخَذَتِ ٱلْمَرْأَةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سِمْسِماً وَقَشَّرَتْهُ وَبَسَطَتْهُ فِي ٱلشَّمْسِ لِيَجِفَّ وَقالَتْ

---

١ صياد ٢ غزالاً ٣ طرف ٤ النفر من الثلاثة الى العشرة من الناس ٥ مبكرة

لِغُلامٍ لَهُمُ ٱطْرُدْ عَنهُ ٱلطَّيْرَ وَٱلْكِلابَ وَتَفَرَّغَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِصُنْعِها. وَتَغافَلَ ٱلْغُلامُ عَنِ ٱلسِّمْسِمِ فَجاءَ كَلْبٌ فَعاثَ[1] فيهِ فَٱسْتَقْذَرَتْهُ ٱلْمَرْأَةُ وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ طَعاماً. فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى ٱلسُّوقِ فَأَخَذَتْ بِهِ مُقايَضَةً[2] سِمْسِماً غَيْرَ مَقْشُورٍ مِثْلاً بِمِثْلٍ وَأَنا واقِفٌ فِي ٱلسُّوقِ. فَقالَ رَجُلٌ لِأَمْرٍ ما باعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ سِمْسِماً مَقْشُوراً بِغَيْرِ مَقْشُورٍ

وَكَذٰلِكَ قَوْلِي فِي هٰذا ٱلْجُرَذِ ٱلَّذِي ذَكَرْتَ إِنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلَّةٍ ما يَقْدِرُ عَلَى ما شَكَوْتَ مِنْهُ. فَٱلْتَمِسْ لِي فَأْساً[3] لَعَلِّي أَحْتَفِرُ جُحْرَهُ فَأَطَّلِعَ عَلَى بَعْضِ شَأْنِهِ. فَٱسْتَعارَ ٱلنّاسِكُ مِنْ بَعْضِ جِيرانِهِ فَأْساً فَأَتَى بِها ٱلضَّيْفَ وَأَنا حِينَئِذٍ فِي جُحْرٍ غَيْرِ جُحْرِي أَسْمَعُ كَلامَهُما وَفِي جُحْرِي كِيسٌ فِيهِ مِئَةُ دِينارٍ لا أَدْرِي مَنْ وَضَعَها. فَٱحْتَفَرَ ٱلضَّيْفُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلدَّنانِيرِ فَأَخَذَها وَقالَ لِلنّاسِكِ ما كانَ هٰذا ٱلْجُرَذُ يَقْوَى عَلَى ٱلْوُثُوبِ حَيْثُ كانَ يَثِبُ إِلَّا بِهٰذِهِ ٱلدَّنانِيرِ فَإِنَّ ٱلْمالَ جُعِلَ قُوَّةً وَزِيادَةً فِي ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّمَكُّنِ. وَسَتَرَى بَعْدَ هٰذا أَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْوُثُوبِ حَيْثُ كانَ يَثِبُ* فَلَمّا كانَ مِنَ ٱلْغَدِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْجُرْذانُ ٱلَّتِي

---

١ افسد ٢ مبادلة ٣ آلة يحفر بها

كانت معي فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا. فانطلقت ومعي الجرذان إلى المكان الذي كنت أثب منه إلى الجونة فحاولت ذلك مرارًا فلم أقدر عليه. فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فإنا نرى له حالًا لا نحسبه إلّا قد احتاج معها إلى من يعوله[1]. فتركنني ولحقن بأعدائي وجفونني[2] وأخذن في غيبتي[3] عند من يعاديني ويحسدني وأصبحن كأنهن لم يعرفنني وكأني لم أكن عليهن رئيسًا قط

فقلت في نفسي ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلّا بالمال. ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرًا قعد به العدم[4] عما يريده. كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشتاء لا يمر إلى نهر ولا يجري إلى مكان إلى أن يفسد وينشف ولا ينتفع به* ووجدت من لا إخوان له لا أهل له. ومن لا ولد له لا ذكر له. ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له. لأنّ من نزل به الفقر لا يجد بدًّا من ترك الحياء. ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره

١ يمونه ويكفيه ٢ خلاف وصلني اي هجرني ٣ ذمي في غيابي ٤ الفقر

مَقَتَ نَفْسَهُ. وَمَنْ مَقَتَ نَفْسَهُ كَثُرَ حُزْنُهُ. وَمَنْ كَثُرَ حُزْنُهُ قَلَّ عَقْلُهُ وَٱرْتَبَكَ فِي أَمْرِهِ. وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ عَلَيْهِ لَا لَهُ. وَمَنْ كَانَ كَذٰلِكَ فَأَحْرِ بِهِ[1] أَنْ يَكُونَ أَنْكَدَ ٱلنَّاسِ حَظًّا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا ٱفْتَقَرَ قَطَعَهُ[2] أَقَارِبُهُ وَإِخْوَانُهُ وَأَهْلُ وُدِّهِ وَمَقَتُوهُ وَرَفَضُوهُ وَأَهَانُوهُ وَٱضْطَرَّهُ ذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَ ٱلرِّزْقِ مَا يُغَرِّرُ فِيهِ بِنَفْسِهِ[3] وَيُفْسِدُ فِيهِ آخِرَتَهُ فَيَخْسَرُ ٱلدَّارَيْنِ جَمِيعًا. وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلنَّابِتَةَ فِي ٱلسِّبَاخِ[4] ٱلْمَأْكُولَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَحَالِ ٱلْفَقِيرِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ

وَوَجَدْتُ ٱلْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ وَجَالِبًا إِلَى صَاحِبِهِ كُلَّ مَقْتٍ وَمَعْدِنَ ٱلنَّمِيمَةِ. وَوَجَدْتُ ٱلرَّجُلَ إِذَا ٱفْتَقَرَ ٱتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا وَأَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا. فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلتُّهْمَةِ مَوْضِعًا. وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ[5] هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ. فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ أَهْوَجُ وَإِنْ كَانَ جَوَادًا[6] سُمِّيَ مُبَذِّرًا وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ

---

١ فأحراه أي ما أجدره وأحقه ٢ ضدّ وصله ٣ يعرضها للهلكة
٤ الاراضي ذات النزّ والملح ٥ خصلة ٦ كريمًا

ضَعيفاً وَإِنْ كانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَليدًا وَإِنْ كانَ صَمُوتًا[١] سُمِّيَ عَيِيًّا[٢] وَإِنْ كانَ لَسِنًا[٣] سُمِّيَ مِهْذارًا[٤] . فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْحاجَةِ[٥] الَّتي تُحْوِجُ صاحِبَها إِلى الْمَسْأَلَةِ وَلا سِيَّما مَسْأَلَة الْأَشِحّاءِ[٦] وَاللِّئامِ . فَإِنَّ الْكَريمَ لَوْ كُلِّفَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ في فَمِ الْأَفْعى فَيُخْرِجَ مِنْهُ سُمًّا فَيَبْتَلِعَهُ كانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ الْبَخيلِ اللَّئيمِ . حَتّى لَقَدْ جاءَ في قَديمِ الْأَقاويلِ إِنَّ مَنِ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ في جَسَدِهِ لا يُفارِقُهُ حَتّى يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ ما هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ مِنَ الْحاجَةِ وَالْفَقْرِ

وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّيْفَ حينَ أَخَذَ الدَّنانيرَ فَقاسَمَها النّاسِكَ جَعَلَ النّاسِكُ نَصيبَهُ في خَريطَةٍ[٧] عِنْدَ رَأْسِهِ لَمّا جَنَّ[٨] اللَّيْلُ . فَطَمِعْتُ أَنْ أُصيبَ مِنْها شَيْئًا فَأَرُدَّهُ إِلى جُحْري وَرَجَوْتُ أَنْ يَزيدَ ذٰلِكَ في قُوَّتي أَوْ يُراجِعَني بِسَبَبِهِ بَعْضُ أَصْدِقائي * فَانْطَلَقْتُ إِلى النّاسِكِ وَهُوَ نائِمٌ حَتّى انْتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَوَجَدْتُ الضَّيْفَ يَقْظانَ وَبِيَدِهِ قَضيبٌ فَضَرَبَني عَلى رَأْسي ضَرْبَةً موجِعَةً فَانْقَلَبْتُ راجِعاً إِلى جُحْري . فَلَمّا سَكَنَ

---

١ كثير الصمت ٢ بليدًا عاجزًا ٣ فصيح اللسان ٤ كثير الكلام في الخطاء والباطل ٥ الفقر ٦ البخلاء ٧ وعاء من جلد ٨ اظلم

عَنِّي ٱلْأَلَمُ هيَّجَنِي ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ فَخَرَجْتُ طَمَعًا كَطَمَعِي ٱلْأَوَّلِ. وَإِذَا ٱلضَّيْفُ يَرْصُدُنِي فَضَرَبَنِي بِٱلْقَضِيبِ ضَرْبَةً أَسَالَتْ مِنِّيَ ٱلدَّمَ فَتَحَامَلْتُ عَلَى نَفْسِي[1] وَتَقَلَّبْتُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ إِلَى جُحْرِي فَخَرَرْتُ[2] مَغْشِيًّا عَلَيَّ فَأَصَابَنِي مِنَ ٱلْوَجَعِ مَا بَغَّضَ إِلَيَّ ٱلْمَالَ حَتَّى لَا أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ أَلَّا تُدَاخِلُنِي مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَالِ رِعْدَةٌ[3] وَهَيْبَةٌ * ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فَوَجَدْتُ ٱلْبَلَآءَ فِي ٱلدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهُ ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ لِأَنَّهُمَا لَا يَزَالَانِ يُدْخِلَانِ صَاحِبَهُمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وَٱلْأَشْيَآءُ لَا تَنْفَدُ[4] وَلَا تَنْتَهِي وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ ٱلدُّنْيَا فِي بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ[5]. وَوَجَدْتُ رُكُوبَ ٱلْأَهْوَالِ وَتَجَشُّمَ[6] ٱلْأَسْفَارِ ٱلْبَعِيدَةِ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ بَسْطِ ٱلْيَدِ إِلَى ٱلسَّخِيِّ بِٱلْمَالِ فَكَيْفَ بِٱلشَّحِيحِ بِهِ. وَلَمْ أَرَ كَٱلرِّضَى شَيْئًا. وَوَجَدْتُ ٱلْعُلَمَآءَ قَدْ قَالُوا لَا عَقْلَ كَٱلتَّدْبِيرِ وَلَا وَرَعَ كَكَفِّ ٱلْأَذَى وَلَا حَسَبَ[7] كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ وَلَا غِنَى كَٱلرِّضَى. وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى ٱلشَّيْءِ نَفْسُهُ[8]. وَأَفْضَلُ ٱلْبِرِّ ٱلرَّحْمَةُ. وَرَأْسُ ٱلْمَوَدَّةِ ٱلِٱسْتِرْسَالُ[9]. وَرَأْسُ ٱلْعَقْلِ مَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ مِمَّا

---

١ تكلفت على مشقة ٢ اي سقطت ٣ الاسم من الارتعاد من الخوف
٤ تفرغ ٥ بمعنى تعب ٦ تكلف ٧ ما ينشئه الرجل لنفسه من المفاخر ٨ صبر نفسهُ على الشيء حبسها عليهِ واقنعها بهِ ٩ حسن الثقة بالصديق والاطمئنان اليهِ والدلالة عليهِ

لا يَكُونُ . وقالُوا ٱلْخَرَسُ خَيْرٌ مِنَ ٱللِّسانِ ٱلْكَذُوبِ وَٱلضُّرُّ[1] وَٱلْفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ[2] وَٱلسَّعَةِ مِنْ أَمْوالِ ٱلنّاسِ * فَصارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقَنِعْتُ وَٱنْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ ٱلنّاسِكِ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ . وَكانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ ٱلْحَمامِ فَسِيقَتْ[3] إِلَيَّ بِصَداقَتِهِ صَداقَةُ ٱلْغُرابِ . وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلسُّلَحْفاةِ فَقالَ ثُمَّ ذَكَرَ لِي ٱلْغُرابُ ما بَيْنَكِ وَبَيْنَهُ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ إِتْيانَكِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ آتِيَكِ مَعَهُ . وَكَرِهْتُ ٱلْوَحْدَةَ فَإِنَّهُ لا شَيْءَ مِنْ سُرُورِ ٱلدُّنْيا يَعْدِلُ صُحْبَةَ ٱلْإِخْوانِ وَلا غَمَّ فِيها يَعْدِلُ ٱلْبُعْدَ عَنْهُمْ . وَجَرَّبْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُلْتَمِسِ[4] مِنَ ٱلدُّنْيا غَيْرُ ٱلْكَفافِ[5] ٱلَّذِي يَدْفَعُ بِهِ ٱلْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ يَسِيرٌ مِنَ ٱلْمَطْعَمِ وَٱلْمَشْرَبِ إِذا أُعِينَ بِصِحَّةٍ وَسَعَةٍ . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وُهِبَتْ لَهُ ٱلدُّنْيا بِما فِيها لَمْ يَكُنْ يَنْتَفِعُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْقَلِيلِ ٱلَّذِي يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْحاجَةَ وَما سِوَى ذٰلِكَ فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ما لِغَيْرِهِ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ حَسْبُ[6]

فَلَمّا فَرَغَ ٱلْجُرَذُ مِنْ كَلامِهِ أَجابَتْهُ ٱلسُّلَحْفاةُ بِكَلامٍ

---

١ بمعنى الفقر ٢ التنعم ٣ مجهول ساق اليّ كذا اي وجهه ٤ الطالب
٥ مقدار الحاجة فقط ٦ فقط

رَقِيقٍ وَقَالَتْ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ وَمَا أَحْسَنَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ • إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بَقَايَا أُمُورٍ هِيَ فِي نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ قِلَّةُ مَالِكَ وَسُوءُ حَالِكَ وَٱغْتِرَابُكَ عَنْ مَوْطِنِكَ • فَٱطْرَحْ ذٰلِكَ عَنْ قَلْبِكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ ٱلْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ ٱلْعَمَلِ وَأَنَّ ٱلْمَرِيضَ ٱلَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَآءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَجِدْ لِدَآئِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَّةً • فَاسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ ٱلْمَالِ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَٱلْأَسَدِ ٱلَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا[١] • وَٱلْغَنِيُّ ٱلَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ ٱلْمَالِ كَٱلْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ[٢] بِهِ وَإِنْ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ بِٱلذَّهَبِ • فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ لَهُ كَٱلْأَسَدِ ٱلَّذِي لَا يَنْقَلِبُ[٣] إِلَّا مَعَهُ قُوَّتُهُ * فَلْتُحْسِنْ تَعَهُّدَكَ[٤] لِنَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ جَآءَكَ ٱلْخَيْرُ يَطْلُبُكَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ كَمَا يَطْلُبُ ٱلْمَآءُ ٱنْحِدَارَهُ • وَإِنَّمَا جُعِلَ ٱلْفَضْلُ لِلْحَازِمِ ٱلْبَصِيرِ وَأَمَّا ٱلْكَسْلَانُ ٱلْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ ٱلْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ * وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْيَآءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَآءٌ • ظِلِّ ٱلْغَمَامَةِ[٥] فِي ٱلصَّيْفِ.

١ اي قاعدًا ٢ يبالى ٣ اي يتحوّل ٤ تفقدك ٥ الغيمة

وَخلَّةِ[1] ٱلأَشْرارِ · وَعِشْقِ ٱلنِسآءِ · وَٱلنبإِ[2] ٱلكاذِبِ · وَٱلمالِ ٱلكثيرِ * فَٱلعاقِلُ لا يحزَنُ لِقلَّتِهِ ولٰكنَّ مالَهُ عقلُهُ وما قدَّمَ مِنْ صالحِ عمَلِهِ · فهُوَ واثِقٌ أَنَّهُ لا يُسلَبُ ما عمِلَ ولا يُؤاخَذُ بِشَيْءٍ لمْ يعمَلْهُ · وهُوَ خليقٌ أَنْ لا يغفُلَ عَنْ أَمرِ آخِرَتِهِ فإِنَّ ٱلموْتَ لا يأْتِي إِلَّا بغتةً وليس بينَهُ وبَيْنَ أَحَدٍ أَجَلٌ[3] مَعْلُومٌ · وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِما عِنْدَكَ مِنَ ٱلعِلْمِ · وَلٰكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مِنْ حقِّكَ فأَنْتَ أَخُونا وَما قِبَلَنا[4] مَبْذُولٌ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلغُرابُ كَلامَ ٱلسُّلَحْفاةِ لِلجُرَذِ ورَدَّها عليهِ وَإِلْطافَها إِيّاهُ[5] فَرِحَ بِذٰلِكَ وَقالَ لَقَدْ سَرَرْتِنِي وَأَنْعَمْتِ عَلَيَّ وَأَنْتِ جَدِيرَةٌ أَنْ تَسُرِّي نَفْسَكِ بِمِثْلِ ما سَرَرْتِنِي · وَإِنَّ أَوْلَى أَهْلِ ٱلدُّنْيا بِشِدَّةِ ٱلسُّرُورِ مَنْ لا يَزالُ رَبْعُهُ[6] مِنْ إِخْوانِهِ وَأَصْدِقائِهِ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ مَعْمُورًا وَلا يَزالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَماعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسُرُّونَهُ وَيَكُونُ مِنْ وَراءِ أُمُورِهِمْ وَحاجاتِهِمْ بِٱلمِرْصادِ[7] · فَإِنَّ حُسْنَ ٱلثَّنآءِ لا يَزالُ صاحِبُهُ فِي عاقِبَتِهِ

---

١ مصادقة ٢ الخبر ٣ ميعاد ٤ اي عندنا ٥ اي برّها به وملاطفتها له ٦ اي منزلة ٧ اي مراقباً لها

حَيْثُما تَوَجَّهَ. فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذا عَثَرَ لا يُقِيلُ عَثْرَتَهُ[1] وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا الْكِرامُ كَالْفِيلِ إِذا وَحِلَ لا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفِيَلَةُ * فَبَيْنَما الْغُرابُ فِي كَلامِهِ وَالثَّلاثَةُ مُسْتَأْنِسُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى مَذْعُورًا[2]. فَذُعِرَتْ مِنْهُ السُّلَحْفاةُ فَغاصَتْ فِي الْماءِ وَدَخَلَ الْجُرَذُ بَعْضَ الْأَجْحارِ وَطارَ الْغُرابُ فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ وَانْتَهَى الظَّبْيُ إِلَى الْماءِ فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا ثُمَّ وَقَفَ خائِفًا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمالًا * ثُمَّ إِنَّ الْغُرابَ حَلَّقَ فِي السَّماءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظَّبْيِ طالِبٌ. فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنادَى الْجُرَذَ وَالسُّلَحْفاةَ فَخَرَجا. فَقالَتِ السُّلَحْفاةُ لِلظَّبْيِ حِينَ رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْماءِ وَلا يَقْرَبُهُ اشْرَبْ إِنْ كانَ بِكَ عَطَشٌ وَلا تَخَفْ فَإِنَّهُ لا خَوْفَ عَلَيْكَ. فَدَنا الظَّبْيُ فَرَحَّبَتْ بِهِ السُّلَحْفاةُ وَحَيَّتْهُ وَقالَتْ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قالَ كُنْتُ بِهٰذِهِ الصَّحارَى[3] راتِعًا[4]. فَلَمْ تَزَلِ الْأَساوِرَةُ[5] تَطْرُدُنِي مِنْ مَكانٍ إِلَى مَكانٍ حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَحًا[6] فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قانِصًا. قالَتْ لا تَخَفْ فَإِنَّا لَمْ نَرَ هٰهُنا قانِصًا قَطُّ وَنَحْنُ فِي هٰذا الْمَكانِ مُجْتَمِعُونَ نَتَحَدَّثُ

---

١ ينهضه من سقطته ٢ خائفًا ٣ جمع صحراء وهي الفضاء الواسع
٤ آكلًا وشاربًا في خصب وسعة ٥ جمع اسوار وهو الجيد الرمي بالسهام
٦ شخصًا

وَنتآنسُ وَنحنُ نبذُلُ لكَ وُدَّنا ومَكانَنا وَالْمآءُ وَالْمرْعى كثيرٌ عِنْدَنا فَارْغَبْ فِي صحبتِنا . فأقامَ الظَّبيُ معهمْ وَكانَ لَهمْ عَرِيشٌ[1] يجتمِعونَ فيهِ ويَتساقطونَ[2] الأحاديثَ وَالأخبارَ . فَبَيْنَما الغُرابُ وَالجُرَذُ وَالسُّلحفاةُ ذاتَ يومٍ فِي العَرِيشِ إذْ غابَ الظَّبيُ فتوقَّعوهُ[3] ساعةً فلَمْ يأْتِ . فلَمّا أبطأَ[4] أشفقوا[5] أنْ يكونَ قدْ أصابَهُ عنَتٌ[6] . فقالَ الجُرَذُ وَالسُّلحفاةُ للغُرابِ انظُرْ هلْ ترَى مِمّا يلِينا[7] شيئاً . فحلَّقَ الغرابُ فِي السَّماءِ فنظرَ فإِذا الظَّبيُ فِي الحَبائلِ[8] مُقتَنَصاً[9] . فانقضَّ[10] مُسرِعاً فأخبرَهُما بذلِكَ . فقالتِ السُّلحفاةُ وَالغرابُ لِلجُرَذِ هٰذا أمرٌ لا يُرجى فيهِ غيرُكَ فأَغِثْ[11] أخاكَ . فسعَى الجُرَذُ مُسرِعاً فأَتى الظَّبيَ فقالَ لهُ كيفَ وقعْتَ فِي هٰذهِ الوَرْطةِ وأنتَ مِنَ الأكياسِ[12] . قالَ الظَّبيُ ما يُغني[13] حذَرٌ مِنْ قدَرٍ[14] ولا يُجدِي[15] الكَيْسُ مَعَ المَقادِيرِ شيئاً

فبينَما هُما فِي الحديثِ إذْ وافتْهُما السُّلحفاةُ فقالَ لها

---

١ مكان يستظل به ٢ يتبادلون و يتناوبون ٣ اي انتظروا مجيئه
٤ تاخر ٥ خاف ٦ وقوع في امر شاقّ ٧ اي مما حوالينا ٨ الاشراك
٩ مصطادًا ١٠ وقع بسرعة ١١ أعن ١٢ جمع كيس وهي الظرف الفطن
١٣ اي يدفع ويمنع ١٤ قضاء من الله ١٥ ينفع

الظَّبيُ ما أَصبتِ بمجيئكِ إِلينا فإِنَّ القانِصَ لوِ انتهى إِلينا وقد قطع الجرذُ الحبائلَ سبقتهُ عدوًا[١] . وللجرذِ أَحجارٌ كثيرةٌ والغرابُ يطيرُ . وأَنتِ ثقيلةٌ لا سعيَ لكِ ولا حركةَ وأَخافُ عليكِ القانصَ . قالتْ لا عيشَ بعدَ فراقِ الأَحبةِ . وإِذا فارقَ الأَليفُ أَليفهُ فقد سُلِبَ فؤادهُ وحُرِمَ سرورهُ وغُشِيَ على بصرِهِ . فلم ينتهِ كلامُها حتَّى وافى[٢] القانِصُ ووافقَ ذلكَ فراغَ الجرذِ من قطعِ الشَّركِ . فنجا الظَّبيُ بنفسِهِ وطارَ الغرابُ محلِّقًا ودخلَ الجرذُ بعضَ الأَحجارِ ولم يبقَ غيرُ السُّلَحفاةِ ودنا الصيَّادُ فوجدَ حبائلَهُ مقطَّعةً . فنظرَ يمينًا وشمالاً فلم يجدْ غيرَ السُّلَحفاةِ تدبُّ فأَخذها وربطها . فلم يلبثْ[٣] الغرابُ والجرذُ والظَّبيُ أَنِ اجتمعوا فنظروا القانِصَ قد ربطَ السُّلَحفاةَ فاشتدَّ حزنُهم وقالَ الجرذُ ما أَرانا[٤] نجاوزُ عقبةً[٥] منَ البلاءِ إِلَّا صِرنا إِلى أَشدَّ منها . ولقد صدقَ الذي قالَ لا يزالُ الإِنسانُ مستمرًّا في إِقبالِهِ ما لم يعثرْ فإِذا عثرَ لجَّ[٦] بهِ العثارُ وإِن مشى في جَدَدِ[٧] الأَرضِ . وحذَري على السُّلَحفاةِ خيرِ الأَصدقاءِ

---

١ ركضًا ٢ جاء ٣ يبطئ ٤ ارى انفسنا ٥ الاصل فيها الطريق الصعبة في الجبل والمراد بها هنا الورطة ٦ تمادى ٧ الغليظ المستوي من الارض

ٱلَّتِي خِلَّتُهَا لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا لِٱلْتِمَاسِ مُكَافَأَةٍ وَلٰكِنَّهَا خِلَّةُ ٱلْكَرَمِ وَٱلشَّرَفِ. خِلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خِلَّةِ ٱلْوَالِدِ لِوَلَدِهِ • خِلَّةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا ٱلْمَوْتُ. وَيْحٌ[1] لِهٰذَا ٱلْجَسَدِ ٱلْمُوَكَّلِ[2] بِهِ ٱلْبَلَآءُ ٱلَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّالِعِ مِنَ ٱلنُّجُومِ طُلُوعٌ وَلَا لِلْآفِلِ[3] مِنْهَا أُفُولٌ لٰكِنْ لَا يَزَالُ ٱلطَّالِعُ مِنْهَا آفِلًا وَٱلْآفِلُ طَالِعًا • وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ ٱلْكُلُومِ[4] وَٱنْتِقَاضُ[5] ٱلْجِرَاحَاتِ كَذٰلِكَ حَالِي أَنَا ٱلَّذِي ذَكَّرَنِي هٰذَا ٱلْبَلَآءُ سَابِقَ أَحْوَالِي • كَٱلْجُرْحِ ٱلْمُنْدَمِلِ[6] تُصِيبُهُ ٱلضَّرْبَةُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَلَمَانِ أَلَمُ ٱلضَّرْبَةِ وَأَلَمُ ٱلْجُرْحِ. وَأَخْلِقْ بِمَنْ[7] فَقَدَ إِخْوَانَهُ بَعْدَ ٱجْتِمَاعِهِ بِهِمْ أَنْ لَا يَزَالَ مُنْقَصِمَ[8] ٱلظَّهْرِ حَزِينَ ٱلنَّفْسِ

فَقَالَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ لِلْجُرَذِ إِنَّ حَذَرَنَا وَحَذَرَكَ وَكَلَامَكَ وَإِنْ كَانَ بَلِيغًا لَا يُغْنِي عَنِ ٱلسُّلَحْفَاةِ شَيْئًا • وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ إِنَّمَا ٱلنَّاسُ عِنْدَ ٱلْبَلَآءِ وَذُو ٱلْأَمَانَةِ عِنْدَ ٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَآءِ وَٱلْأَهْلُ وَٱلْوَلَدُ عِنْدَ ٱلْفَاقَةِ وَٱلْإِخْوَانُ عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ[9] • قَالَ ٱلْجُرَذُ أَرَى

---

١ ويل ٢ المربوط والمتعلق ٣ الغارب ٤ الجراح ٥ انتكاس
٦ الذي يبرى ٧ ما اخلقه اي ما احقه ٨ منكسر ٩ المصائب

مِنَ ٱلْحِيلَةِ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّهَا ٱلظَّبْيُ فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ ٱلْقَانِصِ[١] كَأَنَّكَ جَرِيحٌ وَيَقَعُ ٱلْغُرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ. وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيبًا مِنَ ٱلْقَانِصِ مُرَاقِبًا لَهُ لَعَلَّهُ يَرْمِي مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْآلَةِ وَيَدَعُ ٱلسُّلَحْفَاةَ وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ رَاجِيًا تَحْصِيلَكَ. فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفِرَّ عَنْهُ رُوَيْدًا بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ فِيكَ وَأَمْكِنْهُ[٢] مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا. وَٱنْحُ مِنْهُ هٰذَا ٱلنَّحْوَ[٣] مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتُ ٱلْحَبَائِلَ عَنِ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَأَنْجُو بِهَا. فَفَعَلَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ ٱلْجُرَذُ وَتَبِعَهُمَا ٱلْقَانِصُ فَٱسْتَطْرَدَ لَهُ[٤] ٱلظَّبْيُ حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ ٱلْجُرَذِ وَٱلسُّلَحْفَاةِ وَٱلْجُرَذُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ ٱلْحَبَائِلِ حَتَّى قَطَعَهَا وَنَجَا بِٱلسُّلَحْفَاةِ. وَعَادَ ٱلْقَانِصُ مَجْهُودًا لَاغِبًا[٥] فَوَجَدَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً. فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ ٱلظَّبْيِ فَظَنَّ أَنَّهُ خُولِطَ فِي عَقْلِهِ[٦]. وَفَكَّرَ فِي ٱلظَّبْيِ وَٱلْغُرَابِ ٱلَّذِي كَانَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ[٧] وَتَقْرِيضِ حَبَائِلِهِ. فَٱسْتَوْحَشَ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَقَالَ هٰذِهِ أَرْضُ جِنٍّ أَوْ سَحَرَةٍ. فَرَجَعَ مُوَلِّيًا لَا يَلْتَمِسُ شَيْئًا وَلَا

---

١ بحيث ينظرك ٢ اجعله يتمكن ٣ اي اجر معه هذا المجرى ٤ اظهر له الانهزام مكيدة ٥ تعباً جداً ٦ اختل عقله ٧ الضمير للظبي

يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ. وَٱجْتَمَعَ ٱلْغُرابُ وَٱلظَّبْيُ وَٱلْجُرَذُ وَٱلسُّلَحْفاةُ إِلَى عَريشِهِمْ سالِمِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ ما كانُوا عَلَيْهِ

فَإِذا كانَ هٰذا الْخَلْقُ مَعَ صِغَرِهِ وَضُعْفِهِ قَدْ قَدَرَ عَلَى ٱلتَّخَلُّصِ مِنْ مَرابِطِ ٱلْهَلَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوَدَّتِهِ وَخُلُوصِها وَثَباتِ قَلْبِهِ عَلَيْها وَٱسْتِمْتاعِ[1] بَعْضِهِ بِبَعْضٍ. فَٱلْإِنْسانُ ٱلَّذِي قَدْ أُعْطِيَ ٱلْعَقْلَ وَٱلْفَهْمَ وَأُلْهِمَ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ وَمُنِحَ ٱلتَّمْيِيزَ وَٱلْمَعْرِفَةَ أَوْلَى وَأَحْرَى بِٱلتَّواصُلِ وَٱلتَّعاضُدِ[2]

فَهٰذا مَثَلُ إِخْوانِ ٱلصَّفاءِ وَٱئْتِلافِهِمْ فِي ٱلصُّحْبَةِ

---

١ تمتع ٢ التعاون



باب

البوم والغربان

قالَ دبشليم الملكُ لبيدبا الفيلسوفِ قد سمعتُ مثل إخوانِ الصفاءِ وتعاونِهم. فاضرب لي مثل العدوِّ الذي لا ينبغي أن يغترَّ بهِ وإن أظهر تضرُّعاً وملقاً. وأخبرني عن العدوِّ هل يصيرُ صديقاً وهل يوثقُ من أمرهِ بشيءٍ وكيف العداوةُ وما ضررُها وكيف ينبغي للملكِ أن يصنعَ إذا طلب عدوُّه مصالحته

قالَ الفيلسوفُ من اغترَّ بالعدوِّ الذي لا يزالُ عدوّاً أصابهُ ما أصابَ البومَ من الغربانِ. قال الملكُ وكيف كان ذلك

قالَ بيدبا زعموا أنَّهُ كان في جبلٍ من الجبالِ شجرةٌ من شجرِ الدوحِ[1] فيها وكرُ ألفِ غرابٍ وعليهنَّ والٍ من أنفسهنَّ. وكان عند هذهِ الشجرةِ كهفٌ فيهِ ألفُ بومةٍ وعليهنَّ والٍ منهنَّ. فخرجَ ملكُ البومِ لبعضِ غدواتهِ[2] وروحاتهِ[3]

---

١ جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة ٢ خروجهِ صباحاً ٣ خروجهِ مساءً

وَفِي نَفْسِهِ ٱلْعَداوةُ لِمَلِكِ ٱلْغِرْبانِ وَفِي نَفْسِ ٱلْغِرْبانِ وَمَلِكِها مِثْلُ ذٰلِكَ لِلْبُومِ. فَأَغارَ مَلِكُ ٱلْبُومِ فِي أَصْحابِهِ عَلَى ٱلْغِرْبانِ فِي أَوْكارِها فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْها خَلْقًا كَثِيرًا وَكانَتِ ٱلْغارةُ لَيْلًا. فَلَمَّا أَصْبَحَتِ ٱلْغِرْبانُ ٱجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِها فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ ما لَقِينا ٱللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ ٱلْبُومِ وَما مِنّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ ٱلْجَناحِ أَوْ مَنْتُوفَ ٱلرِّيشِ أَوْ مَهْلُوبَ[1] ٱلذَّنَبِ. وَأَشَدُّ ما أَصابَنا ضَرًّا جُرْأَتُهُنَّ عَلَيْنا وَعِلْمُهُنَّ بِمَكانِنا وَهُنَّ عائِداتٌ إِلَيْنا غَيْرُ مُنْقَطِعاتٍ عَنّا لِعِلْمِهِنَّ بِمَكانِنا فَإِنَّما نَحْنُ لَكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ فَٱنْظُرْ لَنا وَلِنَفْسِكَ* وَكانَ فِي ٱلْغِرْبانِ خَمْسَةٌ مُعْتَرَفٌ لَهُنَّ بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ[2] فِي ٱلْأُمُورِ وَتُلْقَى إِلَيْهِنَّ مَقالِيدُ[3] ٱلْأَحْوالِ. وَكانَ ٱلْمَلِكُ كَثِيرًا ما يُشاوِرُهُنَّ فِي ٱلْأُمُورِ وَيَأْخُذُ آراءَهُنَّ فِي ٱلْحَوادِثِ وَٱلنَّوازِلِ[4]* فَقالَ ٱلْمَلِكُ لِلْأَوَّلِ مِنَ ٱلْخَمْسَةِ ما رَأْيُكَ فِي هٰذا ٱلْأَمْرِ. قالَ رَأْيٌ قَدْ سَبَقَتْنا إِلَيْهِ ٱلْعُلَماءُ. وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ لِلْعَدُوِّ ٱلْحَنِقِ[5] ٱلَّذِي لا طاقَةَ لَكَ بِهِ إِلَّا ٱلْهَرَبُ مِنْهُ* قالَ ٱلْمَلِكُ لِلثّانِي ما رَأْيُكَ أَنْتَ فِي هٰذا ٱلْأَمْرِ. قالَ ما رَأَى هٰذا مِنَ ٱلْهَرَبِ.

١ منتوف ٢ اي يعتمد عليهن ٣ مفاتيح ٤ الشدائد ٥ ذي الحنق

قالَ ٱلْمَلِكُ لا أَرَى لَكُما ذٰلِكَ رَأْيًا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ أَوْطانِنا وَنُخْلِيَها لِعَدُوِّنا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ أَصابَتْنا مِنْهُ وَلا يَنْبَغِي لَنا ذٰلِكَ فَنَكُونُ بِهِ لَهُمْ عَوْنًا عَلَيْنا. وَلٰكِنْ نَجْمَعُ أَمْرَنا وَنَسْتَعِدُّ لِعَدُوِّنا وَنُذْكِي[1] نارَ الْحَرْبِ فِيما بَيْنَنا وَبَيْنَ عَدُوِّنا وَنَحْتَرِسُ مِنَ ٱلْغِرَّةِ[2] إِذا أَقْبَلَ إِلَيْنا فَنَلْقاهُ مُسْتَعِدِّينَ وَنُقاتِلُهُ قِتالًا غَيْرَ مُراجِعِينَ فِيهِ وَلا حامِينَ مِنْهُ[3] وَتَلْقَى أَطْرافُنا أَطْرافَ ٱلْعَدُوِّ وَنَتَحَرَّزُ[4] بِحُصُونِنا وَنُدافِعُ عَدُوَّنا بِٱلْأَناةِ[5] مَرَّةً وَبِالْجِلادِ[6] أُخْرَى حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنا وَبُغْيَتَنا وَقَدْ ثَنَيْنا[7] عَدُوَّنا عَنّا

ثُمَّ قالَ ٱلْمَلِكُ لِلثّالِثِ ما رَأْيُكَ أَنْتَ. قالَ لا أَرَى ما قالا رَأْيًا وَلٰكِنْ نَبُثُّ[8] ٱلْعُيُونَ[9] وَنَبْعَثُ الْجَواسِيسَ وَنُرْسِلُ ٱلطَّلائِعَ[10] بَيْنَنا وَبَيْنَ عَدُوِّنا فَنَعْلَمُ هَلْ يُرِيدُ صُلْحَنا أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنا أَمْ يُرِيدُ ٱلْفِدْيَةَ. فَإِنْ رَأَيْنا أَمْرَهُ أَمْرَ طامِعٍ فِي مالٍ لَمْ نَكْرَهِ ٱلصُّلْحَ عَلَى خَراجٍ نُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ عَنْ أَنْفُسِنا وَنَطْمَئِنُّ فِي أَوْطانِنا. فَإِنَّ مِنْ آراءِ ٱلْمُلُوكِ إِذا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ[11] عَدُوِّهِمْ فَخافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلادِهِمْ أَنْ

---

١ نوقد ٢ الغفلة ٣ آنفين اي متكرهين ٤ اي نتحصن ٥ التأني ٦ اي الحرب ٧ رددنا ٨ نفرّق ٩ الرقباء ١٠ جماعات من الجيش نرسل لتجسس احوال العدو ١١ اي قدرة

يَجعلوا الأَموالَ جُنَّةً[1] البِلادِ والمَلِكِ والرَّعِيَّةِ * قالَ المَلِكُ للرَّابِعِ فما رَأْيُكَ في هذا الصُّلْحِ . قالَ لا أَراهُ رَأْياً بَلْ أَنْ نُفارِقَ أَوطانَنا ونَصبِرَ على الغُربةِ وشِدَّةِ المَعيشةِ خيرٌ مِنْ أَنْ نُضيعَ أَحسابَنا[2] ونَخضعَ للعَدُوِّ الذي نَحْنُ أَشرَفُ مِنهُ . معَ أَنَّ البُومَ لو عَرَضْنا ذلكَ عليهِنَّ لما رَضِينَ مِنَّا إلَّا بالشَّطَطِ[3] . ويُقالُ في الأَمثالِ قارِبْ عَدُوَّكَ بعضَ المُقارَبةِ لتَنالَ حاجتَكَ ولا تُقارِبْهُ كُلَّ المُقارَبةِ فيَجترِئَ عليكَ ويُضعِفَ جُندَكَ وتَذِلَّ نفسُكَ . ومَثَلُ ذلكَ مَثَلُ الخَشَبةِ المَنصُوبةِ في الشَّمسِ إذا أَمَلْتَها قليلاً زادَ ظِلُّها وإذا جاوَزْتَ بها الحَدَّ في أَمالتِكَها[4] نَقَصَ الظِّلُّ . ولَيسَ عَدُوُّنا راضِياً مِنَّا بالدُّونِ في المُقارَبةِ فالرَّأْيُ لنا ولكَ المُحارَبةُ * قالَ المَلِكُ للخامِسِ ما تقولُ أَنتَ وماذا تَرَى القِتالُ أَمِ الصُّلْحُ أَمِ الجَلاءُ[5] عنِ الوَطَنِ . قالَ أَمَّا القِتالُ فلا سَبيلَ للمَرْءِ إلى قِتالِ مَنْ لا يَقوَى عليهِ . وقد يُقالُ إنَّهُ مَنْ لا يَعرِفُ نفسَهُ وعَدُوَّهُ وقاتَلَ مَنْ لا يَقوَى عليهِ حَمَلَ نفسَهُ على حَتفِها[6] . معَ أَنَّ العاقِلَ لا يَستَصغِرُ عَدُوّاً . فإنَّ مَنِ

---

١ ترس ٢ اي مفاخرنا ٣ مجاوزة الحد ٤ اما لتك اياها ٥ الرحيل
٦ هلاكها

اَسْتَصْغَرَ عَدُوَّهُ اغْتَرَّ بِهِ وَمَنِ اغْتَرَّ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ. وَأَنَا لِلْبُومِ شَدِيدُ الْهَيْبَةِ وَإِنْ أَضْرَبْنَ عَنْ قِتَالِنَا[١] وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ. فَإِنَّ الْحَازِمَ[٢] لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتَهُ وَإِنْ كَانَ مُكْثِبًا[٣] لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ[٤] وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا لَمْ يَأْمَنْ مَكْرَهُ. وَأَحْزَمُ الْأَقْوَامِ وَأَكْيَسُهُمْ[٥] مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ النَّفَقَةِ فِيهِ. فَإِنَّ مَا[٦] دُونَ الْقِتَالِ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. وَالْقِتَالَ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ وَرُبَّمَا اكْتُفِيَ عَنْهُ بِالنَّفَقَةِ الْيَسِيرَةِ وَالْكَلَامِ اللَّيِّنِ. فَلَا يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ. فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصِّنًا[٧] لِلْأَسْرَارِ مُتَخَيِّرًا[٨] لِلْوُزَرَاءِ مَهِيبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُسْلَبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ[٩] مِنَ الْخَيْرِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَذٰلِكَ وَالْمَلِكُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ وُزَرَائِهِ بَصِيرَةً كَمَا يَزِيدُ الْبَحْرُ بِمُجَاوِرِهِ مِنَ الْأَنْهَارِ * وَقَدِ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرٍ جَوَابُكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَنِيٌّ وَقَدْ أَجَبْتُكَ بِهِ وَفِي بَعْضِهِ سِرِّيٌّ.

---

١ اعرضن عنه ٢ السديد الراي ٣ قريبًا ٤ اي هجمته ٥ من الكيس بمعنى العقل ٦ الذي ٧ اي كاتمًا ٨ منتقيًا ٩ اعطي

وَلِلأَسْرارِ مَنازِلُ مِنْها ما يَدْخُلُ فِيهِ ٱلرَّهْطُ[١] وَمِنْها ما يُسْتَعانُ فِيهِ بِٱلْقَوْمِ وَمِنْها ما يَدْخُلُ فِيهِ ٱلرَّجُلانِ. وَلَسْتُ أَرَى لِهٰذا ٱلسِّرِّ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشارِكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ آذانٍ وَلِسانانِ. فَنَهَضَ ٱلْمَلِكُ مِنْ ساعَتِهِ وَخَلا بِهِ فَٱسْتَشارَهُ. فَكانَ أَوَّلُ ما سَأَلَهُ عَنْهُ ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ قالَ هَلْ تَعْلَمُ ٱبْتِداءَ ٱلْعَداوَةِ ما بَيْنَنا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ. قالَ نَعَمْ كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِها غُرابٌ. قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْغُرابُ زَعَمُوا أَنَّ جَماعَةً مِنَ ٱلْكَراكِيِّ[٢] لَمْ يَكُنْ لَها مَلِكٌ فَأَجْمَعَتْ أَمْرَها[٣] عَلَى أَنْ تُمَلِّكَ عَلَيْها مَلِكَ ٱلْبُومِ. فَبَيْنَما هِيَ فِي مَجْمَعِها إِذْ وَقَعَ لَها غُرابٌ. فَقالَتْ لَوْ جاءَنا هٰذا ٱلْغُرابُ لَٱسْتَشَرْناهُ فِي أَمْرِنا. فَلَمْ يَلْبَثْنَ دُونَ أَنْ جاءَهُنَّ ٱلْغُرابُ فَٱسْتَشَرْنَهُ. فَقالَ لَوْ أَنَّ ٱلطَّيْرَ بادَتْ[٤] مِنَ ٱلْأَقالِيمِ[٥] وَفُقِدَ ٱلطَّاوُوسُ وَٱلْبَطُّ وَٱلنَّعامُ وَٱلْحَمامُ مِنَ ٱلْعالَمِ لَما ٱضْطُرِرْتُنَّ إِلَى أَنْ تُمَلِّكْنَ عَلَيْكُنَّ ٱلْبُومَ ٱلَّتِي هِيَ أَقْبَحُ ٱلطَّيْرِ مَنْظَرًا وَأَسْوَأُها خَلْقًا وَأَقَلُّها عَقْلًا وَأَشَدُّها غَضَبًا وَأَبْعَدُها

---

١ قوم الرجل وقبيلته ٢ جمع كركي وهو ضرب من الطير ٣ اجتمعت عليه ٤ فنيت وانقطعت ٥ جمع اقليم وهو من البلاد ما اختص باسم وتميز به فمصر اقليم والشام اقليم وقس عليه

مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ مَعَ عماها وَما بِها مِنَ ٱلْعَشا[1] فِي ٱلنَّهارِ وَنَتْنِ رائِحَتِها حَتّى لا يُطيقُ طائِرٌ أَنْ يَتَقَرَّبَ مِنْها. وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ وَأَقْبَحُ أُمورِها سَفَهُها[2] وَسوءُ أَخْلاقِها. إِلّا أَنْ تَرَيْنَ أَنْ تُمَلِّكْنَها وَتَكُنَّ أَنْتُنَّ تُدَبِّرْنَ ٱلْأُمورَ دونَها بِرَأْيِكُنَّ وَعُقولِكُنَّ. فَإِنَّ وُزَراءَ ٱلْمَلِكِ إِذا كانوا صالِحِينَ وَكانَ يُطيعُهُمْ فِي آرائِهِمْ لَمْ يَضُرَّ فِي مُلْكِهِ كَوْنُهُ جاهِلاً وَٱسْتَقامَ أَمْرُهُ. كَما فَعَلَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلَّتِي زَعَمَتْ أَنَّ ٱلْقَمَرَ مَلِكُها وَعَمِلَتْ بِرَأْيِها. قالَتِ ٱلطَّيْرُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْغُرابُ زَعَموا أَنَّ أَرْضاً مِنْ أَراضِي ٱلْفِيَلَةِ[3] تَتابَعَتْ عَلَيْها ٱلسِّنونَ[4] وَأَجْدَبَتْ[5] وَقَلَّ ماؤُها وَغارَتْ عُيونُها وَذَوَى[6] نَبْتُها وَيَبِسَ شَجَرُها فَأَصابَ ٱلْفِيَلَةَ عَطَشٌ شَديدٌ. فَشَكَوْنَ ذٰلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوّادَهُ[7] فِي طَلَبِ ٱلْماءِ فِي كُلِّ ناحِيَةٍ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلرُّسُلِ فَقالَ لَهُ إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكانِ كَذا عَيْناً يُقالُ لَها عَيْنُ ٱلْقَمَرِ كَثيرَةُ ٱلْماءِ. فَتَوَجَّهَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ بِأَصْحابِهِ إِلَى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْها هُوَ

---

١ ضعف البصر ٢ جهلها وخفتها ٣ جمع فيل ٤ جمع سنة بمعنى الجدب والمحل ٥ امحلت ٦ ذبل ٧ جمع رائد وهو الرجل يرسله القوم ليتخير لهم مكانا

وَفِيلَتُهُ. وَكَانَتِ ٱلْعَيْنُ فِي أَرْضٍ لِلْأَرَانِبِ فَوَطِئْنَ[1] ٱلْأَرَانِبَ فِي أَجْحَارِهِنَّ فَأَهْلَكْنَ مِنْهُنَّ كَثِيرًا. فَٱجْتَمَعَتِ ٱلْأَرَانِبُ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ ٱلْفِيلَةِ. فَقَالَ لِيَحْضُرْ مِنْكُنَّ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ * فَتَقَدَّمَتْ أَرْنَبٌ مِنَ ٱلْأَرَانِبِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ وَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْأَدَبِ. فَقَالَتْ إِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى ٱلْفِيلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِي أَمِينًا لِيَسْمَعَ وَيَرَى مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ. فَقَالَ لَهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتِ أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكِ فَٱنْطَلِقِي إِلَى ٱلْفِيلَةِ وَبَلِّغِي عَنِّي مَا تُرِيدِينَ. وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ ٱلْمُرْسِلِ. فَعَلَيْكِ بِٱللِّينِ وَٱلرِّفْقِ وَٱلْحِلْمِ وَٱلتَّأَنِّي فَإِنَّ ٱلرَّسُولَ هُوَ ٱلَّذِي يُلَيِّنُ ٱلصُّدُورَ إِذَا رَفَقَ[2] وَيُخَشِّنُ ٱلصُّدُورَ إِذَا خَرِقَ[3] * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَرْنَبَ ٱنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ[4] حَتَّى ٱنْتَهَتْ إِلَى ٱلْفِيلَةِ. وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْهُنَّ مَخَافَةَ أَنْ يَطَأْنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ[5]. فَأَشْرَفَتْ[6] عَلَى ٱلْجَبَلِ وَنَادَتْ مَلِكَ ٱلْفِيلَةِ

---

١ دسن ٢ اطف ولان ٣ صد رفق ٤ مقمرة ٥ قاصدات
٦ اطلت

وَقَالَتْ لَهُ إِنَّ ٱلْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَٱلرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا يُبَلِّغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي ٱلْقَوْلِ. قَالَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ فَمَا ٱلرِّسَالَةُ. قَالَتْ يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ فَٱغْتَرَّ فِي ذٰلِكَ بِٱلْأَقْوِيَاءِ قِيَاساً لَهُمْ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالاً[1] عَلَيْهِ. وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى ٱلدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذٰلِكَ فَعَمَدْتَ[2] إِلَى ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُسَمَّى بِٱسْمِي فَشَرِبْتَ مِنْهَا وَرَنَّقْتَهَا[3]. فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَأُنْذِرُكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ. وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلْتَ يُغَشِّي[4] عَلَى بَصَرِكَ وَيُتْلِفُ نَفْسَكَ. وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلُمَّ إِلَى ٱلْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ[5] بِهَا. فَعَجِبَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ ٱلْأَرْنَبِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ ٱلرَّسُولِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ ٱلْقَمَرِ فِيهَا فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ ٱلرَّسُولُ خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ ٱلْمَاءِ فَٱغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَٱسْجُدْ لِلْقَمَرِ. فَأَدْخَلَ ٱلْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي ٱلْمَاءِ فَتَحَرَّكَ فَخُيِّلَ إِلَى ٱلْفِيلِ[6] أَنَّ ٱلْقَمَرَ ٱرْتَعَدَ. فَقَالَ مَا شَأْنُ ٱلْقَمَرِ ٱرْتَعَدَ أَتُرَيْنَهُ[7] غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي خُرْطُومِي فِي ٱلْمَاءِ. قَالَتْ

---

١ سوء عقبى ٢ قصدت ٣ كدرتها ٤ يلقي غشاوة ٥ ملاقيك
٦ توهم ٧ اتظنينه

فَيْرُوزُ ٱلْأَرْنَبُ نَعَمْ. فَسَجَدَ ٱلْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فِيَلَتِهِ

قَالَ ٱلْغُرَابُ وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ ٱلْبُومِ فَإِنَّ فِيهَا ٱلْخِبَّ[1] وَٱلْمَكْرَ وَٱلْخَدِيعَةَ وَشَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلْمُخَادِعُ. وَمَنِ ٱبْتُلِيَ بِسُلْطَانٍ مُخَادِعٍ وَخَدَمَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْأَرْنَبَ وَٱلصِّفْرِدَ[2] حِينَ ٱحْتَكَمَا إِلَى ٱلسِّنَّوْرِ. قَالَتِ ٱلْكَرَاكِيُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ كَانَ لِي جَارٌ مِنَ ٱلصَّفَارِدَةِ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي. ثُمَّ فَقَدْتُهُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ غَابَ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي. فَجَاءَتْ أَرْنَبٌ إِلَى مَكَانِ ٱلصِّفْرِدِ فَسَكَنَتْهُ. فَكَرِهْتُ أَنْ أُخَاصِمَ ٱلْأَرْنَبَ فَلَبِثَتْ فِيهِ زَمَانًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ٱلْأَرْنَبَ فَقَالَ لَهَا هٰذَا ٱلْمَكَانُ لِي فَٱنْتَقِلِي مِنْهُ. قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلْمَسْكَنُ لِي وَتَحْتَ يَدِي وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ. فَإِنْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فَٱسْتَعْدِ[3] عَلَيَّ. قَالَ ٱلصِّفْرِدُ ٱلْقَاضِي مِنَّا قَرِيبٌ فَهَلُمِّي

١ يعني الخداع ٢ طائر يكنى ابا المليح ٣ استعن

بِنا إِلَيْهِ . قالَتِ ٱلْأَرْنَبُ وَمَنِ ٱلْقاضِي . قالَ ٱلصِّفْرِدُ إِنَّ بِساحِلِ ٱلْبَحْرِ سِنَّوْرًا مُتَعَبِّدًا يَصُومُ ٱلنَّهارَ وَيَقُومُ ٱللَّيْلَ كُلَّهُ وَلا يُؤْذِي دابَّةً وَلا يُهَرِيقُ[1] دَمًا . عَيْشُهُ مِنَ ٱلْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْذِفُهُ إِلَيْهِ ٱلْبَحْرُ . فَإِنْ أَحْبَبْتِ تَحاكَمْنا إِلَيْهِ وَرَضِينا بِهِ . قالَتِ ٱلْأَرْنَبُ ما[2] أَرْضانِي بِهِ إِذا كانَ كَما وَصَفْتَ فَٱنْطَلَقا إِلَيْهِ . فَتَبِعْتُهُما لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ ٱلصَّوَّامِ ٱلْقَوَّامِ[3] * ثُمَّ إِنَّهُما ذَهَبا إِلَيْهِ فَلَمَّا بَصُرَ ٱلسِّنَّوْرُ بِٱلْأَرْنَبِ وَٱلصِّفْرِدِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ ٱنْتَصَبَ قائِمًا يُصَلِّي وَأَظْهَرَ ٱلْخُشُوعَ وَٱلتَّنَسُّكَ . فَعَجِبا لِما رَأَيا مِنْ حالِهِ وَدَنَوا مِنْهُ هائِبَيْنِ لَهُ وَسَلَّما عَلَيْهِ وَسَأَلاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُما . فَأَمَرَهُما أَنْ يَقُصَّا عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ فَفَعَلا . فَقالَ لَهُما قَدْ بَلَغَنِي ٱلْكِبَرُ وَثَقُلَتْ أُذُنايَ[4] فَٱدْنُوا مِنِّي فَأَسْمِعانِي ما تَقُولانِ فَدَنَوا مِنْهُ وَأَعادا عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ وَسَأَلاهُ ٱلْحُكْمَ . فَقالَ قَدْ فَهِمْتُ ما قُلْتُما وَأَنا مُبْتَدِئُكُما بِٱلنَّصِيحَةِ قَبْلَ ٱلْحُكُومَةِ . فَأَنا آمُرُكُما بِتَقْوَى ٱللهِ . وَأَنْ لا تَطْلُبا إِلَّا ٱلْحَقَّ . فَإِنَّ طالِبَ ٱلْحَقِّ هُوَ ٱلَّذِي يُفْلِحُ وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ وَطالِبَ ٱلْباطِلِ مَخْصُومٌ[5] وَإِنْ قُضِيَ لَهُ . وَلَيْسَ لِصاحِبِ ٱلدُّنْيا مِنْ دُنْياهُ شَيْءٌ لا مالٌ

---

١ يهرق ٢ ما تعجبية ٣ يريد السنور ٤ اي ضعف سمعي ٥ مغلوب في الخصام

وَلا صَدِيقٌ سِوَى ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ . فَذُو ٱلْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ ما يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا[1] وَأَنْ يَمْقُتَ بِسَعْيِهِ ما سِوَى ذٰلِكَ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيا . فَإِنَّ مَنْزِلَةَ ٱلْمالِ عِنْدَ ٱلْعاقِلِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَدَرِ[2] وَمَنْزِلَةَ ٱلنَّاسِ عِنْدَهُ فِيما يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَيَكْرَهُ مِنَ ٱلشَّرِّ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلسِّنَّوْرَ لَمْ يَزَلْ يَقُصُّ عَلَيْهِما مِنْ جِنْسِ هٰذا وَأَشْباهِهِ حَتَّى أَنِسا إِلَيْهِ وَأَقْبَلا عَلَيْهِ وَدَنَوا مِنْهُ فَوَثَبَ عَلَيْهِما فَقَتَلَهُما

قالَ ٱلْغُرابُ ثُمَّ إِنَّ ٱلْبُومَ تَجْمَعُ مَعَ ما وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنَ ٱلشُّؤْمِ[3] سائِرَ ٱلْعُيُوبِ فَلا يَكُونَنَّ تَمْلِيكُ ٱلْبُومِ مِنْ رَأْيِكُنَّ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْكَراكِيُّ ذٰلِكَ مِنْ كَلامِ ٱلْغُرابِ أَضْرَبْنَ عَنْ تَمْلِيكِ ٱلْبُومِ * وَكانَ هُناكَ بُومٌ حاضِرٌ قَدْ سَمِعَ ما قالُوا فَقالَ لِلْغُرابِ لَقَدْ وَتَرْتَنِي[4] أَعْظَمَ ٱلتِّرَةِ[5] وَلا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هٰذا * وَبَعْدُ فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْفَأْسَ يُقْطَعُ بِها ٱلشَّجَرُ فَيَعُودُ يَنْبُتُ وَٱلسَّيْفَ يَقْطَعُ ٱللَّحْمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنْدَمِلُ[6] . وَٱللِّسانُ لا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلا تُؤْسَى[7] مَقاطِعُهُ[8] . وَٱلنَّصْلُ[9]

---

١ يوم القيامة ٢ الطين اليابس ٣ خلاف البركة ٤ اصبتني بمكروه
٥ مصدر وتر ٦ يلتحم ٧ تداوى ٨ مواضع قطعه ٩ حديد السهم ونحوه

مِنَ ٱلسَّهْمِ يَغِيبُ فِي ٱللَّحْمِ ثُمَّ يُنْزَعُ فَيَخْرُجُ • وَأَشْبَاهُ ٱلنَّصْلِ مِنَ ٱلْكَلَامِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى ٱلْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرَجْ • وَلِكُلِّ حَرِيقٍ مُطْفِئٌ فَلِلنَّارِ ٱلْمَاءُ وَلِلسُّمِّ ٱلدَّوَاءُ وَلِلْحُزْنِ ٱلصَّبْرُ وَلِلْعِشْقِ ٱلْفُرْقَةُ • وَنَارُ ٱلْحِقْدِ لَا تَخْبُو[1] أَبَدًا • وَقَدْ غَرَسْتُمْ مَعَاشِرَ ٱلْغِرْبَانِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ ٱلْحِقْدِ وَٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ * فَلَمَّا قَضَى ٱلْبُومُ مَقَالَتَهُ وَلَّى مُغْضَبًا فَأَخْبَرَ مَلِكَ ٱلْبُومِ بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ ٱلْغُرَابِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرَابَ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ وَقَالَ وَٱللهِ لَقَدْ خَرِقْتُ[2] فِي قَوْلِيَ ٱلَّذِي جَلَبْتُ بِهِ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي وَلَيْتَنِي لَمْ أُخْبِرِ ٱلْكَرَاكِيَّ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ وَلَمْ أُعْلِمْهَا بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ • وَلَعَلَّ أَكْثَرَ ٱلطَّيْرِ قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ فَمَنَعَهَا مِنَ ٱلْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ ٱتِّقَاءُ[3] مَا لَمْ أَتَّقِ وَٱلنَّظَرُ فِيمَا لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِذَارِ ٱلْعَوَاقِبِ • وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ٱلْكَلَامُ أَفْظَعَ كَلَامٍ يَلْقَى مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ ٱلْمَكْرُوهَ مِمَّا يُورِثُ ٱلْحِقْدَ وَٱلضَّغِينَةَ • فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى أَشْبَاهُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ كَلَامًا وَلٰكِنْ سِهَامًا • وَإِنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلرَّدِيءَ هُوَ ٱلَّذِي يَرْمِي صَاحِبَهُ

---

١ تطفأ ٢ من الخرق وهو عدم احسان التصرف في الامور ٣ توقي

فِي ٱلْحِقْدِ وَٱلْعَدَاوَةِ. وَٱلْعَاقِلُ إِنْ كَانَ وَاثِقاً بِقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلُبَ ٱلْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ ٱتِّكَالاً عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْقُوَّةِ. كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ٱلتِّرْيَاقُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ ٱلسُّمَّ ٱتِّكَالاً عَلَى مَا عِنْدَهُ. وَصَاحِبُ ٱلْعَمَلِ وَإِنْ قَصَّرَ بِهِ ٱلْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلْأَمْرِ كَانَ فَضْلُهُ بَيِّناً وَاضِحاً فِي ٱلْعَاقِبَةِ وَٱلِٱخْتِبَارِ. وَصَاحِبُ حُسْنِ ٱلْقَوْلِ وَإِنْ أَعْجَبَ ٱلنَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلْأُمُورِ لَمْ تُحْمَدْ مَغَبَّةُ[1] أَمْرِهِ. وَأَنَا صَاحِبُ ٱلْقَوْلِ ٱلَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةً. أَوَلَيْسَ مِنْ سَفَهِي[2] ٱجْتِرَائِي عَلَى ٱلتَّكَلُّمِ فِي ٱلْأَمْرِ لَمْ أَسْتَشِرْ فِيهِ أَحَداً وَلَمْ أُعْمِلْ فِيهِ رَأْياً. وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ ٱلنُّصَحَاءَ وَٱلْأَوْلِيَاءَ[3] وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ ٱلنَّظَرِ وَٱلرَّوِيَّةِ[4] لَمْ يَغْتَبِطْ[5] بِمَوَاقِعِ رَأْيِهِ. فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هٰذَا وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ ٱلْهَمِّ * وَعَاتَبَ ٱلْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ

هٰذَا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنَ ٱبْتِدَاءِ ٱلْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ. وَأَمَّا ٱلْقِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ وَكَرَاهَتِي لَهُ. وَلٰكِنْ عِنْدِي مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْحِيلَةِ غَيْرَ ٱلْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ ٱلْفَرَجُ إِنْ

---

١ عاقبة ٢ جهلي ٣ الاصدقآء ٤ اطالة الفكرة ٥ لم يجد نفسهُ سعيدًا

شَاءَ ٱللّٰهُ تَعالَى. فَإِنَّهُ رُبَّ قَوْمٍ قَدِ ٱحْتالُوا بِآرائِهِمْ حَتَّى ظَفِرُوا بِما أَرادُوا. وَمِنْ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱلْجَماعَةِ ٱلَّذِينَ ظَفِرُوا بِٱلنَّاسِكِ وَأَخَذُوا عَرِيضَهُ[1]. قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْغُرابُ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكًا ٱشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ قُرْبانًا. فَٱنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمَكَرَةِ فَٱئْتَمَرُوا[2] بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ ٱلنَّاسِكِ. فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقالَ لَهُ أَيُّها ٱلنَّاسِكُ ما هٰذا ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي مَعَكَ. ثُمَّ عَرَضَ لَهُ ٱلْآخَرُ فَقالَ لِصاحِبِهِ ما هٰذا ناسِكًا لِأَنَّ ٱلنَّاسِكَ لا يَقُودُ كَلْبًا. فَلَمْ يَزالُوا مَعَ ٱلنَّاسِكِ عَلَى هٰذا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي باعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ. فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلْجَماعَةُ ٱلْمُحْتالُونَ وَمَضَوْا بِهِ.

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِما أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ[3] مِنْ حاجَتِنا بِٱلرِّفْقِ وَٱلْحِيلَةِ. وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهادِ وَيَنْتِفَ رِيشِي وَذَنَبِي ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ وَيَرْتَحِلَ ٱلْمَلِكُ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكانِ كَذا. فَإِنِّي أَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطَّلِعُ عَلَى أَحْوالِهِمْ وَمَواضِعِ تَحْصِينِهِمْ

١ العريض ما أتى عليه سنة من المعز ٢ تشاوروا ٣ ننال

وَأَبْوابِهِمْ فَأُخادِعُهُمْ وَآتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجُمَ عَلَيْهِمْ وَنَنالَ مِنْهُمْ غَرَضَنا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعالَى . قالَ ٱلْمَلِكُ أَتَطِيبُ نَفْسُكَ لِذٰلِكَ . قالَ نَعَمْ وَكَيْفَ لا تَطِيبُ نَفْسِي لِذٰلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ ٱلرَّاحاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ . فَفَعَلَ ٱلْمَلِكُ بِٱلْغُرابِ ما ذَكَرَ ثُمَّ ٱرْتَحَلَ عَنْهُ *فَلَمَّا جَنَّ ٱللَّيْلُ أَقْبَلَ مَلِكُ ٱلْبُومِ وَجُنْدُهُ لِيُوقِعَ(١) بِٱلْغِرْبانِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ وَهَمَّ بِٱلِٱنْصِرافِ . فَجَعَلَ ٱلْغُرابُ يَئِنُّ وَيَهْمِسُ(٢) حَتَّى سَمِعَتْهُ ٱلْبُومُ وَرَأَيْنَهُ يَئِنُّ فَأَخْبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذٰلِكَ . فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ ٱلْغِرْبانِ . فَلَمَّا دَنا مِنْهُ أَمَرَ بُوماً أَنْ يَسْأَلَهُ . فَقالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ ٱلْغِرْبانُ . فَقالَ أَمَّا ٱسْمِي فَفُلانٌ . وَأَمَّا ما سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حالِي حالُ مَنْ لا يَعْلَمُ ٱلْأَسْرارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ ٱلْبُومِ هٰذا وَزِيرُ مَلِكِ ٱلْغِرْبانِ وَصاحِبُ رَأْيِهِ فَنَسْأَلُهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ ما صُنِعَ . فَسُئِلَ ٱلْغُرابُ عَنْ أَمْرِهِ . فَقالَ إِنَّ مَلِكَنا ٱسْتَشارَ جَماعَتَنا فِيكُنَّ وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ(٣) . فَقالَ أَيُّها ٱلْغِرْبانُ ما تَرَوْنَ فِي ذٰلِكَ . فَقُلْتُ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لا طاقَةَ لَنا بِقِتالِ ٱلْبُومِ لِأَنَّهُنَّ أَشَدُّ بَطْشاً وَأَحَدُّ قَلْباً مِنَّا وَلٰكِنْ أَرَى أَنْ نَلْتَمِسَ

١ يبطش ٢ يتكلم بصوت خفيٍّ ٣ اي حاضرًا له

ٱلصُّلْحَ ثُمَّ نَبْذُلَ ٱلْفِدْيَةَ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَتِ ٱلْبُومُ ذٰلِكَ مِنَّا وَإِلَّا هَرَبْنَا فِي ٱلْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ ٱلْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ كَانَ خَيْرًا لَهُنَّ وَشَرًّا لَنَا . فَٱلصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْخُصُومَةِ . وَأَمَرْتُهُنَّ بِٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلْحَرْبِ وَضَرَبْتُ لَهُنَّ ٱلْأَمْثَالَ فِي ذٰلِكَ وَقُلْتُ لَهُنَّ إِنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ مِثْلُ ٱلْخُضُوعِ لَهُ . أَلَا تَرَيْنَ إِلَى ٱلْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ ٱلرِّيحِ لِلِينِهِ وَمَيْلِهِ مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ وَٱلشَّجَرُ ٱلْعَاتِي[1] يُكْسَرُ بِهَا وَيُحْطَمُ . فَعَصَيْنَنِي فِي ذٰلِكَ وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ ٱلْقِتَالَ وَٱتَّهَمْنَنِي فِيمَا قُلْتُ وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مَالَأْتَ ٱلْبُومَ[2] عَلَيْنَا . وَرَدَدْنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي وَعَذَّبْنَنِي بِهٰذَا ٱلْعَذَابِ وَتَرَكْنَنِي ٱلْمَلِكُ وَجُنُودُهُ وَٱرْتَحَلَ وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَّ بَعْدَ ذٰلِكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ ٱلْبُومِ مَقَالَةَ ٱلْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وُزَرَائِهِ مَا تَقُولُ فِي ٱلْغُرَابِ وَمَا تَرَى فِيهِ . قَالَ مَا أَرَى إِلَّا ٱلْمُعَاجَلَةَ لَهُ بِٱلْقَتْلِ فَإِنَّ هٰذَا أَفْضَلُ عُدَدِ ٱلْغِرْبَانِ[3] وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ مِنْ مَكْرِهِ وَفَقْدُهُ عَلَى ٱلْغِرْبَانِ شَدِيدٌ . فَإِذَا قُتِلَ ثُلَّ[4] مُلْكُهُمْ وَتَقَوَّضَ[5] . وَمَا أَرَاهُ إِلَّا فَتْحًا[6] قَدْ أَرْسَلَهُ ٱللّٰهُ إِلَيْكَ . وَيُقَالُ

١ المتكبر ٢ اعتصبت معهم ٣ اي ما تعتمدون عليه ٤ هدم ، ٥ نقض وانهد
٦ اي نصرًا وظفرًا

مَنْ ظَفِرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يَنْجَحُ الْعَمَلُ ثُمَّ لَا يُعَاجِلُهُ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَإِنَّ الْأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا . وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ فَأَمْكَنَهُ ذٰلِكَ فَأَغْفَلَهُ[1] فَاتَهُ الْأَمْرُ . وَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لَا تَعُودَ الْفُرْصَةُ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُنْجِزْ[2] قَتْلَهُ نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ * قَالَ الْمَلِكُ لِوَزِيرٍ آخَرَ مَا تَرَى أَنْتَ فِي هٰذَا الْغُرَابِ . قَالَ أَرَى أَنْ لَا تَقْتُلَهُ لِأَنَّهُ قَدْ لَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا تَرَاهُ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا لَكَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ[3] وَمُعِينًا لَكَ عَلَى مَا فِيهِ هَلَاكُهُمْ . وَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤْمَنَ وَلَا سِيَّمَا الْمُسْتَجِيرِ الْخَائِفِ . وَالْعَدُوُّ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْمَنْفَعَةُ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لَهَا أَهْلٌ لِأَنْ يُصْفَحَ عَنْهُ بِسَبَبِهَا . كَالتَّاجِرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَى سَارِقٍ لِاصْطِلَاحِهِ مَعَ امْرَأَتِهِ بِسَبَبِهِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ تَاجِرٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَحْشَةٌ[4] . وَإِنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ بَيْتَ التَّاجِرِ[5] فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ نَائِمًا وَوَجَدَ امْرَأَتَهُ مُسْتَيْقِظَةً

---

١ تركه ٢ اي يعجل ٣ مواضع الخلل منهم ٤ نفار ومقاطعة ٥ وثب على سوره

فَذُعِرَتْ[1] مِنَ ٱلسَّارِقِ وَوَثَبَتْ إِلَى ٱلتَّاجِرِ فَٱلْتَزَمَتْهُ[2] وَأَيْقَظَتْهُ وَلَمْ يَكُنْ يَجْرِي بَيْنَهُمَا كَلَامٌ فَٱسْتَيْقَظَ ٱلتَّاجِرُ وَتَكَالَمَا وَٱنْحَلَّتِ ٱلْوَحْشَةُ مِنْ بَيْنِهِمَا. ثُمَّ بَصُرَ بِٱلسَّارِقِ فَقَالَ أَيُّهَا ٱلسَّارِقُ أَنْتَ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتَ[3] مِنْ مَالِي وَمَتَاعِي وَلَكَ ٱلْفَضْلُ بِمَا أَصْلَحْتَ بَيْنَنَا * قَالَ مَلِكُ ٱلْبُومِ لِوَزِيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ ٱلْغُرَابِ. قَالَ أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ[4] وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ. وَٱلْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا. وَيَرَى ٱشْتِغَالَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بِبَعْضٍ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ وَنَجَاةً كَنَجَاةِ ٱلنَّاسِكِ مِنَ ٱللِّصِّ وَٱلشَّيْطَانِ حِينَ ٱخْتَلَفَا عَلَيْهِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةً حَلُوبَةً فَٱنْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ. فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا وَتَبِعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ وَقَدْ تَزَيَّا لَهُ بِزِيِّ إِنْسَانٍ. فَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لِلِّصِّ مَنْ أَنْتَ. قَالَ أَنَا ٱللِّصُّ أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هٰذِهِ ٱلْبَقَرَةَ مِنَ ٱلنَّاسِكِ إِذَا نَامَ فَمَنْ أَنْتَ. قَالَ أَنَا ٱلشَّيْطَانُ أُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبَ بِهِ. فَٱنْتَهَيَا عَلَى هٰذَا إِلَى ٱلْمَنْزِلِ

[1] خافت [2] تمسكت به [3] اي حلالٌ لك ما اخذته [4] تبقيه حيًا

فَدَخَلَ ٱلنَّاسِكُ مَنْزِلَهُ وَدَخَلا خَلْفَهُ وَأَدْخَلَ ٱلْبَقَرَةَ فَرَبَطَها فِي زاوِيَةِ ٱلْمَنْزِلِ وَتَعَشَّى وَنامَ. فَأَقْبَلَ ٱللِّصُّ وَٱلشَّيْطانُ يَأْتَمِرانِ فِيهِ وَٱخْتَلَفا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلاً. فَقالَ ٱلشَّيْطانُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ ٱلْبَقَرَةِ رُبَّما ٱسْتَيْقَظَ وَصاحَ وَٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ فَلا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ فَأَنْظِرْنِي رَيْثَما[١] آخُذُهُ وَشَأْنَكَ وَما تُرِيدُ. فَأَشْفَقَ[٢] ٱللِّصُّ إِنْ بَدَأَ ٱلشَّيْطانُ بِٱخْتِطافِهِ أَنْ يَسْتَيْقِظَ فَلا يَقْدِرَ عَلَى أَخْذِ ٱلْبَقَرَةِ. فَقالَ لا بَلْ أَنْظِرْنِي[٣] أَنْتَ حَتَّى آخُذَ ٱلْبَقَرَةَ وَشَأْنَكَ وَما تُرِيدُ. قالَ ٱلشَّيْطانُ رُوَيْدًا[٤] حَتَّى يَسْتَغْرِقَ ٱلنَّاسَ فِي ٱلنَّوْمِ فَنَظْفَرَ بِهِما جَمِيعاً. فَلَمْ يَزالا فِي ٱلْمُجادَلَةِ هٰكَذا حَتَّى نادَى ٱللِّصُّ أَيُّها ٱلنَّاسِكُ ٱنْتَبِهْ فَهٰذا ٱلشَّيْطانُ يُرِيدُ ٱخْتِطافَكَ وَنادَى ٱلشَّيْطانُ أَيُّها ٱلنَّاسِكُ ٱنْتَبِهْ فَهٰذا ٱللِّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقَرَتَكَ. فَٱنْتَبَهَ ٱلنَّاسِكُ وَجِيرانُهُ بِأَصْواتِهِما وَهَرَبَ ٱلْخَبِيثانِ.

فَقالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي أَشارَ بِقَتْلِ ٱلْغُرابِ أَظُنُّ أَنَّ ٱلْغُرابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ وَوَقَعَ كَلامُهُ فِي نَفْسِ ٱلْغَبِيِّ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ فَتُرِدْنَ أَنْ تَضَعْنَ ٱلرَّأْيَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ. فَمَهْلاً مَهْلاً

---

١ مهلة ما   ٢ خاف   ٣ امهلني   ٥ مهلاً

أَيُّها ٱلْمَلِكُ عَنْ هٰذا ٱلرَّأْيِ وَلا تَكُونَنَّ لِما تَسْمَعُ أَشَدَّ تَصْدِيقاً مِنْكَ لِما تَرَى كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي كَذَّبَ بِما رَأَى وَصَدَّقَ بِما سَمِعَ وَٱنْخَدَعَ بِٱلْمُحالِ. قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ رَجُلٌ نائِماً وَحْدَهُ إِحْدَى ٱللَّيالِي فِي بَيْتِهِ وَإِذا لُصُوصٌ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ٱلْبَيْتَ وَأَخَذُوا فِي جَمْعِ ما فِيهِ مِنَ ٱلْمَتاعِ حَتَّى أَفْضَوْا[١] إِلَى حَيْثُ هُوَ نائِمٌ. فَٱنْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَخافَ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِمْ حِذارَ أَنْ يَبْطُشُوا بِهِ. وَكانَ لِلْحُجْرَةِ ٱلَّتِي هُوَ فِيها بابٌ آخَرُ إِلَى ٱلطَّرِيقِ. فَقالَ فِي نَفْسِهِ ٱلرَّأْيُ أَنْ لا أُشْعِرَهُمْ بِٱنْتِباهِي وَلا أُذْعِرَهُمْ حَتَّى يَفْرَغُوا مِمَّا يُرِيدُونَ أَخْذَهُ وَيُخْرِجُوهُ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُونَ أَحْتِمالَهُ فَأَخْرُجُ مِنَ ٱلْبابِ ٱلْآخَرِ وَأَدْعُو ٱلْجِيرانَ فَنَفْجَأُهُمْ[٢] وَنُوقِعُ[٣] بِهِمْ. فَلَبِثَ عَلَى فِراشِهِ مُتَناوِماً[٤] حَتَّى فَرَغَ ٱللُّصُوصُ مِمَّا أَرادُوا جَمْعَهُ وَخَرَجُوا يُرِيدُونَ حَمْلَهُ فَهَمَّ ٱلرَّجُلُ بِٱلْقِيامِ فَشَعَرُوا بِحَرَكَةٍ مِنْهُ فَهَمَسَ إِلَيْهِمْ رَئِيسُهُمْ[٥] أَنْ قِفُوا وَلا تَرْتاعُوا وَتَعالَوْا نَحْتَلْ لَهُ بِحِيلَةٍ نَخْدَعُهُ بِها وَلا يَذْهَبُ تَعَبُنا ضَياعاً. وَأَنا ٱلْآنَ رافِعٌ صَوْتِي وَمُخاطِبُكُمْ بِشَيْءٍ فَصَوِّبُوا

١ انتهوا ٢ نبغتهم ٣ نبطش ٤ مظهرًا انه نائم ٥ كلمهم بصوت خفيف

فِيهِ رَأْيِي وَأَجِيبُونِي إِلَيْهِ . قَالُوا نَعَمْ . فَرَفَعَ ٱللِّصُّ صَوْتَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ ٱلرَّجُلُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي أَرَى هٰذِهِ ٱلْأَحْمَالَ ثَقِيلَةً شَاقَّةً[1] وَمَا أَرَى قِيمَتَهَا تَفِي بِحَمْلِهَا[2] وَٱلْمُخَاطَرَةِ فِيهَا . وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ سَيِّءُ ٱلْحَالِ وَقَدْ أَخَذَتْنِي عَلَيْهِ ٱلشَّفَقَةُ وَٱلرَّأْفَةُ وَرَاجَعْتُ رَأْيِي فِيهِ فَرَأَيْتُ أَنْ نَدَعَ لَهُ مَتَاعَهُ فَإِنَّهُ يُحْسَبُ عَلَيْنَا سَرِقَةً وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ يَسْتَحِقُّ ٱلْعَنَاءَ وَلَا لَنَا فِيهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ مَشَاهِيرِ ٱللُّصُوصِ يَقُولُ مَنْ عَفَّ عَنْ مَتَاعِ فَقِيرٍ فَلَمْ يَسْرِقْهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ غَفَرَ لَهُ ذٰلِكَ سَرِقَةَ مِئَةِ غَنِيٍّ * وَإِنَّ أَوْلَى ٱلسَّرِقَةِ وَأَحَلَّهَا سَرِقَةُ ٱلْأَغْنِيَاءِ وَلَا سِيَّمَا ذَوِي ٱلْبُخْلِ وَٱلْحِرْصِ مِنْهُمُ ٱلَّذِينَ مَا بُيُوتُهُمْ وَخَزَائِنُهُمْ إِلَّا مَدَافِنُ لِأَمْوَالٍ حَبَسُوهَا فَلَا ٱنْتَفَعُوا بِهَا وَلَا تَرَكُوهَا لِلنَّاسِ . فَهَلُمَّ بِنَا إِلَى أَحَدِ هٰؤُلَاءِ وَدَعُوا هٰذَا ٱلْحُطَامَ[3] ٱلَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَٱغْتَنِمُوا أَجْرَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ ٱلْمِسْكِينِ . فَقَالُوا كُلُّهُمْ صَدَقْتَ وَأَحْسَنْتَ وَتَظَاهَرُوا أَنَّهُمْ يَفُكُّونَ ٱلْأَحْمَالَ وَخَرَجُوا وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ نَوْمَ ٱلرَّجُلِ . وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ وَثِقَ بِهِ وَٱطْمَأَنَّ

١ صعبة ٢ توازيه ٣ اي الشيء الرثيث

إِلَيْهِ وَٱعْتَقَدَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَسَكَنَ وَنَامَ. وَلَبِثَ ٱللُّصُوصُ حَتَّى أَيْقَنُوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ فَثَارُوا[1] إِلَى ٱلْأَحْمَالِ فَٱحْتَمَلُوهَا وَفَازُوا بِهَا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ إِرَادَةَ أَنْ لَا تَكُونَ كَذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا سَمِعَ * فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلْمَلِكُ إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِٱلْغُرَابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ ٱلْبُومِ وَيُكْرَمَ وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْبُومِ وَفِيهِنَّ ٱلْوَزِيرُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ ٱلْغِرْبَانِ وَإِنَّهُ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ ٱلْأَخْذِ بِثَأْرِي مِنْهُنَّ. وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذٰلِكَ فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا رُمْتُ لِأَنِّي غُرَابٌ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يُحْرِقَهَا فَقَدْ قَرَّبَ لِلّٰهِ أَعْظَمَ ٱلْقُرْبَانِ لَا يَدْعُو عِنْدَ ذٰلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا ٱسْتُجِيبَ لَهُ. فَإِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَأْمُرَنِي فَأُحْرِقَ نَفْسِي وَأَدْعُوَ رَبِّي أَنْ يُحَوِّلَنِي بُومًا فَأَكُونَ أَشَدَّ عَدَاوَةً لِلْغِرْبَانِ وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَيْهِنَّ لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ مَا أَشْبَهَكَ فِي خَيْرِ مَا تُظْهِرُ وَشَرِّ مَا تُضْمِرُ بِٱلْخَمْرَةِ ٱلطَّيِّبَةِ ٱلطَّعْمِ

[1] هبوا ونهضوا

وَٱلرِّيحِ ٱلْمُنْقِعِ [1] فِيها ٱلسُّمُّ. أَرَأَيْتَ لَوْ أَحْرَقْنا جِسْمَكَ بِٱلنَّارِ أَنْ جَوْهَرَكَ وَطَبْعَكَ مُتَغَيِّرٌ. أَوَلَيْسَتْ أَخْلاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُ دُرْتَ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطِينَتِكَ. كَٱلْفَأْرَةِ ٱلَّتِي خُيِّرَتْ فِي ٱلْأَزْواجِ بَيْنَ ٱلشَّمْسِ وَٱلرِّيحِ وَٱلسَّحابِ وَٱلْجَبَلِ فَلَمْ تَزَلْ تَتَخَيَّرُهُمْ [2] حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى أَصْلِها وَتَزَوَّجَتِ ٱلْجُرَذَ. قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ ناسِكٌ مُسْتَجابُ ٱلدَّعْوَةِ. فَبَيْنَما هُوَ ذاتَ يَوْمٍ جالِسٌ عَلَى ساحِلِ ٱلْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَأَةٌ [3] فِي رِجْلِها دِرْصُ [4] فَأْرَةٍ. فَوَقَعَتْ مِنْها عِنْدَ ٱلنَّاسِكِ وَأَدْرَكَتْهُ لَها رَحْمَةٌ فَأَخَذَها وَلَفَّها فِي وَرَقَةٍ وَذَهَبَ بِها إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ خافَ أَنْ تَشُقَّ [5] عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيَتُها فَدَعا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَها جارِيَةً فَتَحَوَّلَتْ جارِيَةً حَسْناءَ. فَٱنْطَلَقَ بِها إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَقالَ لَها هٰذِهِ ٱبْنَتِي فَٱصْنَعِي مَعَها صَنِيعَكِ بِوَلَدِي * فَلَمَّا كَبِرَتْ قالَ لَها ٱلنَّاسِكُ يا بُنَيَّةُ ٱخْتارِي مَنْ أَحْبَبْتِ حَتَّى أُزَوِّجَكِ إِيَّاهُ. فَقالَتْ أَمَا إِذا خَيَّرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتارُ زَوْجاً يَكُونُ أَقْوَى ٱلْأَشْياءِ. فَقالَ ٱلنَّاسِكُ لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ ٱلشَّمْسَ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلشَّمْسِ

---

١ المخبوء ٢ تنتقي منهم ٣ طائر ٤ الدرص ولد الفارة ٥ تصعب

فَقالَ أَيُّها ٱلْخَلْقُ ٱلْعَظِيمُ لِي جارِيَةٌ وَقَدْ طَلَبَتْ زَوْجاً يَكُونُ أَقْوَى ٱلْأَشْيَاءِ فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُها. فَقالَتِ ٱلشَّمْسُ أَنا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي. ٱلسَّحابِ ٱلَّذِي يُغَطِّينِي وَيَرُدُّ حَرَّ شُعاعِي وَيَكْسِفُ أَشِعَّةَ أَنْوارِي. فَذَهَبَ ٱلنَّاسِكُ إِلَى ٱلسَّحابِ فَقالَ لَهُ ما قالَ لِلشَّمْسِ. فَقالَ ٱلسَّحابُ وَأَنا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي فَٱذْهَبْ إِلَى ٱلرِّيحِ ٱلَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ[1] وَتَذْهَبُ بِي شَرْقاً وَغَرْباً. فَجاءَ ٱلنَّاسِكُ إِلَى ٱلرِّيحِ فَقالَ لَها كَقَوْلِهِ لِلسَّحابِ. فَقالَتْ وَأَنا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَهُوَ ٱلْجَبَلُ ٱلَّذِي لا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ. فَمَضَى إِلَى ٱلْجَبَلِ فَقالَ لَهُ ٱلْقَوْلَ فَأَجابَهُ ٱلْجَبَلُ وَقالَ لَهُ أَنا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي. ٱلْجُرَذِ ٱلَّذِي لا أَسْتَطِيعُ ٱلِٱمْتِناعَ مِنْهُ إِذا خَرَقَنِي وَٱتَّخَذَنِي مَسْكَناً. فَٱنْطَلَقَ ٱلنَّاسِكُ* إِلَى ٱلْجُرَذِ فَقالَ لَهُ هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ هٰذِهِ ٱلْجارِيَه. فَقالَ وَكَيْفَ أَتَزَوَّجُها وَمَسْكَنِي ضَيِّقٌ. وَإِنَّما يَتَزَوَّجُ ٱلْجُرَذُ ٱلْفَأْرَةَ. فَدَعا ٱلنَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَها فَأْرَةً كَما كانَتْ وَذٰلِكَ بِرِضَى ٱلْجارِيَةِ. فَأَعادَها ٱللهُ إِلَى عُنْصُرِها[2] ٱلْأَوَّلِ فَٱنْطَلَقَتْ مَعَ ٱلْجُرَذِ

---

١ خلاف تقبل ٢ اصلها

فَهٰذا مَثَلُكَ أَيُّها ٱلْمُخادِعُ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ ٱلْبُومِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْقَوْلِ وَرَفَقَ بِٱلْغُرابِ وَلَمْ يَزْدَدْ لَهُ إِلاَّ إِكْرامًا . حَتَّى إِذا طابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رِيشُهُ وَٱطَّلَعَ عَلَى ما أَرادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ راغَ[1] رَوْغَةً فَأَتَى أَصْحابَهُ بِما رَأَى وَسَمِعَ * فَقالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . قالَ لَهُ أَنا وَٱلْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ فَٱحْتَكِمْ[2] كَيْفَ شِئْتَ . قالَ ٱلْغُرابُ إِنَّ ٱلْبُومَ بِمَكانِ كَذا فِي جَبَلٍ كَثِيرِ ٱلْحَطَبِ . وَفِي ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ ٱلْغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ راعٍ . وَنَحْنُ مُصِيبُونَ[3] هُناكَ نارًا وَنُلْقِيها فِي أَثْقابِ[4] ٱلْبُومِ وَنَقْذِفُ عَلَيْها مِنْ يابِسِ ٱلْحَطَبِ وَنَتَرَوَّحُ عَلَيْها[5] ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنا حَتَّى تَضْطَرِمَ ٱلنَّارُ فِي ٱلْحَطَبِ فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ ٱحْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ ماتَ بِٱلدُّخانِ مَوْضِعَهُ . فَفَعَلَ ٱلْغِرْبانُ ذٰلِكَ فَأَهْلَكْنَ ٱلْبُومَ قاطِبَةً[6] وَرَجَعْنَ إِلَى مَنازِلِهِنَّ سالِماتٍ آمِناتٍ

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ ٱلْغِرْبانِ قالَ لِذٰلِكَ ٱلْغُرابِ كَيْفَ صَبَرْتَ

---

١ مال بحيلة مكرًا وخديعة ٢ احكم بما تريد ٣ واجدون ٤ جمع ثقب وهو الخرق النافذ ٥ نحلب اليها الريح ٦ اي جميعًا

عَلَى صُحْبَةِ ٱلْبُوْمِ وَلا صَبْرَ لِلأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ . قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّ مَا قُلْتَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَكَذٰلِكَ . فَإِنَّهُ يُقَالُ لَذْعُ ٱلنَّارِ أَيْسَرُ عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ وَٱلْإِقَامَةِ مَعَهُمْ . وَلٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَ إِذَا أَتَاهُ ٱلْأَمْرُ ٱلْفَظِيعُ ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِهِ ٱلْجَائِحَةَ[1] عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ[2] مِنْ شِدَّةِ ٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ ٱلْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ ٱلْخَيْرِ . فَلَمْ يَجِدْ لِذٰلِكَ أَلَمًا وَلَمْ تَكْرَهْ نَفْسُهُ ٱلْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ[3] بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ ٱلْبُومِ . قَالَ ٱلْغُرَابُ لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلًا إِلَّا ٱلَّذِي كَانَ يَحُثُّهُنَّ عَلَى قَتْلِي وَكَانَ حَرَّضَهُنَّ عَلَى ذٰلِكَ مِرَارًا فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ رَأْيًا فَلَمْ يَنْظُرْنَ فِي أَمْرِي وَيَذْكُرْنَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ فِي ٱلْغِرْبَانِ وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي ٱلرَّأْيِ . وَلَمْ يَتَخَوَّفْنَ مَكْرِي وَحِيلَتِي وَلَا قَبِلْنَ مِنَ ٱلنَّاصِحِ ٱلشَّفِيقِ وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّمِيمَةِ وَلَا يُطْلِعَ

---

1 الشدة العظيمة تجتاح الناس اي تهلكهم وتستأصلهم 2 خلاف يصبر
3 يعد نعمة سعيدًا

أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ. وَقَدْ قِيلَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ عَدُوِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي ٱلْمَآءِ ٱلَّذِي يَشْرَبُهُ وَيَغْتَسِلُ بِهِ وَٱلْفِرَاشِ ٱلَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَٱلْحُلَّةِ[1] ٱلَّتِي يَلْبَسُهَا وَٱلدَّابَّةِ ٱلَّتِي يَرْكَبُهَا. وَلَا يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا ٱلثِّقَةَ[2] ٱلْأَمِينَ ٱلسَّالِمَ ٱلْبَاطِنِ وَٱلظَّاهِرِ وَيَكُونَ بَعْدَ ذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ. لِأَنَّ عَدُوَّهُ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ ثِقَاتِهِ فَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ لِعَدُوِّهِ صَدِيقًا فَيَصِلُ ٱلْعَدُوُّ إِلَى مُرَادِهِ مِنْهُ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ مَا أَهْلَكَ ٱلْبُومَ فِي نَفْسِي[3] إِلَّا ٱلْبَغْيُ[4] وَضَعْفُ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَمُوَافَقَتُهُ وُزَرَآءَ ٱلسُّوءِ. فَقَالَ ٱلْغُرَابُ صَدَقْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفِرَ أَحَدٌ بِغِنًى وَلَمْ يَطْغَ[5]. وَقَلَّمَا حَرَصَ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلنِّسَآءِ وَلَمْ يَفْتَضِحْ. وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَلَمْ يَمْرَضْ. وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَآءِ ٱلسُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي ٱلْمَهَالِكِ. وَكَانَ يُقَالُ لَا يَطْمَعَنَّ ذُو ٱلْكِبْرِ[6] فِي حُسْنِ ٱلثَّنَآءِ. وَلَا ٱلْخَبُّ[7] فِي حُسْنِ ٱلصَّدِيقِ. وَلَا ٱلسَّيِّئُ ٱلْآدَابِ فِي ٱلشَّرَفِ. وَلَا ٱلشَّحِيحُ فِي ٱلْبِرِّ. وَلَا ٱلْحَرِيصُ فِي قِلَّةِ ٱلذُّنُوبِ.

---

١ الثوب ٢ الموثوق به ٣ اي رايي ٤ الظلم ٥ اي يبطر ٦ الكبرياء
٧ الخدّاع

وَلا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُخْتَالُ[١] ٱلْمُتَهَاوِنُ بِٱلْأُمُورِ ٱلضَّعِيفُ ٱلْوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَصَلاحِ رَعِيَّتِهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَقَدِ ٱحْتَمَلْتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَنُّعِكَ[٢] لِلْبُومِ وَتَضَرُّعِكَ إِلَيْهِنَّ . قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّهُ مَنِ ٱحْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا وَنَحَّى[٣] عَنْ نَفْسِهِ ٱلْأَنَفَةَ[٤] وَٱلْحَمِيَّةَ[٥] وَوَطَّنَهَا[٦] عَلَى ٱلصَّبْرِ حَمِدَ غِبَّ[٧] رَأْيِهِ . وَإِنَّهُ يُقَالُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَدُوَّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَرْجُو هَلاكَهُ وَرَاحَتَهُ مِنْهُ لَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَهُ خَفِيفًا هَيِّنًا . كَمَا صَبَرَ ٱلْأَسْوَدُ[٨] عَلَى حَمْلِ مَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ وَشَبِعَ بِذٰلِكَ وَعَاشَ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ ٱلْحَيَّاتِ كَبِرَ وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ . وَإِنَّهُ ٱنْسَابَ[٩] يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ ٱلضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذٰلِكَ فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ . فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَآبَةِ وَٱلْحُزْنِ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهَا مَالِي أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلْأَسْوَدُ كَئِيبًا

---

١ المتكبر ٢ تكلفك حسن الظاهر ٣ ابعد ٤ عزة النفس ٥ بمعنى الانفة
٦ أي ثبتها ٧ عاقبة ٨ الحية العظيمة ٩ الانسياب سير الحية

حَزِيناً . قالَ ومَنْ أَحرَى[1] بِطُولِ ٱلحزْنِ مِنِّي. وَإِنَّما كانَ أَكثَرُ معيشتي مِمّا كُنتُ أُصيبُ مِنَ ٱلضفـادِعِ. فَٱبتُليتُ بِبَلآءٍ حرُمَتْ عَلَيَّ ٱلضفّـادِعُ مِنْ أَجلِهِ حتَّى إِنِّي إِذا ٱلتَقَيتُ بِبَعْضِها لا أَقْدِرُ عَلَى امساكِهِ * فَٱنطَلَقَ ٱلضِفْدِعُ إِلَى مَلِكِ ٱلضفّادِعِ فَبَشَّرَهُ بِما سَمِعَ مِنَ ٱلْأَسوَدِ. فأَتَى مَلِكُ ٱلضفّادِعِ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ فَقالَ لَهُ كيفَ كانَ أَمْرُكَ. قالَ سَعَيتُ مُنْذُ أَيّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدِعٍ وَذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْمَسآءِ فَٱضْطَرَرْتُهُ إِلَى بَيْتِ ناسِكٍ وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي ٱلظُّلْمةِ وَفِي ٱلْبَيْتِ ٱبْنٌ لِلنّاسِكِ فَأَصَبتُ إِصبَعَهُ فظَنَنْتُ أَنَّها ٱلضِفْدِعُ فَلَدَغتُهُ فَماتَ. فَخَرَجْتُ هارِباً فتَبِعَنِي ٱلنّاسِكُ فِي أَثَرِي وَدَعا عَلَيَّ وَلَعَنَنِي وَقالَ كَما قتَلْتَ ٱبْنِيَ ٱلْبَرِيءَ ظُلْماً وَتعَدِّياً أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَباً لِمَلِكِ ٱلضفّادِعِ فَلا تَسْتَطِيعَ أَخْذَها وَلا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْها إِلَّا ما يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُها. فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا بِذٰلِكَ راضِياً بِهِ * فَرَغِبَ مَلِكُ ٱلضفّادِعِ فِي رُكُوبِ ٱلْأَسْوَدِ وَظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعةٌ فَرَكِبَهُ وَٱستَطابَ ذٰلِكَ. فَقالَ لَهُ ٱلْأَسْوَدُ قَدْ

---

[1] اولى

عَلِمْتَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ أَنِّي مَحْرُومٌ فَٱجْعَلْ لِي رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ . قالَ مَلِكُ ٱلضَّفادِعِ لَعَمْرِي لا بُدَّ لكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ إِذا كُنْتَ مَرْكَبِي فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدِعَيْنِ يُؤْخَذانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُدْفَعانِ إِلَيْهِ . فَعاشَ بِذٰلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ ٱلذَّلِيلِ بَلِ ٱنْتَفَعَ بِذٰلِكَ وَصارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً

وَكَذٰلِكَ كانَ صَبْرِي عَلَى ما صَبَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْتِماسًا لِهٰذا ٱلنَّفْعِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ لَنا فِيهِ ٱلأَمْنُ وَٱلظَّفَرُ وَهَلاكُ ٱلْعَدُوِّ وَٱلرَّاحةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ[1] ٱللِّينِ وَٱلرِّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ ٱسْتِئْصالاً لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ ٱلْمُكابَرَةِ وَٱلْعِنادِ . فَإِنَّ ٱلنَّارَ لا تَزِيدُ بِحِدَّتِها وَحَرِّها إِذا أَصابَتِ ٱلشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ ما فَوْقَ ٱلأَرْضِ مِنْها . وَٱلْماءُ بِلِينِهِ وَبَرْدِهِ يَسْتَأْصِلُ ما تَحْتَ ٱلأَرْضِ مِنْها . وَيُقالُ أَرْبَعةُ أَشْياءَ لا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُها ٱلنَّارُ وَٱلْمَرَضُ وَٱلْعَدُوُّ وَٱلدَّيْنُ * قالَ ٱلْغُرابُ وَكُلُّ ذٰلِكَ كانَ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ[2] وَأَدَبِهِ وَسَعادَةِ جَدِّهِ[3] . وَإِنَّهُ كانَ يُقالُ إِذا طَلَبَ ٱثْنانِ أَمْرًا ظَفِرَ بِهِ مِنْهُما أَفْضَلُهُما مُرُوءَةً . فَإِنِ ٱعْتَدَلا فِي ٱلْمُرُوءَةِ فَأَشَدُّهُما عَزْمًا . فَإِنِ ٱسْتَوَيا فِي ٱلْعَزْمِ

---

١ اي اهلاك ٢ اي رايك ٣ حظه وتوفيقه

فأسعدهما جدًّا * وكان يقال من حارب الملك الحازم الأريب[1] المتضرع[2] الذي لا تبطره السرّاء ولا تدهشه الضرّاء كان هو داعي الحتف[3] إلى نفسه. ولا سيما إذا كان مثلك أيها الملك العالم بفروض الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضى والمعاجلة والأناة[4] الناظر في أمر يومه وغده وعواقب أعماله. قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن[5] طالعك[6] كان ذلك. فإن رأي الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة[7] والعدد والعدة[8] * وإن من عجيب أمرك عندي طول لبثك[9] بين ظهراني[10] البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة. قال الغراب لم أزل متمسكًا بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والمؤاتاة[11] قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل

---

١ العاقل ٢ اي الحسن الاحتيال ٣ الهلاك ٤ التاني ٥ بركة
٦ من اصطلاحات المنجمين والمراد ما يتعلق بالسعد والنحس ٧ الشدة والبطش
٨ المراد عدة الحرب وهي ادواتها ٩ اقامتك ١٠ في وسط ومعظم
١١ الملاينة والموافقة

وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ ٱلْوُزَرَآءِ أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ . فَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَيْنَا بِكَ مِنَّةً عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا نَجِدُ لَذَّةَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَلَا ٱلنَّوْمِ وَلَا ٱلْقَرَارِ . وَكَانَ يُقَالُ لَا يَجِدُ ٱلْمَرِيضُ لَذَّةَ ٱلطَّعَامِ وَٱلنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ . وَلَا ٱلرَّجُلُ ٱلشَّرِهُ ٱلَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ حَتَّى يُنْجِزَهُ لَهُ . وَلَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي قَدْ أَلَحَّ[1] عَلَيْهِ عَدُوُّهُ وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَآءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ قَلْبُهُ . وَمَنْ وَضَعَ ٱلْحِمْلَ ٱلثَّقِيلَ عَنْ يَدِهِ أَرَاحَ نَفْسَهُ وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ ثَلَجَ[2] صَدْرُهُ * قَالَ ٱلْغُرَابُ أَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يُمَتِّعَكَ بِسُلْطَانِكَ وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذٰلِكَ صَلَاحَ رَعِيَّتِكَ وَيُشْرِكَهُمْ فِي قُرَّةِ ٱلْعَيْنِ[3] بِمُلْكِكَ . فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةُ عُيُونِ رَعِيَّتِهِ فَمَثَلُهُ مَثَلُ زَنَمَةِ[4] ٱلْعَنْزِ ٱلَّتِي يَمَصُّهَا ٱلْجَدْيُ وَهُوَ يَحْسَبُهَا حَلَمَةَ ٱلضَّرْعِ[5] فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا

قَالَ ٱلْمَلِكُ أَيُّهَا ٱلْوَزِيرُ ٱلصَّالِحُ كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ ٱلْبُومِ وَمَلِكِهَا فِي حُرُوبِهَا وَفِيمَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا * قَالَ ٱلْغُرَابُ

---

١ اي شدد ٢ اطمان وحقيقتهُ برد ٣ اي السرور ٤ قطعة لحم طويلة تتدلى من عنق العنز ٥ الضرع لذات الظلف كالثدي للمراة

كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطَرٍ وَأَشَرٍ[1] وَخُيَلَاءَ[2] وَعَجْزٍ وَفَخْرٍ مَعَ ما فِيهِ مِنَ ٱلصِّفَاتِ ٱلذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهٌ بِهِ إِلَّا ٱلْوَزِيرَ ٱلَّذِي كانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيماً أَرِيباً فَيْلَسُوفاً حازِماً قَلَّما يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ ٱلْهِمَّةِ وَكَمالِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلرَّأْيِ * قالَ ٱلْمَلِكُ وَأَيُّ خَصْلَةٍ كانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ * قالَ خَلَّتانِ إِحْداهُما رَأْيُهُ فِي قَتْلِي وَٱلْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنِ ٱسْتَثْقَلَها . وَلَمْ يَكُنْ كَلامُهُ كَلامَ عُنْفٍ[3] وَقَسْوَةٍ وَلٰكِنَّهُ كَلامُ رِفْقٍ وَلِينٍ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّما أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عُيُوبِهِ وَلا يُصَرِّحُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ ٱلْأَمْثالَ وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ فَلا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى ٱلْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلاً . وَكانَ مِمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ أَنَّهُ قالَ لا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ لا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ وَلا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْحَزْمِ . فَإِنَّ ٱلْمُلْكَ عَزِيزٌ فَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ فِي قِلَّةِ بَقائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقاءِ ٱلظِّلِّ عَنْ وَرَقِ ٱلنَّيْلُوفَرِ[4] وَهُوَ فِي خِفَّةِ زَوالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبالِهِ وَإِدْبارِهِ كَٱلرِّيحِ وَفِي

---

١ بمعنى بطر ٢ كبرياء ٣ خشونة ٤ ضرب من الرياحين

قِلَّةِ ثَبَاتِهِ كَٱللَّبِيبِ[1] مَعَ ٱللِّئَامِ وَفِي سُرْعَةِ ٱضْمِحْلَالِهِ كَحَبَابِ[2] ٱلْمَآءِ مِنْ وَقْعِ ٱلْمَطَرِ ❊

فَهٰذَا مَثَلُ أَهْلِ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلَّذِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا

بَابُ

ٱلْقِرْدِ وَٱلْغَيْلَمِ[3]

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ طَلَبَ ٱلْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنَ ٱلِٱحْتِفَاظِ بِهَا • وَمَنْ ظَفِرَ بِٱلْحَاجَةِ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيَامَ بِهَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْغَيْلَمَ • قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا كَانَ مَلِكَ ٱلْقِرَدَةِ يُقَالُ لَهُ

---

١ العاقل ٢ نفاخات ٣ ذكر السلحفاة

ماهِرٌ وَكانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شابٌّ مِنْ بَيْتِ
ٱلْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكانَهُ فَخَرَجَ هارِبًا عَلَى وَجْهِهِ
حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ ٱلتِّينِ فَٱرْتَقَى
إِلَيْها وَجَعَلَها مُقامَهُ(١) . فَبَيْنَما هُوَ ذاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذٰلِكَ
ٱلتِّينِ إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي ٱلْماءِ فَسَمِعَ لَها صَوْتًا
وَإِيقاعًا(٢) فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي ٱلْماءِ فَأَطْرَبَهُ ذٰلِكَ فَأَكْثَرَ
مِنْ تَطْرِيحِ ٱلتِّينِ فِي ٱلْماءِ . وَثَمَّ(٣) غَيْلَمٌ كُلَّما وَقَعَتْ تِينَةٌ
أَكَلَها . فَلَمَّا كَثُرَ ذٰلِكَ ظَنَّ أَنَّ ٱلْقِرْدَ إِنَّما يَفْعَلُ ذٰلِكَ
لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَأَلِفَ كُلٌّ واحِدٍ
مِنْهُما صاحِبَهُ . وَطالَتْ غَيْبَةُ ٱلْغَيْلَمِ عَنْ زَوْجَتِهِ فَجَزِعَتْ(٤) عَلَيْهِ
وَشَكَتْ ذٰلِكَ إِلَى جارَةٍ لَها وَقالَتْ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ
عَرَضَ لَهُ عارِضُ سُوءٍ فَٱغْتالَهُ(٥) . فَقالَتْ لَها إِنَّ زَوْجَكِ فِي
ٱلسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ ٱلْقِرْدُ فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشارِبُهُ(٦)
وَهُوَ ٱلَّذِي قَطَعَهُ عَنْكِ وَلا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكِ حَتَّى تَحْتالِي
لِهَلاكِ ٱلْقِرْدِ . قالَتْ وَكَيْفَ أَصْنَعُ . قالَتْ جارَتُها إِذا وَصَلَ

---

١ مكان اقامته ٢ من ايقاع الاصوات في الغناء وهو اتفاقها ٣ هناك
٤ اي قلقت ٥ اهلكه ٦ آكل وشارب معه

إِلَيْكِ فَتَمارَضِي[1] فَإِذا سَأَلَكِ عَنْ حالِكِ فَقُولِي إِنَّ ٱلْأَطِبَّآءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَيْلَمَ ٱنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ ٱلْحالِ مَهْمُومَةً فَقالَ لَها مالِي أَراكِ هٰكَذا • فَأَجابَتْهُ جارَتُها وَقالَتْ إِنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ • وَقَدْ وَصَفَ لَها ٱلْأَطِبَّآءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَها دَوَآءٌ سِواهُ • قالَ ٱلْغَيْلَمُ هٰذا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي ٱلْمَآءِ وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا • ثُمَّ قالَ فِي نَفْسِهِ مالِي قُدْرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ أَغْدُرَ بِخَلِيلِي وَصاحِبِي وَإِثْمُهُ[2] عِنْدِي شَدِيدٌ وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ هَلاكُ زَوْجَتِي لِأَنَّ ٱلزَّوْجَةَ ٱلصَّالِحَةَ لا يَعْدِلُها شَيْءٌ لِأَنَّها عَوْنٌ عَلَى أَمْرِ ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةِ

ثُمَّ عادَ إِلَى ٱلسَّاحِلِ حَزِينًا كَئِيبًا مُفَكِّرًا فِي نَفْسِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ • فَقالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ يا أَخِي ما حَبَسَكَ عَنِّي • قالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ ما حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيائِي فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أُكافِئُكَ عَلَى إِحْسانِكَ إِلَيَّ • وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسانَكَ إِلَيَّ بِزِيارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي فَإِنِّي ساكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ ٱلْفاكِهَةِ • فَارْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ فَإِنَّ أَفْضَلَ ما يَلْتَمِسُهُ ٱلْمَرْءُ مِنْ

---

١ اظهري انك مريضة ٢ ذنبهُ

أَخِلَّائِهِ أَنْ يَغْشَوْا[1] مَنْزِلَهُ وَيَنَالُوا مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَيَعْرِفَهُمْ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ وَجِيرَانُهُ • وَأَنْتَ لَمْ تَطَأْ[2] مَنْزِلِي وَلَمْ تَذُقْ لِي طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَذٰلِكَ مَنْقَصَةٌ وَعَارٌ عَلَيَّ • قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ وَمَا يُرِيدُ ٱلْمَرْءُ مِنْ خَلِيلِهِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلَ لَهُ وُدَّهُ وَيُصْفِيَ لَهُ قَلْبَهُ وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَفُضُولٌ[3] • قَالَ ٱلْغَيْلَمُ نَعَمْ غَيْرَ أَنَّ ٱلِاجْتِمَاعَ عَلَى ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ آكَدُ[4] لِلْمَوَدَّةِ وَٱلْأُنْسِ • لِأَنَّا نَرَى ٱلدَّوَابَّ إِذَا ٱعْتَلَفَتْ مَعًا أَلِفَ بَعْضُهَا بَعْضًا • وَكَانَ يُقَالُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلِجَّ عَلَى إِخْوَانِهِ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ ٱلْعِجْلَ إِذَا أَكْثَرَ مَصَّ ضَرْعِ[5] أُمِّهِ نَطَحَتْهُ • فَرَغِبَ ٱلْقِرْدُ فِي ٱلذَّهَابِ مَعَهُ فَقَالَ حُبًّا وَكَرَامَةً وَنَزَلَ فَرَكِبَ ظَهْرَ ٱلْغَيْلَمِ فَسَبَحَ بِهِ • حَتَّى إِذَا تَجَاوَزَ قَلِيلًا عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ ٱلْغَدْرِ فَنَكَسَ رَأْسَهُ وَوَقَفَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ كَيْفَ أَغْدُرُ بِخَلِيلِي لِكَلِمَةٍ قَالَتْهَا ٱمْرَأَةٌ مِنَ ٱلْجَاهِلَاتِ . وَمَا أَدْرِي لَعَلَّ جَارَتِي قَدْ خَدَعَتْنِي وَكَذَبَتْ بِمَا رَوَتْ عَنِ ٱلْأَطِبَّاءِ • فَإِنَّ ٱلذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِٱلنَّارِ وَٱلرِّجَالَ بِٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ وَٱلدَّوَابَّ بِٱلْحَمْلِ وَٱلْجَرْيِ وَلَا يَقْدِرُ

---

١ اي بزوروا ٢ تلس ٣ زيادة بلا فائدة ٤ تفضيل من أكدهُ بمعنى اوثقهُ اي اشد تأكيدًا ٥ الضرع مرَّ تفسيرهُ قريبًا

أَحَدٌ أَنْ يُجَرِّبَ مَكْرَ ٱلنِّسَاءِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى كَيْدِهِنَّ وَكَثْرَةِ حِيَلِهِنَّ

فَقَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ ٱلْمَرَضِ وَذٰلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلَاطَفَتِكَ . قَالَ ٱلْقِرْدُ إِنَّ ٱلَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَؤُونَةَ ٱلتَّكَلُّفِ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ أَجَلْ[1] . وَمَضَى بِٱلْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ ٱلْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا ٱحْتِبَاسُ ٱلْغَيْلَمِ وَإِبْطَاؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي وَحَالَ[2] عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ ٱلْقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ ٱلْتِمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ وَعِنْدَ ٱلْقِيَامِ وَٱلْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي ٱلْقُلُوبِ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ ٱلصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِٱلْحَزْمِ فِي ٱلتَّحَفُّظِ مِنْهُ وَلْيَتَفَقَّدْ ذٰلِكَ فِي لَحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بِٱلسَّلَامَةِ وَإِنْ كَانَ

١ نعم ٢ بمعنى تغيّر

باطِلًا ظَفِرَ بِٱلْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرُّهُ ذٰلِكَ

ثُمَّ قالَ لِلْغَيْلَمِ ما يَحْبِسُكَ وَمالِي أَراكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى. قالَ يُهِمُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلا تَجِدُ أَمْرِي كَما أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ. قالَ ٱلْقِرْدُ لا تَغْتَمَّ فَإِنَّ ٱلْغَمَّ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. وَلٰكِنِ ٱلْتَمِسْ ما يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْأَغْذِيَةِ. فَإِنَّهُ يُقالُ لِيَبْذُلْ ذَوُو ٱلْمالِ مالَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَواضِعَ. فِي ٱلصَّدَقَةِ وَفِي وَقْتِ ٱلْحاجَةِ وَعَلَى ٱلْبَنِينَ وَعَلَى ٱلْأَزْواجِ. وَلا سِيَّما إِذا كُنَّ صالِحاتٍ. قالَ ٱلْغَيْلَمُ صَدَقْتَ. وَقَدْ قالَتِ ٱلْأَطِبّاءُ إِنَّهُ لا دَواءَ لَها إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ. فَقالَ ٱلْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ وَاسَوْءَتاهْ[1] لَقَدْ أَدْرَكَنِي ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةٍ. وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قالَ يَعِيشُ ٱلْقانِعُ ٱلرّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا وَذُو ٱلْحِرْصِ وَٱلشَّرَهِ يَعِيشُ ما عاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ[2]. وَإِنِّي قَدِ ٱحْتَجْتُ ٱلْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي ٱلْتِماسِ ٱلْمَخْرَجِ مِمّا وَقَعْتُ فِيهِ * ثُمَّ قالَ لِلْغَيْلَمِ وَما مَنَعَكَ أَصْلَحَكَ ٱللهُ أَنْ تُعْلِمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي. فَإِنَّ هٰذِهِ سُنَّةٌ[3]

---

١ السوأة الامر القبيح ٢ بمعنى التعب ٣ طريقة

فينا معاشر القردة[1] إذا خرج أحدنا لزيارة صديق له خلّف[2] قلبه عند أهله أو في موضعه لننظر إذا نظرنا إلى حرم[3] المزور وليس قلوبنا معنا . قال الغيلم وأين قلبك الآن قال خلّفته في الشجرة فإن شئت فارجع بي إلى الشجرة حتى آتيك به . ففرح الغيلم بذلك وقال لقد وافقني صاحبي بدون أن أغدر به . ثم رجع بالقرد إلى مكانه . فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة . فلما أبطأ على الغيلم ناداه يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد حبستني . فقال القرد هيهات أتظن أني كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان . قال الغيلم وكيف كان ذلك

قال القرد زعموا أنه كان أسد في أجمة[4] وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه . فأصاب الأسد جرب وضعف شديدًا وجهد فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك . قال هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء إلا قلب حمار وأذناه .

---

١ جمع قرد ٢ ابقى ٣ اي نساء ٤ شجر كثير ملتف

قالَ ٱبْنُ آوَى ما أَيْسَرَ هٰذا . وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكانِ كَذا حِمارًا مَعَ قَصَّارٍ [١] يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيابَهُ وَأَنا آتِيكَ بِهِ . ثُمَّ دَلَفَ [٢] إِلَى ٱلْحِمارِ فَأَتاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقالَ لَهُ ما لِي أَراكَ مَهْزُولاً . قالَ لِسُوءِ تَدْبِيرِ صاحِبي فَإِنَّهُ لا يَزالُ يُجِيعُ بَطْنِي وَيُثْقِلُ ظَهْرِي . وَما تَجْتَمِعُ هاتانِ ٱلْحالَتانِ عَلَى جِسْمٍ إِلاَّ أَنْحَلَتاهُ [٣] وَأَسْقَمَتاهُ . فَقالَ لَهُ كَيْفَ تَرضَى ٱلْمُقامَ مَعَهُ عَلَى هٰذا . قالَ ما لِي حِيلَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلاَّ أَضَرَّ بِي إِنْسانٌ فَكَدَّنِي وَأَجاعَنِي . قالَ ٱبْنُ آوَى فَأَنا أَدُلُّكَ عَلَى مَكانٍ مَعْزُولٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لا يَمُرُّ بِهِ إِنْسانٌ خَصِيبُ ٱلْمَرْعَى فِيهِ عانَةٌ [٤] مِنَ ٱلْحُمُرِ [٥] تَرْعَى آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً . قالَ ٱلْحِمارُ وَما يَحْبِسُنا عَنْها فَانْطَلِقْ بِنا إِلَيْها . فَٱنْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ ٱلْأَسَدِ وَتَقَدَّمَ ٱبْنُ آوَى وَدَخَلَ ٱلْغابَةَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَأَخْبَرَهُ بِمَكانِ ٱلْحِمارِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَرادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ وَتَخَلَّصَ ٱلْحِمارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلِعًا [٦] عَلَى وَجْهِهِ . فَلَمَّا رَأَى ٱبْنُ آوَى أَنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ٱلْحِمارِ قالَ لَهُ يا سَيِّدَ ٱلسِّباعِ أَعَجَزْتَ

١ مبيض الثياب ٢ تقدم ٣ هزلتاه ٤ جماعة من الحمير ٥ الحمير
٦ خائفا جدا

إِلَى هٰذِهِ ٱلْغَايَةِ . فَقَالَ لَهُ إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُوَ مِنِّي أَبَدًا * فَمَضَى ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمَارِ فَقَالَ لَهُ مَا ٱلَّذِي جَرَى عَلَيْكَ . إِنَّ أَحَدَ ٱلْحُمُرِ رَآكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِّبًا بِكَ وَلَوْ ثَبَتَّ لَآنَسَكَ وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْحِمَارُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَكُنْ رَآى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَ مَا قَالَهُ ٱبْنُ آوَى وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ . فَسَبَقَهُ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْأَسَدِ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ ٱسْتَعِدَّ لَهُ فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلَا يُدْرِكَنَّكَ ٱلضَّعْفُ فِي هٰذِهِ ٱلنَّوْبَةِ[1] فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ لَنْ يَعُودَ مَعِي أَبَدًا وَٱلْفُرَصُ لَا تُصَابُ فِي كُلِّ وَقْتٍ . فَجَاشَ جَأْشُ ٱلْأَسَدِ[2] لِتَحْرِيضِ ٱبْنِ آوَى لَهُ وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْحِمَارِ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ ٱفْتَرَسَهُ بِهَا . ثُمَّ قَالَ قَدْ ذَكَرَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ ٱلِاغْتِسَالِ وَٱلطُّهُورِ . فَٱحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَآكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ وَأَتْرُكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ قُوتًا لَكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ ٱلْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ عَمَدَ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمَارِ فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجَاءَ أَنْ يَتَطَيَّرَ[3] ٱلْأَسَدُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِٱبْنِ آوَى أَيْنَ قَلْبُ ٱلْحِمَارِ وَأُذُنَاهُ .

---

١ المرة ٢ اي هاج ٣ يتشاءم ويعتقد الشر

قال ابنُ آوى ألم تعلمْ أنَّهُ لو كان لهُ قلبٌ يعقِلُ بِهِ وأُذنانِ يسمعُ بِهِما لم يرجِعْ إليكَ بعدَ ما أفلتَ ونجا منَ الهلكةِ وإنَّما ضربتُ لكَ هذا المثلَ لِتعلمَ أنِّي لستُ كذلكَ الحمارِ الَّذي زعمَ ابنُ آوى أنَّهُ لم يكنْ لهُ قلبٌ ولا أُذنانِ. ولكنَّكَ احتلْتَ عليَّ وخدعتَني فخدعتُكَ بِمثلِ خديعتِكَ واستدركتُ[1] فارِطَ أمري[2]. وقد قيلَ إنَّ الَّذي يُفسِدهُ الحِلمُ لا يُصلِحُهُ إلَّا العِلمُ. قال الغيلمُ صدقتَ إلَّا أنَّ الرَّجلَ الصَّالحَ يعترِفُ بزلَّتِهِ وإذا أذنبَ ذنبًا لم يستحيِ أنْ يُؤدَّبَ لِصِدقِهِ في قولِهِ وفعلِهِ. وإنْ وقعَ في ورطةٍ أمكنهُ التَّخلُّصُ منها بحيلتِهِ وعقلِهِ كالرَّجلِ الَّذي يعثُرُ على الأرضِ وعليها يعتمِدُ في نهوضِهِ

فهذا مثلُ الرَّجلِ الَّذي يطلُبُ الحاجةَ فإذا ظفِرَ بها أضاعَها

---

١ تلافيت ٢ اي ما زللت بهِ

بابُ

ٱلنَّاسِكِ وَٱبْنِ عِرْسٍ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجْلانِ[١] فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[٢] وَلا نَظَرٍ فِي ٱلْعَواقِبِ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبِّتًا لَمْ يَزَلْ نادِماً وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى ما صارَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَقَدْ كانَ لَهُ وَدُوداً . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكاً مِنَ ٱلنُّسَّاكِ كانَ بِأَرْضِ جُرْجانَ وَكانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ صالِحَةٌ لَها مَعَهُ صُحْبَةٌ . فَمَكَثا زَماناً لَمْ يُرْزَقا وَلَدًا . ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ ٱلْإِياسِ[٣] فَسُرَّتِ ٱلْمَرْأَةُ وَسُرَّ ٱلنَّاسِكُ بِذٰلِكَ وَحَمِدَ ٱللّٰهَ تَعالَى وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ ٱلْحَمْلُ ذَكَرًا . وَقالَ لِزَوْجَتِهِ أَبْشِرِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلاماً فِيهِ لَنا مَنافِعُ وَقُرَّةُ عَيْنٍ أَخْتارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلْأَسْماءِ وَأُحْضِرُ لَهُ جَمِيعَ ٱلْمُؤَدِّبِينَ . فَقالَتِ ٱلْمَرْأَةُ ما يَحْمِلُكَ أَيُّها

١ العجول ٢ طول فكرة ٣ قطع الامل

الرَّجُلُ عَلَى أَنْ تتَكَلَّمَ بِما لا تَدْرِي أَيَكُونُ أَمْ لا . وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَصابَهُ ما أَصابَ النَّاسِكَ الَّذِي أَهْرَقَ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ . قالَ لَها وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَتْ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكاً كانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تاجِرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ رِزْقٌ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ وَكانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوتَهُ وَحاجَتَهُ وَيَرْفَعُ الْباقِيَ وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُها فِي وَتِدٍ فِي ناحِيَةِ الْبَيْتِ حَتَّى امْتَلَأَتْ . فَبَيْنَما النَّاسِكُ ذاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ وَالْعُكَّازَةُ فِي يَدِهِ وَالْجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ تَفَكَّرَ فِي غَلاءِ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ . فَقالَ سَأَبِيعُ ما فِي هٰذِهِ الْجَرَّةِ بِدِينارٍ وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَ أَعْنُزٍ[1] فَيَحْبَلْنَ وَيَلِدْنَ فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً . وَلا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى تَصِيرَ مَعَزاً كَثِيراً إِذا وَلَدَتْ أَوْلادُها . ثُمَّ حَرَّرَ[2] عَلَى هٰذا النَّحْوِ بِسِنِينَ فَوَجَدَ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ عَنْزٍ . فَقالَ أَنا أَشْتَرِي بِها مِئَةً مِنَ الْبَقَرِ بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنُزٍ ثَوْراً أَوْ بَقَرَةً وَأَشْتَرِي أَرْضاً وَبَذْراً[3] وَأَسْتَأْجِرُ أَكَرَةً[4] وَأَزْرَعُ عَلَى الثِّيرانِ وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبانِ الْإِناثِ وَنِتاجِها فَلا تَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ

---

١ جمع عنز وهي الانثى من الماعز ٢ دقق وصبط ٣ حبا يبذر ٤ حراثون

مِنَ ٱلزَّرْعِ مالاً كَثِيرًا فَأَبْنِي بَيْتًا فاخِرًا وَأَشْتَرِي إِماآءً[١] وَعَبِيدًا وَأَتزَوَّجُ أمْرَأَةً صالِحَةً جَمِيلَةً فَتَحْمِلُ ثُمَّ تأْتِي بِغُلامٍ سَرِيٍّ[٢] نَجِيبٍ[٣] فَأَخْتارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلأَسْمآءِ. فَإِذا تَرَعْرَعَ[٤] أَدَّبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تأْديبَهُ وَأُشَدِّدُ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلعُكّازَةِ وَأَشارَ بِيَدِهِ إِلَى ٱلجَرَّةِ فَكَسَرَها فَسالَ ما فِيها عَلَى وَجْهِهِ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلمَثَلَ لِكَيْ لا تَعْجَلَ بِذِكْرِ ما لا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ وَما لا تَدْرِي أَيَصِحُّ أَمْ لا يَصِحُّ. وَلٰكِنِ ٱدْعُ رَبَّكَ وَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلتَّصاوِيرَ فِي ٱلحائِطِ إِنَّما هِيَ ما دامَ بِناؤُهُ قائِمًا فَإِذا وَقَعَ وَتَهَدَّمَ لَمْ يُقْدَرْ عَلَيْها. فَٱتَّعَظَ ٱلنَّاسِكُ بِما حَكَتْ زَوْجَتُهُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلامًا جَمِيلاً فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ وَبَعْدَ أَيّامٍ حانَ لَها أَنْ تَغْتَسِلَ. فَقالَتِ ٱلمَرْأَةُ لِلنَّاسِكِ ٱقْعُدْ عِنْدَ ٱبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى ٱلحَمّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَعُودَ. ثُمَّ إِنَّها ٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلحَمّامِ وَخَلَّفَتْ زَوْجَها وَٱلغُلامَ. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جاءَ رَسُولُ ٱلمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ٱبْنِهِ غَيْرَ ٱبْنِ عِرْسٍ داجِنٍ[٥] عِنْدَهُ كانَ قَدْ رَبّاهُ صَغِيرًا

---

١ جمع أمة وهي الجارية السوداء ٢ شريف ٣ كريم ٤ نهض ونشا ٥ اليف

فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ. فَتَرَكَهُ ٱلنَّاسِكُ عِنْدَ ٱلصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا ٱلْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ ٱلرَّسُولِ. فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَآءُ فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ٱبْنُ عِرْسٍ فَوَثَبَتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَطَّعَهَا وَٱمْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا * ثُمَّ جَاءَ ٱلنَّاسِكُ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ فَٱلْتَقَاهُ ٱبْنُ عِرْسٍ كَٱلْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَتْلِ ٱلْحَيَّةِ. فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِٱلدَّمِ وَهُوَ مَذْعُورٌ[1] طَارَ عَقْلُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ وَلَمْ يَتَثَبَّتْ[2] فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ[3] فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ ٱلْحَالِ وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ عَجَّلَ عَلَى ٱبْنِ عِرْسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ[4] فَمَاتَ. وَدَخَلَ ٱلنَّاسِكُ فَرَأَى ٱلْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ[5] مُقَطَّعٌ. فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا ٱلْوَلَدَ وَلَمْ أَغْدُرْ هٰذَا ٱلْغَدْرَ * وَدَخَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ فَقَالَتْ لَهُ مَا شَأْنُكَ. فَأَخْبَرَهَا بِٱلْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ. فَقَالَتْ هٰذِهِ ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ لِأَنَّ ٱلْأَمْرَ إِذَا فَرَطَ[6] مِثْلُ ٱلْكَلَامِ إِذَا خَرَجَ وَٱلسَّهْمِ إِذَا مَرَقَ[7]

١ خائف ٢ يتأنَّ ٣ يتفكر ٤ دماغه ٥ حية كبيرة وقد مرّ
٦ اي جرى ٧ نفذ في الرمية

لا مَرَدَّ لَهُ

فَهٰذا مَثَلُ مَنْ لا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَفْعَلُ أَغْراضَهُ بِالسُّرْعةِ

بابُ

ٱلجُرَذِ وَٱلسِّنَّوْرِ(١)

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدآؤُهُ وَأَحْدَقُوا(٢) بِهِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى ٱلْهَلاكِ فَٱلْتَمَسَ ٱلنَّجاةَ وَٱلْمَخْرَجَ بِمُوالاةِ(٣) بَعْضِ أَعْدآئِهِ وَمُصالَحَتِهِ فَسَلِمَ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَأَمِنَ. ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صالَحَهُ مِنْهُمْ. وَأَخْبِرْنِي عَنْ مَوْضِعِ ٱلصُّلْحِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلْعَداوَةَ لا تَثْبُتانِ عَلَى حالَةٍ أَبَدًا. وَرُبَّما حالَتِ(٤) ٱلْمَوَدَّةُ إِلَى ٱلْعَداوَةِ وَصارَتِ ٱلْعَداوَةُ وِلايَةً(٥) وَصَداقَةً. وَلِهٰذا حَوادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجارِبُ. وَذُو ٱلرَّأْيِ

---

١ الفأر ٢ احاطوا ٣ مصادقة ٤ تغيرت ٥ نصرة ومحبة

يُحدِثُ لِكُلِّ ما يَحدُثُ مِنْ ذٰلِكَ رَأْيًا جَدِيدًا . أَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلعَدُوِّ فَبِٱلبَأْسِ[1] . وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلصَّدِيقِ فَبِٱلِاسْتِئْناسِ . وَلا تَمْنَعُ ذا ٱلْعَقْلِ عَداوَةٌ كانَتْ فِي نَفْسِهِ لِعَدُوِّهِ مِنْ مُقارَبَتِهِ وَٱلِاسْتِنْجادِ[2] بِهِ عَلَى دَفْعِ مَرْهُوبٍ أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ . وَمَنْ عَمِلَ فِي ذٰلِكَ بِٱلْحَزْمِ ظَفِرَ بِحاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْجُرَذِ وَٱلسِّنَّوْرِ حِينَ وَقَعا فِي ٱلْوَرْطَةِ فَنَجَوا بِٱصْطِلاحِهِما جَمِيعًا مِنَ ٱلْوَرْطَةِ وَٱلشِّدَّةِ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ بَيْدَبا زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كانَ فِي أَصْلِها جُحْرُ سِنَّوْرٍ يُقالُ لَهُ رُومِيٌّ . وَكانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ جُرَذٍ يُقالُ لَهُ فَرِيدُونُ . وَكانَ ٱلصَّيَّادُونَ كَثِيرًا ما يَتَداوَلُونَ[3] ذٰلِكَ ٱلْمَكانَ يَصِيدُونَ فِيهِ ٱلْوَحْشَ وَٱلطَّيْرَ . فَأَتَى ذاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ فَنَصَبَ حِبالَتَهُ[4] قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ رُومِيٍّ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فِيها . فَخَرَجَ ٱلْجُرَذُ يَدِبُّ وَيَطْلُبُ ما يَأْكُلُ وَهُوَ حَذِرٌ مِنْ رُومِيٍّ . فَبَيْنَما هُوَ يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي ٱلشَّرَكِ فَسُرَّ وَٱسْتَبْشَرَ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ فَرَأَى خَلْفَهُ ٱبْنَ عِرْسٍ يُرِيدُ أَخْذَهُ وَفِي ٱلشَّجَرَةِ بُومًا يُرِيدُ ٱخْتِطافَهُ . فَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَخافَ إِنْ رَجَعَ وَراءَهُ

١ الشدّة ٢ الاستقامة ٣ يأتونهُ مرارًا ٤ شركهُ

أَخَذَهُ ٱبْنُ عِرْسٍ وَإِنْ ذَهَبَ يَمِينًا أَوْ شِمالًا ٱخْتَطَفَهُ ٱلْبُومُ وَإِنْ تَقَدَّمَ أَمامَهُ ٱفْتَرَسَهُ ٱلسِّنَّوْرُ • فَقالَ فِي نَفْسِهِ هٰذا بَلَآءٌ قَدِ ٱكْتَنَفَنِي[1] وَشُرُورٌ تَظاهَرَتْ[2] عَلَيَّ وَمِحَنٌ قَدْ أَحاطَتْ بِي * وَبَعْدَ ذٰلِكَ فَمَعِي عَقْلِي فَلا يُفْزِعُنِي أَمْرِي وَلا يَهُولُنِي[3] شَأْنِي وَلا يَلْحَقُنِي ٱلدَّهَشُ[4] وَلا يَذْهَبُ قَلْبِي شُعاعًا[5] • فَٱلْعاقِلُ لا يَفْرَقُ[6] عِنْدَ سَدادِ[7] رَأْيِهِ وَلا يَعْزُبُ[8] عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حالٍ • وَإِنَّما ٱلْعَقْلُ شَبِيهٌ بِٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي لا يُدْرَكُ غَوْرُهُ[9] • وَلا يَبْلُغُ ٱلْبَلَآءُ مِنْ ذِي ٱلرَّأْيِ مَجْهُودَهُ[10] فَيُهْلِكَهُ • وَتَحَقُّقُ ٱلرَّجاءِ لا يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ فَيَعْمَى[11] عَلَيْهِ أَمْرُهُ • وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هٰذا ٱلْبَلَآءِ مَخْلَصًا إِلَّا مُصالَحَةَ ٱلسِّنَّوْرِ فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ ٱلْبَلَآءِ مِثْلُ ما قَدْ نَزَلَ بِي أَوْ بَعْضُهُ • وَلَعَلَّنا إِنْ سَمِعَ كَلامِي ٱلَّذِي أُكَلِّمُهُ بِهِ وَوَعَى[12] عَنِّي صَحِيحَ خِطابِي وَمَحْضَ[13] صِدْقِي ٱلَّذِي لا خِلافَ فِيهِ وَلا خِداعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ نَخْلُصُ جَمِيعًا

ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ دَنا مِنَ ٱلسِّنَّوْرِ فَقالَ لَهُ كَيْفَ

---

١ احاط بي ٢ تعاونت ٣ بمعنى يفزعني ٤ الحيرة ٥ متفرقًا وقد مرّ ٦ يخاف ٧ إصابة ٨ يبعد ٩ قعرهُ ١٠ اي غايته ١١ يلتبس ١٢ حفظ اي فهم ١٣ خالص

حالُكَ . قالَ لهُ ٱلسِّنَّوْرُ كما تُحِبُّ في ضَنْكٍ[1] وضيقٍ . قالَ وأَنا ٱلْيَوْمَ شَرِيكُكَ فِي ٱلْبَلاءِ . وَلَسْتُ أَرجُو لِنَفْسِي خَلاصاً إِلَّا بِٱلَّذِي أَرجُوْ لَكَ فِيهِ ٱلْخَلاصَ وَكَلامِي هٰذا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلا خَدِيعةٌ . وَٱبْنُ عِرْسٍ ها هُوَ كامِنٌ لِي وَٱلْبُومُ يَرْصُدُنِي وَكِلاهُما لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . وَإِنِّي وَإِيَّاكَ وإِنْ كُنَّا مُخْتَلِفِي ٱلطِّباعِ لٰكِنَّنا مُتَّفِقا ٱلْحالَةِ . وَٱلَّذِينَ حالَتُهُمْ واحِدَةٌ وَطِباعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ تَجْمَعُهُمُ ٱلْحالَةُ وَإِنْ فَرَّقَتْهُمُ ٱلطِّباعُ . فَإِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ ٱلْأَمانَ قَطَّعْتُ حَبائِلَكَ وَخَلَّصْتُكَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ . فَإِنْ كانَ ذٰلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ واحِدٍ مِنّا بِسَبَبِ صاحِبِهِ كَٱلسَّفِينَةِ وَٱلرُّكّابِ فِي ٱلْبَحْرِ فَبِٱلسَّفِينَةِ يَنْجُونَ وَبِهِمْ تَنْجُو ٱلسَّفِينَةُ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلسِّنَّوْرُ كَلامَ ٱلْجُرَذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صادِقٌ قالَ لَهُ إِنَّ قَوْلَكَ هٰذا لَشَبِيهٌ بِٱلْحَقِّ وَأَنا أَيْضاً راغِبٌ فِيما أَرْجُوْ لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ ٱلْخَلاصَ . ثُمَّ إِنِّي إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ سَأَشْكُرُكَ ما بَقِيتُ . قالَ ٱلْجُرَذُ فَإِنِّي سَأَدْنُو مِنْكَ فَأَقْطَعُ ٱلْحَبائِلَ كُلَّها إِلَّا حَبْلًا واحِدًا أُبْقِيهِ لِأَسْتَوْثِقَ لِنَفْسِي مِنْكَ وَأَخَذَ فِي تَقْرِيضِ

---

[1] يعني الضيق

حبائله * ثم إن البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا[1] منه وانصرفا * ثم إن الجرذ أبطأ على روزبه في قطع الحبائل . فقال له مالي لا أراك جادا في قطع حبائلي . فإن كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت[2] في حاجتي فما ذلك من فعل الصالحين فإن الكريم لا يتوانى في حق صاحبه وقد كان لك في سابق مودتي من الفائدة والنفع ما قد رأيت وأنت حقيق[3] أن تكافئني بذلك ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك . فالذي بيني وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك مع ما في الوفاء من الفضل والأجر وما في الغدر من سوء العاقبة . فإن الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود تنسيه الخلة[4] الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد يقال إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر . ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو فلم يرحم ولم يعف فقد غدر * قال الجرذ إن الصديق صديقان طائع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة . فأما الطائع فيسترسل[5] إليه ويؤمن في

---

١ قطعا الامل ٢ فترت وتهاونت ٣ اهل ٤ الخصلة ٥ يطمأن

جَمِيعِ ٱلْأَحْوالِ . وَأَمَّا ٱلْمُضْطَرُّ فَفِي بعضِ ٱلْأَحْوالِ يُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ وَفِي بَعضِها يُحْذَرُ مِنْهُ . وَلا يَزالُ ٱلْعاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حاجاتِهِ[1] لِبَعْضِ ما يَتَّقِي وَيَخافُ . وَلَيْسَ غايَةُ ٱلتَّواصُلِ مِنْ كُلٍّ مِنَ ٱلْمُتَواصِلَيْنِ إِلَّا طَلَبَ عاجِلِ ٱلنَّفْعِ وَبُلُوغِ مَأْمُولِهِ . وَأَنا وافٍ لَكَ بِما وَعَدْتُكَ وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذٰلِكَ مِنْ حَيْثُ أَخافُكَ تَخَوُّفَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ ما أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ إِلَى مُصالَحَتِكَ وَأَلْجَأَكَ إِلَى قَبُولِ ذٰلِكَ مِنِّي فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِيناً . فَما لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي حِينِهِ فَلا حُسْنَ لِعاقِبَتِهِ . وَأَنا قاطِعٌ حَبائِلَكَ كُلَّها غَيْرَ أَنِّي تارِكٌ عُقْدَةً أَرْتَهِنُكَ بِها وَلا أَقْطَعُها إِلَّا فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيها عَنِّي مَشْغُولٌ وَذٰلِكَ عِنْدَ مُعايَنَتِي ٱلصَّيَّادَ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَطْعِ حَبائِلِ ٱلسِّنَّوْرِ . فَبَيْنَما هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ وافَى ٱلصَّيَّادُ . فَقالَ لَهُ ٱلسِّنَّوْرُ ٱلْآنَ جاءَ وَقْتُ ٱلْجِدِّ فِي قَطْعِ حَبائِلِي فَجَهَدَ ٱلْجُرَذُ نَفْسَهُ فِي ٱلْقَرْضِ حَتَّى إِذا فَرَغَ وَثَبَ ٱلسِّنَّوْرُ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ عَلَى دَهَشٍ[2] مِنَ ٱلصَّيَّادِ وَدَخَلَ ٱلْجُرَذُ بَعْضَ ٱلْأَجْحارِ وَجاءَ ٱلصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبائِلَهُ مُقَطَّعَةً ثُمَّ ٱنْصَرَفَ خائِباً

---

١ بأخذها رهناً ٢ حيرة

ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ خَرَجَ بَعْدَ ذٰلِكَ وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ السِّنَّوْرِ. فَنَادَاهُ السِّنَّوْرُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ذُو الْبَلَاءِ(١) الْحَسَنِ عِنْدِي مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيَّ لِأُجَازِيَكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسْدَيْتَ(٢) إِلَيَّ. هَلُمَّ إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي(٣) فَإِنَّهُ مَنِ اتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ إِخَاءَهُ وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِ وَأَيِسَ مِنْ نَفْعِهِ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ. وَإِنَّ يَدَكَ(٤) عِنْدِي لَا تُنْسَى وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذٰلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي وَلَا تَخَافَ مِنِّي شَيْئًا وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قِبَلِي(٥) لَكَ مَبْذُولٌ. ثُمَّ حَلَفَ وَاجْتَهَدَ عَلَى صَدِيقِهِ فِيمَا قَالَ * فَنَادَاهُ الْجُرَذُ رُبَّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعَدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ. وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْهَا وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْكَبُ نَابَ الْفِيلِ الْهَائِجِ ثُمَّ يَغْلِبُهُ النُّعَاسُ فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ(٦) الْفِيلِ فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا لِمَا يُرْجَى مِنْ صِدْقِهِ وَنَفْعِهِ وَسُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا لِمَا يُخَافُ مِنِ اعْتِدَائِهِ وَضَرَرِهِ. وَالْعَاقِلُ إِذَا رَجَا نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ

---

١ الاختبار والامتحان ٢ أحسنت ٣ صداقتي ٤ نعمتك

٥ اي عندي ٦ جمع فرسن وهو للجمل والفيل كالقدم للانسان

وإذا خافَ ضرَّ ٱلصَّدِيقِ أَظهرَ لهُ ٱلْعَداوةَ . أَلا تَرَى تتبُّعَ ٱلْبَهائِمِ أُمَّاتِها رجاءَ أَلْبانِها فإذا ٱنقطعَ ذٰلِكَ ٱنصرفتْ عنها . وَرُبَّما قَطَعَ ٱلصدِيقُ عَنْ صَدِيقِهِ بَعضَ ما كانَ يَصِلُهُ مِنهُ فلَمْ يخَفْ شَرَّهُ لِأَنَّ أَصلَ أَمرِهِ لَمْ يَكُنْ عَداوةً . فَأَمَّا مَنْ كانَ أَصلُ أَمرِهِ عداوةً جوْهرِيَّةً ثُمَّ أَحدثَ صداقةً لِحاجةٍ حملَتْهُ عَلَى ذٰلِكَ فإِنَّهُ إِذا زالَتِ ٱلْحاجةُ ٱلَّتِي حمَلَتْهُ عَلَى ذٰلِكَ زالَتْ صَداقتهُ فَتَحَوَّلَتْ وَصارتْ إِلى أَصْلِ أَمرِهِ . كَٱلماءِ ٱلَّذِي يَسخُنُ بِٱلنَّارِ فإِذا رُفِعَ عَنها عادَ بارِدًا . وَلَيسَ مِنْ أَعدائي عَدُوٌّ أَضَرَّ لِي مِنْكَ وَقدِ ٱضطرَّني وَإِيَّاكَ حاجةٌ إِلَى ما أَحدَثْنا مِنَ ٱلْمُصالحةِ وقَدْ ذَهَبَ ٱلْأَمرُ ٱلَّذِي ٱحْتَجْتَ إِلَيَّ وَٱحتَجْتُ إِلَيْكَ فِيهِ . وَأَخافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهابِهِ عَوْدُ ٱلْعَداوةِ . وَلا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ فِي قُرْبِ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ وَلا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ ٱلْعَدُوِّ ٱلْعَزِيزِ . وَلا أَعْلَمُ لَكَ قِبَلِي حاجةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي . وَلا أَعْلَمُ لِي قِبَلَكَ حاجةً وَلَيْسَ عِندِي بِكَ ثِقةٌ . فإِنِّي قَدْ عَلِمتُ أَنَّ ٱلضَّعِيفَ ٱلْمُحْتَرِسَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ أَقْرَبُ أَلَى ٱلسَّلامةِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ إِذا

أغترّ بالضعيفِ وٱسترسَلَ إِلَيهِ. وٱلعاقِلُ يُصالِحُ عدُوَّهُ إِذا أضطُرَّ إِلَيْهِ ويُصانِعهُ[١] وَيُظْهِرُ لَهُ وُدَّهُ وَيريهِ مِنْ نفسِهِ ٱلاِسترسالَ إِلَيهِ إِذا لَمْ يجِدْ مِنْ ذلِكَ بدًّا ثُمَّ يُعجِّلُ ٱلاِنصِرافَ عَنْهُ حِينَ يجِدُ إِلى ذلِكَ سبيلاً

وَٱعلَمْ أَنَّ سَرِيعَ ٱلاِسترسالِ لا تُقالُ عثْرَتُهُ[٢]. وٱلعاقِلُ يَفِي لِمَنْ صالَحَهُ مِنْ أَعدائِهِ بِما جعلَ لَهُ مِنْ نفسِهِ ولا يَثِقُ بِهِ كُلَّ ٱلثِّقةِ ولا يأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ ٱلقُرْبِ مِنهُ وَيَنْبَغي أَنْ يبْعِدَ عَنْهُ ما ٱستَطاعَ. وأَنا أَوَدُّكَ مِنْ بَعيدٍ وأُحِبُّ لَكَ مِنَ ٱلبَقاءِ وٱلسَّلامةِ ما لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قبلُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تُجازِيَنِي عَلَى صنيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذلِكَ إِذْ لا سَبيلَ إِلى ٱجتماعِنا وٱلسَّلامُ

---

١ يجاسنه ويداريه ٢ لا ينهض منها

بابُ

ٱلْمَلِكِ وَٱلطَّائِرِ فَنْزَة

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ ٱلتِّراتِ[1] ٱلَّذِينَ لا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنِ ٱتِّقاءِ بَعْضٍ

قالَ بَيْدَبا زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ كانَ يُقالُ لَهُ بِرِيدُونُ وَكانَ لَهُ طائِرٌ يُقالُ لَهُ فَنْزَةُ وَكانَ لَهُ فَرْخٌ . وَكانَ هٰذا ٱلطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ وَكانَ ٱلْمَلِكُ بِهِما مُعْجَبًا فَأَمَرَ بِهِما أَنْ يُجْعَلا عِنْدَ ٱمْرَأَتِهِ وَأَمَرَها بِٱلْمُحافَظَةِ عَلَيْهِما . وَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْمَلِكِ كانَتْ حامِلاً فَوَلَدَتْ غُلامًا فَأَلِفَ ٱلْفَرْخُ ٱلْغُلامَ وَكِلاهُما طِفْلانِ يَلْعَبانِ جَمِيعًا . وَكانَ فَنْزَةُ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَيَأْتِي بِفاكِهَةٍ لا تُعْرَفُ فَيُطْعِمُ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ شَطْرَها[2] وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَها . فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِما وَشَبابِهِما وَبانَ عَلَيْهِما أَثَرُهُ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ

---

١ الثارات والعداوات ٢ نصفها

فَٱزْدادَ لِفَنزَةَ إِكْراماً وَتعظيماً وَمحبَّةً . حتَّى اذا كانَ يَوْمٌ مِنَ ٱلأَيّامِ وَفَنْزَةُ غائِبٌ فِي ٱجْتِناءِ ٱلثَّمرةِ وَفَرْخهُ فِي حِجْرِ(١) ٱلغُلامِ حدَثَ مِنَ ٱلفَرْخِ ما أَغضَبَ ٱلغُلامَ فأَخذَهُ فضرَبَ بِهِ ٱلأَرْضَ فماتَ * ثُمَّ إِنَّ فَنْزَةَ أَقبَلَ فَوجَدَ فَرْخَهُ مقتُولاً فصاحَ وَحَزِنَ وَقالَ قُبحاً لِلمُلُوكِ ٱلَّذِينَ لا عَهْدَ لَهُمْ وَلا وَفاءَ . وَيلٌ لِمَنِ ٱبْتُلِيَ بِصحبَةِ ٱلمُلُوكِ ٱلَّذينَ لا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلا حُرْمةَ(٢) وَلا يُحِبُّونَ أَحدًا وَلا يَكرُمُ عَلَيْهِمْ إِلا إِذا طَمِعُوا فِيما عِندَهُ مِنْ غَناءٍ(٣) وَٱحتاجُوا إِلَى ما عِنْدَهُ مِنْ عِلمٍ فيكرِمُونَهُ لِذٰلِكَ . فَإِذا ظَفِرُوا بِحاجتِهِمْ مِنهُ فَلا وُدَّ وَلا إِخاءَ وَلا إِحسانَ وَلا غُفْرانَ ذَنبٍ وَلا معرِفةَ حقٍّ . هُمُ ٱلَّذِينَ أَمرُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى ٱلرِّياءِ وَٱلفُجُورِ وَهُمْ يَستصغِرُونَ ما يَرتكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ ٱلذُّنُوبِ وَيَستعظِمُونَ ٱليَسيرَ إِذا خُولِفَتْ فِيهِ أَهواؤُهُمْ . وَمِنهُمْ هٰذا ٱلكَفُورُ(٤) ٱلَّذِي لا رَحمةَ لَهُ ٱلغادِرُ بِإِلفِهِ وَأَخِيهِ * ثُمَّ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنَقِهِ عَلَى وَجهِ ٱلغُلامِ فَفَقَأَ عَيْنَيْهِ . ثُمَّ طارَ فَوَقَفَ عَلَى شَجَرةٍ عالِيةٍ

وَبَلَغَ ٱلمَلِكَ ذٰلِكَ فَجَزِعَ(٥) أَشَدَّ ٱلجَزَعِ . ثُمَّ طَمِعَ أَنْ

---

١ حضن ٢ عهد ٣ منفعة ٤ الجاحد النعمة ٥ حزن

يَحْتَالَ لَهُ فَيُهْلِكَهُ. فَرَكِبَ مِنْ سَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلطَّائِرِ حَتَّى وَقَفَ قَرِيبًا مِنْهُ وَنَادَاهُ وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ آمِنٌ فَٱنْزِلْ يَا فَنْزَةُ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ ٱلْغَادِرَ مَأْخُوذٌ بِغَدْرِهِ وَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأَهُ[1] عَاجِلُ ٱلْعُقُوبَةِ لَمْ يُخْطِئْهُ ٱلْآجِلُ[2] حَتَّى إِنَّهُ يُدْرِكُ ٱلْأَعْقَابَ[3] وَأَعْقَابَ ٱلْأَعْقَابِ. وَإِنَّ ٱبْنَكَ غَدَرَ بِٱبْنِي فَعَجَّلْتُ لَهُ ٱلْعُقُوبَةَ * قَالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ لَعَمْرِي[4] غَدَرَ ٱبْنِي بِٱبْنِكَ وَقَدْ تَنَاصَفْنَا[5] جَمِيعًا فَلَيْسَ لَكَ قِبَلَنَا[6] وَلَيْسَ لَنَا قِبَلَكَ وِتْرٌ[7] مَطْلُوبٌ فَٱرْجِعْ إِلَيْنَا آمِنًا وَلَا تَخَفْ * قَالَ فَنْزَةُ لَسْتُ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ أَبَدًا فَإِنَّ ذَوِي ٱلرَّأْيِ قَدْ نَهَوْا عَنْ قُرْبِ ٱلْمَوْتُورِ[8]. فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ لُطْفُ ٱلْحَقُودِ وَلِينُهُ وَتَكْرِمَتُهُ إِيَّاكَ إِلَّا وَحْشَةً مِنْهُ وَسُوءَ ظَنٍّ بِهِ. فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ لِلْحَقُودِ ٱلْمَوْتُورِ أَمَانًا هُوَ أَوْثَقُ لَكَ مِنَ ٱلذُّعْرِ[9] مِنْهُ وَلَا أَجْوَدُ مِنَ ٱلْبُعْدِ عَنْهُ وَٱلِٱتِّقَاءُ[10] لَهُ أَوْلَى. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبَوَيْهِ أَصْدِقَاءَ وَٱلْإِخْوَةَ رُفَقَاءَ وَٱلْأَزْوَاجَ أُلَّافًا[11] وَٱلْبَنِينَ ذِكْرًا وَٱلْبَنَاتِ خُصَمَاءَ وَٱلْأَقَارِبَ غُرَمَاءَ[12] وَيَعُدُّ نَفْسَهُ فَرِيدًا وَحِيدًا. وَأَنَا ٱلْفَرِيدُ

---

١ لم يصبه ٢ خلاف العاجل ٣ الخلفاء ٤ قسمًا بعمري ٥ انصف كلٌّ منا الآخر من نفسه ٦ اي عندنا ٧ ثار ٨ من قتل له قتيل ولم يؤخذ بثاره ٩ الخوف ١٠ التوقي ١١ جمع اليف اى خليط وعشير ١٢ نحو خصماء

ٱلْوَحِيدُ ٱلْغَرِيبُ ٱلطَّرِيدُ (١) قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ عِبأً (٢) ثَقِيلًا لا يَحْمِلُهُ مَعِي أَحَدٌ وَأَنا ذاهِبٌ فَعَلَيْكَ مِنِّي ٱلسَّلامُ * قالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدِ ٱجْتَزَيْتَ (٣) مِنَّا فِيما صَنَعْناهُ بِكَ أَوْ كانَ صَنِيعُكَ بِنا مِنْ غَيْرِ ٱبْتِداءٍ مِنَّا بِٱلْغَدْرِ كانَ ٱلْأَمْرُ كَما ذَكَرْتَ. وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ بَدَأْناكَ فَما ذَنْبُكَ وَما ٱلَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ ٱلثِّقَةِ بِنا. هَلُمَّ فَٱرْجِعْ فَإِنَّكَ آمِنٌ * قالَ فَنْزَةُ أَعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَحْقادَ لَها فِي ٱلْقُلُوبِ مَواضِعُ مُمَكَّنَةٌ مُوجِعَةٌ. فَٱلْأَلْسُنُ لا تَصْدُقُ فِي خَبَرِها عَنِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْقَلْبُ أَعْدَلُ شَهادَةً عَلَى ٱللِّسانِ مِنَ ٱللِّسانِ عَلَى ٱلْقَلْبِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَلْبِي لا يَشْهَدُ لِلِسانِكَ بِصِدْقِهِ وَلا قَلْبَكَ لِلِسانِي

قالَ ٱلْمَلِكُ أَلا تَعْلَمُ أَنَّ ٱلضَّغائِنَ (٤) وَٱلْأَحْقادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ ٱلنَّاسِ. فَمَنْ كانَ ذا عَقْلٍ كانَ عَلَى إِماتَةِ ٱلْحِقْدِ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ * قالَ فَنْزَةُ إِنَّ ذٰلِكَ لَكَما ذَكَرْتَ. وَلٰكِنْ لا يَنْبَغِي لِذِي ٱلرَّأْيِ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ٱلْمَوْتُورَ ٱلْحَقُودَ ناسٍ ما وُتِرَ بِهِ أَوْ مَصْرُوفٌ عَنْهُ. وَذُو ٱلرَّأْيِ يَتَخَوَّفُ ٱلْمَكْرَ وَٱلْخَدِيعَةَ وَٱلْحِيَلَ وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْعَدُوِّ لا يُسْتَطاعُ

---

١ المطرود ٢ حملاً ٣ اخذت الجزاء ٤ بمعنى الاحقاد

بِٱلشِّدَّةِ وَٱلْمُكابَرَةِ[1] حَتَّى يُصادَ بِٱلرِّفْقِ وَٱلْمُلايَنَةِ كَما يُصْطادُ ٱلْفِيلُ ٱلْوَحْشِيُّ بِٱلْفِيلِ ٱلدَّاجِنِ[2] * قالَ ٱلْمَلِكُ إِنَّ ٱلْعاقِلَ ٱلْكَرِيمَ لا يَتْرُكُ إِلْفَهُ وَلا يَقْطَعُ إِخْوانَهُ وَلا يُضَيِّعُ ٱلْحِفاظَ[3] وَإِنْ هُوَ خافَ عَلَى نَفْسِهِ. حَتَّى إِنَّ هٰذا ٱلْخُلُقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ ٱلدَّوابِّ مَنْزِلَةً. فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بِٱلْكِلابِ ثُمَّ يَذْبَحُونَها وَيَأْكُلُونَها وَيَرَى ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي قَدْ أَلِفَهُمْ ذٰلِكَ فَيَمْنَعُهُ مِنْ مُفارَقَتِهِمْ أُلْفَتُهُ إِيَّاهُمْ

قالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلْأَحْقادَ مَخُوفَةٌ حَيْثُ كانَتْ وَأَخْوَفُها وَأَشَدُّها ما كانَ فِي أَنْفُسِ ٱلْمُلُوكِ. فَإِنَّ ٱلْمُلُوكَ يَدِينُونَ[4] بِٱلِٱنْتِقامِ وَيَرَوْنَ ٱلدَّرَكَ[5] وَٱلطَّلَبَ بِٱلْوِتْرِ مَكْرُمَةً وَفَخْرًا. وَإِنَّ ٱلْعاقِلَ لا يَغْتَرُّ بِسُكُونِ ٱلْحِقْدِ إِذا سَكَنَ. فَإِنَّما مَثَلُ ٱلْحِقْدِ فِي ٱلْقَلْبِ إِذا لَمْ يَجِدْ مُحَرِّكًا مَثَلُ ٱلْجَمْرِ ٱلْمَكْنُونِ ما لَمْ يَجِدْ حَطَبًا. فَلَيْسَ يَنْفَكُّ ٱلْحِقْدُ مُطَّلِعًا[6] إِلَى ٱلْعِلَلِ[7] كَما تَبْتَغِي ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ. فَإِذا وَجَدَ عِلَّةً ٱسْتَعَرَ[8] ٱسْتِعارَ ٱلنَّارِ فَلا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلامٍ وَلا لِينٌ وَلا رِفْقٌ وَلا خُضُوعٌ وَلا تَضَرُّعٌ وَلا

١ المعاندة والمغالبة ٢ الأليف ٣ المحافظة ٤ من الدين اي يجعلون دينهم الانتقام ٥ الادراك ٦ اي متجهاً ٧ الاسباب ٨ اضطرم

مُصانَعة[١] ولا شيءَ دونَ تلفِ ٱلأنفسِ وذهابِ ٱلأرواحِ. مع أنّهُ ربَّ واترٍ يطمعُ في مراجعةِ ٱلموتورِ لما يرجو أن يقدرَ عليهِ منَ ٱلنفعِ لهُ وٱلدفعِ عنهُ. ولكنّي أنا أضعفُ من أن أقدرَ على شيءٍ يذهبُ بهِ ما في نفسِكَ * وبعدُ فلو كانت نفسُكَ لي على ما تقولُ ما كانَ ذلكَ عنّي مُغنياً[٢] أيضاً ولا أزالُ في خوفٍ ووحشةٍ وسوءِ ظنٍّ ما ٱصطحبنا[٣]. فليسَ ٱلرأيُ بيني وبينكَ إلّا ٱلفراقَ وأنا أقرأُ عليكَ ٱلسلامَ[٤]

قالَ ٱلملكُ لقد علمتُ أنّهُ لا يستطيعُ أحدٌ لأحدٍ ضرًّا ولا نفعاً. وأنّهُ لا شيءَ منَ ٱلأشياءِ صغيرًا ولا كبيرًا يُصيبُ أحدًا إلّا بقضاءٍ وقدرٍ معلومٍ. كما أنَّ خلقَ ما يُخلَقُ وولادةَ ما يولدُ وبقاءَ ما يبقى ليسَ للخلائقِ منهُ شيءٌ. كذلكَ فناءُ ما يفنى وهلاكُ ما يهلكُ. وليسَ لكَ في ٱلذي فعلتَ بٱبني ذنبٌ ولا لٱبني فيما صنعَ بٱبنِكَ ذنبٌ. إنّما كانَ ذلكَ كلُّهُ قدرًا مقدورًا وكلانا لهُ علّةٌ وسببٌ فلا تؤاخذْ بما أتانا بهِ ٱلقدرُ * قالَ فنزةُ إنَّ ٱلقدرَ لكما ذكرتَ.

---

١ مداراة ومداهنة ٢ أي مانعاً ٣ مدة اصطحابنا ٤ ابلغك اياه

لٰكِنْ لا يَمْنَعُ ذٰلِكَ ٱلْحَازِمَ مِنْ تَوَقِّي ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلِاحْتِرَاسِ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ . وَإِلَّا كَانَ ٱلْمَرِيضُ غَيْرَ مُصِيبٍ فِي طَلَبِهِ ٱلطَّبِيبَ وَكَانَ أَهْلُ ٱلْمَصَائِبِ يَتْرُكُونَ ٱلنَّظَرَ فِيمَا فِيهِ ٱلْفَرَجُ لَهُمْ . وَلا يَنْفَعُ ٱلْحَذَرُ وَٱلِاحْتِرَاسُ مَعَ ٱلْقَضَاءِ لٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَجْمَعُ مَعَ ٱلتَّصْدِيقِ بِالْقَدَرِ ٱلْأَخْذَ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْقُوَّةِ لَعَلَّ مَا يَسْتَسْلِمُ(١) إِلَيْهِ لا يَكُونُ مَقْدُورًا عَلَيْهِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ لِأَنَّ ٱبْنَكَ قَتَلَ ٱبْنِي وَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ٱبْنِكَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ بِقَتْلِي وَتَخْتِلَنِي(٢) عَنْ نَفْسِي وَٱلنَّفْسُ تَأْبَى ٱلْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ ٱلْفَاقَةُ(٣) بَلَاءٌ وَٱلْحُزْنُ بَلَاءٌ وَقُرْبُ ٱلْعَدُوِّ بَلَاءٌ وَفِرَاقُ ٱلْأَحِبَّةِ بَلَاءٌ وَٱلسُّقْمُ بَلَاءٌ وَٱلْهَرَمُ(٤) بَلَاءٌ وَرَأْسُ ٱلْبَلَايَا كُلِّهَا ٱلْمَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي نَفْسِ ٱلْمُوجَعِ ٱلْحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا مِمَّا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمَثَلِ ٱلَّذِي عِنْدِي مِنْ ذٰلِكَ وَلا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ . فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي بِٱبْنِكَ وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ٱبْنِكَ بِٱبْنِي إِلَّا أَحْدَثَ ذٰلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا * قَالَ ٱلْمَلِكُ لا خَيْرَ فِي مَنْ لا يَسْتَطِيعُ

---

١ ينقاد ٢ تخدعني ٣ الفقر ٤ الشيخوخة

الإعراض عمّا في نفسه ولا ينساه ويهمله بحيث لا يذكر منه شيئاً ولا يكون له في نفسه موقع * قال فنزة ان الرجل الذي في باطن قدمه قرحة إن هو حرص على المشي لا بدّ أن تنكأ[1] قرحته . والرجل الأرمد العين إذا استقبل بها الريح تعرّض لأن تزداد رمداً . وكذلك الواتر إذا دنا من الموتور فقد عرّض نفسه للهلاك . ولا ينبغي لصاحب الدنيا إلّا توقي المهالك والمتالف[2] وتقدير[3] الأمور وقلّة الاتّكال على الحول[4] والقوة وقلّة الاغترار بمن لا يأمن . فإنه من اتّكل على قوته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد سعى في حتف[5] نفسه . ومن لا يقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمّل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه . ومن لم يقدر لقمته وعظّمها فوق ما يسع فوه فربّما غصّ بها فمات . ومن اغترّ بكلام عدوّه وانخدع له وضيّع الحزم فهو أعدى[6] لنفسه من عدوّه . وليس لأحد النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه ولا ما يصرف عنه . ولكن عليه العمل بالحزم والأخذ بالقوة ومحاسبة

١ تقشر ٢ بمعنى المهالك ٣ قياس ٤ القدرة ٥ هلاك ٦ تفضيل من العداوة

نَفْسِهِ فِي ذٰلِكَ. وَٱلْعاقِلُ لا يَثِقُ بِأَحَدٍ ما ٱسْتَطاعَ وَلا يُقِيمُ عَلَى خَوْفٍ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَبًا. وَأَنا كَثِيرُ ٱلْمَذاهِبِ وَأَرْجُو أَنْ لا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ ما يُغْنِينِي. فَإِنَّ خِلالًا[١] خَمْسًا مَنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَآنَسْنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ وَقَرَّبْنَ لَهُ ٱلْبَعِيدَ وَأَكْسَبْنَهُ ٱلْمَعاشَ وَٱلْإِخْوانَ * أُولاهُنَّ كَفُّ ٱلْأَذَى * وَٱلثَّانِيَةُ حُسْنُ ٱلْأَدَبِ * وَٱلثَّالِثَةُ مُجانَبَةُ ٱلرِّيَبِ[٢] * وَٱلرَّابِعَةُ كَرَمُ ٱلْخُلُقِ * وَٱلْخامِسَةُ ٱلنُّبْلُ[٣] فِي ٱلْعَمَلِ * وَإِذا خافَ ٱلْإِنْسانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طابَتْ نَفْسُهُ عَنِ ٱلْمالِ[٤] وَٱلْأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ وَٱلْوَطَنِ فَإِنَّهُ يَرْجُو ٱلْخَلَفَ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلا يَرْجُو عَنِ ٱلنَّفْسِ خَلَفًا. وَشَرُّ ٱلْمالِ ما لا إِنْفاقَ مِنْهُ. وَشَرُّ ٱلْأَزْواجِ ٱلَّتِي لا تُؤاتِي[٥] بَعْلَها. وَشَرُّ ٱلْوَلَدِ ٱلْعاصِي ٱلْعاقُّ لِوالِدَيْهِ[٦] وَشَرُّ ٱلْإِخْوانِ[٧] ٱلْخاذِلُ[٨] لِأَخِيهِ عِنْدَ ٱلنَّكَباتِ وَٱلشَّدائِدِ وَٱلَّذِي يُحْصِي[٩] ٱلسَّيِّئاتِ وَيَتْرُكُ ٱلْحَسَناتِ. وَشَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِي يَخافُهُ ٱلْبَرِيءُ وَلا يُواظِبُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. وَشَرُّ ٱلْبِلادِ بِلادٌ لا خِصْبَ فِيها وَلا أَمْنَ * وَإِنَّهُ لا

١ اي اموراً ٢ اي الشكوك ونحوها ٣ الذكاء والنجابة ٤ اي تخلى عنه غير آسف ٥ تطاوع وتلاين ٦ الذي لا يفيهما حق التربية ٧ الاصدقاء ٨ الغير الناصر ٩ يعد

أَمْنَ لِي عِنْدَكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ وَلا طُمَأْنِينَةَ لِي فِي جِوارِكَ. ثُمَّ وَدَّعَ ٱلْمَلِكَ وَطارَ.

فَهٰذا مَثَلُ ذَوِي ٱلْأَوْتارِ ٱلَّذِينَ لا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثِقَ بِبَعْضٍ

بابُ
ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي يُراجِعُ مَنْ أَصابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَوْ جَفْوَةٌ(١) مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُراجِعْ مَنْ أَصابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظُلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ لَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِٱلْأُمُورِ. وَلٰكِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حالِ مَنِ ٱبْتُلِيَ بِذٰلِكَ وَيَخْبُرَ(٢) ما عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمَنافِعِ فَإِنْ كانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمانَتِهِ فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ بِٱلْحِرْصِ عَلَى مُراجَعَتِهِ. فَإِنَّ ٱلْمُلْكَ لا يُسْتَطاعُ ضَبْطُهُ إِلَّا

١ خلاف انس ومواصلة ٢ يختبر

مَعَ ذَوِي ٱلرَّأْيِ وهمُ ٱلْوُزَرآءُ وَٱلْأَعوانُ. وَلا يُنْتَفَعُ بِٱلْوُزَرآءِ وَٱلْأَعْوانِ إِلاَّ بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ. وَلا مَوَدَّةَ وَلا نَصِيحَةَ إِلاَّ لِذَوِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَفافِ. وَأَعمالُ ٱلسُّلْطانِ كَثِيرَةٌ وَٱلَّذِينَ يَحْتاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُمَّالِ وَٱلْأَعْوانِ كَثِيرُونَ. وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ ما ذَكَرْتُ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْعَفافِ قَلِيلٌ. فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْبُرَ وُزَرآءَهُ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى ما عِنْدَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَما يَنْطَوِي عَلَيْهِ. فَإِذا ٱسْتَقَرَّ ذٰلِكَ عِنْدَهُ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ما يَصْلُحُ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُدَبِّرَهُ. وَأَنْ لا يُوَجِّهَ إِلَى ٱلْأَعْمالِ إِلاَّ مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمانَتِهِ وَعِفَّتِهِ. ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ إِنْفاذُ[1] مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ عَنْ أَعْمالِهِمْ وَتَفَقُّدِ أُمُورِهِمْ بِٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ حَتَّى لا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسانُ مُحْسِنٍ وَلا إِساءَةُ مُسِيءٍ. فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ تَهاوَنَ ٱلْمُحْسِنُ وَٱجْتَرَأَ ٱلْمُسِيءُ. وَفِي عُرْضِ[2] ذٰلِكَ تَهْلِكُ ٱلرَّعِيَّةُ وَيَفْسُدُ ٱلْمُلْكُ. وَٱلْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ. قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ٱبْنَ آوَى كانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ

---

١ ارسال ٢ جانب

الدِّحالِ[١] وَكانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَناتِ آوَى وَذِئابٍ وَثَعالِبَ وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ ما يَصْنَعْنَ وَلا يُغِيرُ[٢] كَما يُغِرْنَ وَلا يُهْرِيقُ[٣] دَمًا وَلا يَأْكُلُ لَحْمًا وَلا يَظْلِمُ طَرْفَةَ عَيْنٍ * فَخاصَمَهُ تِلْكَ السِّباعُ[٤] وَقُلْنَ نَحْنُ لا نَرَى[٥] سِيرَتَكَ[٦] وَلا رَأْيَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ مَعَ أَنْ تَزَهُّدَكَ لا يُغْنِي[٧] عَنْكَ شَيْئًا . وَأَنْتَ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَأَحَدِنا تَسْعَى مَعَنا وَتَفْعَلُ فِعْلَنا . وَأَيُّ شَيْءٍ يُشْبِهُ كَفَّكَ عَنِ الدِّماءِ وَعَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ * قالَ ابْنُ آوَى إِنَّ صُحْبَتِي إِيَّاكُنَّ لا تُؤَثِّمُنِي[٨] إِذا لَمْ أُؤَثِّمْ نَفْسِي لِأَنَّ الآثامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ الأَماكِنِ وَالأَصْحابِ وَلٰكِنَّها مِنْ قِبَلِ القُلُوبِ وَالأَعْمالِ . وَلَوْ كانَ صاحِبُ المَكانِ الصّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صالِحًا وَصاحِبُ المَكانِ السَّيِّئِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا كانَ حِينَئِذٍ مَنْ قَتَلَ النّاسِكَ فِي مِحْرابِهِ[٩] لَمْ يَأْثَمْ وَمَنِ اسْتَحْياهُ[١٠] فِي مَعْرَكَةِ القِتالِ أَثِمَ . وَإِنِّي إِنَّما صَحِبْتُكُنَّ بِنَفْسِي وَلَمْ أَصْحَبْكُنَّ بِقَلْبِي وَأَعْمالِي لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ الأَعْمالِ فَلَزِمْتُ حالِي . وَإِنَّما صَحِبْتُكُنَّ مَوَدَّةً مِنِّي لَكُنَّ .

---

١ جمع دحل وهو ثقب فمهُ ضيق واسفلهُ متسع ٢ يغزو ٣ يهرق
٤ الحيوانات المفترسة ٥ من الراي اي لانستحسن ٦ اي من تصرفك ٧ اي لا يمنع
٨ تجعلني ذا اثم اي ذنب ٩ مقام الامام في المسجد ١٠ ابقاهُ حيًّا

فَإِنْ كَانَتْ صُحْبَتِي تَضُرُّكُنَّ فَالْأَمَاكِنُ وَالْمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ
وَثَبَتَ ٱبْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ وَٱشْتَهَرَ بِٱلنُّسْكِ وَٱلتَّزَهُّدِ
حَتَّى بَلَغَ ذٰلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا
بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْعَفَافِ وَٱلنَّزَاهَةِ وَٱلزُّهْدِ وَٱلْأَمَانَةِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
يَسْتَدْعِيهِ . فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَآنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ
عَلَى غَرَضِهِ . ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ تَعْلَمُ أَنَّ
عُمَّالِي كَثِيرٌ وَأَعْوَانِي جَمٌّ[1] غَفِيرٌ[2] وَأَنَا مَعَ ذٰلِكَ إِلَى
ٱلْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ .
وَقَدِ ٱخْتَبَرْتُكَ فَوَجَدْتُكَ كَذٰلِكَ فَٱزْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً . وَأَنَا
مُوَلِّيكَ مِنْ عَمَلِي جَسِيمًا[3] وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ وَجَاعِلُكَ
مِنْ خَاصَّتِي * قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنَّ ٱلْمُلُوكَ أَحِقَّاءُ[4] بِٱخْتِيَارِ
ٱلْأَعْوَانِ فِيمَا يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ مِمَّنْ لَهُمُ
ٱلْخِبْرَةُ بِذٰلِكَ . وَهُمْ أَحْرَى[5] أَنْ لَا يُكْرِهُوا[6] عَلَى ذٰلِكَ أَحَدًا
فَإِنَّ ٱلْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْمُبَالَغَةَ فِي ٱلْعَمَلِ . وَإِنِّي لِعَمَلِ
ٱلسُّلْطَانِ كَارِهٌ وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ وَلَا بِٱلسُّلْطَانِ رِفْقٌ[7] . وَأَنْتَ

---

١ جميع ٢ كثير ٣ عظيما ٤ جمع حقيق بمعنى اهل ٥ اولى
٦ يجبروا ٧ حسن تصرف

مَلِكُ ٱلسِّبَاعِ وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ ٱلْوُحُوشِ عَدَدٌ كَثِيرٌ فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلٍ وَقُوَّةٍ وَلَهُمْ عَلَى ٱلْعَمَلِ حِرْصٌ وَعِنْدَهُمْ بِهِ وَبِٱلسُّلْطَانِ رِفْقٌ. فَإِنِ ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ[1] وَٱغْتَبَطُوا[2] لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ * قَالَ ٱلْأَسَدُ دَعْ عَنْكَ هٰذَا فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ ٱلْعَمَلِ * قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنَّمَا يُقْدِمُ عَلَى خِدْمَةِ ٱلسُّلْطَانِ غَيْرَ هَائِبٍ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا. إِمَّا مُصَانِعٌ[3] يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ. وَإِمَّا هَيِّنٌ[4] لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ. وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ ٱلسُّلْطَانَ بِٱلصِّدْقِ وَٱلْعَفَافِ غَيْرَ خَالِطٍ ذٰلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ فَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذٰلِكَ. لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ ٱلسُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْحَسَدِ. أَمَّا ٱلصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ[5] فِي مَنْزِلَتِهِ وَيَبْغِي عَلَيْهِ[6] فِيهَا وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا وَيَشِي[7] عَلَيْهِ كَذِبًا. فَإِذَا لَقِيَتِ ٱلْوِشَايَةُ أُذُنًا وَاعِيَةً[8] مِنَ ٱلْمَلِكِ كَانَ فِي ذٰلِكَ هَلَاكُهُ. وَأَمَّا عَدُوُّ ٱلسُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ[9] عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ فَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ[10] وَيَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ[11]. فَإِذَا ٱجْتَمَعَ

---

١ اسد نفعوك ٢ عدّوا انفسهم سعداء ٣ مداهن مدلس ٤ من الهوان
٥ يغالبه في ان يكون انفس منه ٦ يظلمه ٧ من الوشاية وهي الافساد
٨ اي قابلة لما تسمع ٩ يحقد ١٠ يسعى فيه ١١ ينتظر به حوادث الدهر ليتمكن منه

عَلَيْهِ هٰذَانِ ٱلصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ
قَالَ ٱلْأَسَدُ لَا يَكُونَنَّ بَغْيُ أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ وَعَدَاوَةُ أَعْدَائِي لَكَ مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ[1] فَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا أَكْفِيكَ ذٰلِكَ[2] وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ * قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنْ كَانَ ٱلْمَلِكُ يُرِيدُ ٱلْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَلْيَدَعْنِي فِي هٰذِهِ ٱلْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِنًا قَلِيلَ ٱلْهَمِّ رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ ٱلْمَاءِ وَٱلْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ ٱلسُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمْرِهِ وَأَنَّهُ يَتَّصِلُ إِلَيْهِ ٱلنَّفْعُ سَاعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ هُوَ فِي ٱلْخَوْفِ سَرْمَدًا[3] . وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ[4] * قَالَ ٱلْأَسَدُ قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ . وَلَسْتُ أَجِدُ بُدًّا مِنَ ٱلْاِسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي * قَالَ ٱبْنُ آوَى أَمَّا إِذَا أَبَى[5] ٱلْمَلِكُ إِلَّا ذٰلِكَ فَلْيَجْعَلِ ٱلْمَلِكُ لِي عَهْدًا إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مَخَافَةً عَلَى مَنْزِلَتِهِ أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنَازِعَنِي

١ اي يخطر في بالك ٢ اي ادفعه عنك ٣ ابدًا ٤ تعب ٥ لم يرد

عَلَى مَنْزِلَتِي . فَذَكَرَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْرِيشَ[١] ٱلْمَلِكِ عَلَيَّ . أَنْ لَا يَعْجَلَ فِي أَمْرِي وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَفْحَصَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذٰلِكَ أَعَنْتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يَجِبُ إِطَاعَةً لَهُ وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي[٢] بِنَصِيحَةٍ وَٱجْتِهَادٍ وَحَرَصْتُ عَلَى أَنْ لَا أَجْعَلَ لَهُ عَلَى نَفْسِي سَبِيلًا[٣] * قَالَ ٱلْأَسَدُ لَكَ عَلَيَّ ذٰلِكَ وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ وَلَّاهُ خَزَائِنَهُ[٤] وَٱخْتَصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ ٱلْأَسَدِ ذٰلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ[٥] وَٱتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يُحَرِّشُوا عَلَيْهِ ٱلْأَسَدَ * وَكَانَ ٱلْأَسَدُ قَدِ ٱسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ[٦] مِنْهُ مِقْدَارًا وَأَمَرَ ٱبْنَ آوَى بِٱلِٱحْتِفَاظِ بِهِ وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعِ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ[٧] لِيُعَادَ عَلَيْهِ . فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِ ٱبْنِ آوَى فَخَبَأُوهُ فِيهِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ . ثُمَّ حَضَرُوا يُكَذِّبُونَهُ إِذَا جَرَتْ فِي ذٰلِكَ حَالٌ . فَلَمَّا كَانَ

---

١ تهييج ٢ خولني واعطاني ٣ اسبب وجهاً للوم ٤ جعل له عليه الولاية والسلطة ٥ اجتمعوا عليه ٦ نحى ٦ يعنى احصن

مِنَ ٱلْغَدِ دعا ٱلْأَسَدُ بِغداَئِهِ ففقَدَ ذٰلِكَ ٱللَّحْمَ وَٱلتَّمْشة فلَمْ يَجِدْهُ • وَٱبْنُ آوى لَمْ يَشْعُرْ بِما صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ ٱلْمَكِيدَةِ وَهُوَ غائِبٌ فِي خِدْمَةِ ٱلْأَسَدِ وَأَشْغالِهِ • فَحَضَرَ ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلْمَكِيدَةَ وَقَعَدُوا فِي ٱلْمَجْلِسِ • ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ ٱللَّحْمِ وَشَدَّدَ فِيهِ وَفِي ٱلسُّؤَالِ عَنْهُ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ • فَقالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ ٱلْمُخْبِرِ ٱلنَّاصِحِ إِنَّهُ لا بُدَّ لَنا أَنْ نُخْبِرَ ٱلْمَلِكَ بِما يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ وَإِنْ شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ * وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ ٱبْنَ آوى هُوَ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِٱللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَأْكُلَهُ دُونَ ٱلْمَلِكِ * قالَ ٱلْآخَرُ ما أَراهُ يَفْعَلُ هٰذا • وَلٰكِنِ ٱنْظُرُوا وَٱفْحَصُوا فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ٱلْخَلائِقِ[1] شَدِيدَةٌ * فَقالَ ٱلْآخَرُ لَعَمْرِي ما تَلْبَثُ ٱلسَّرائِرُ أَنْ تُعْرَفَ • وَأَظُنُّكُمْ إِنْ فَحَصْتُمْ عَنْ هٰذا وَجَدْتُمُ ٱللَّحْمَ فِي بَيْتِ ٱبْنِ آوى • وَكُلُّ شَيْءٍ يُذْكَرُ مِنْ عُيُوبِهِ وَخِيانَتِهِ نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ[2] * قالَ ٱلْآخَرُ لَئِنْ وَجَدْنا هٰذا حَقًّا لَمْ تَكُنْ[3] بِٱلْخِيانَةِ فَقَطْ وَلٰكِنْ مَعَ ٱلْخِيانَةِ كُفْرُ[4] ٱلنِّعْمَةِ وَٱلْجَراءَةُ عَلَى ٱلْمَلِكِ * قالَ ٱلْآخَرُ أَنْتُمْ

---

١ خلائق الله ٢ نأتي بما يكون مصداقًا له اي شاهدًا على صدقهِ ٣ اي هذه الفعلة ٤ انكار وجحد

أَهْلَ ٱلْفَضْلِ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَذِّبَكُمْ . وَلَكِنْ سَيَبِينُ هٰذا لَوْ أَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مَنْ يُفَتِّشُهُ * قالَ ٱلْآخَرُ إِنْ كانَ ٱلْمَلِكُ مُفَتِّشاً مَنْزِلَهُ فَلْيَعْجَلْ فَإِنْ عُيُونَهُ[1] وَجَواسِيسَهُ مَبْثُوثَةٌ[2] بِكُلِّ مَكانٍ * وَلَمْ يَزالُوا فِي هٰذا ٱلْكَلامِ وَأَشْباهِهِ حَتَّى وَقَعَ[3] فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ ذٰلِكَ . فَأَمَرَ بِٱبْنِ آوَى فَحَضَرَ

فَقالَ لَهُ أَيْنَ ٱللَّحْمُ ٱلَّذِي أَمَرْتُكَ بِٱلِاحْتِفاظِ بِهِ . قالَ دَفَعْتُهُ[4] إِلَى صاحِبِ ٱلطَّعامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ . فَدَعا ٱلْأَسَدُ بِصاحِبِ ٱلطَّعامِ وَكانَ مِمَّنْ شايَعَ وَبايَعَ[5] مَعَ ٱلْقَوْمِ عَلَى ٱبْنِ آوَى فَقالَ ما دَفَعَ إِلَيَّ شَيْئاً . فَأَرْسَلَ ٱلْأَسَدُ أَمِيناً إِلَى بَيْتِ ٱبْنِ آوَى لِيُفَتِّشَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ذٰلِكَ ٱللَّحْمَ فَأَتَى بِهِ ٱلْأَسَدَ . فَدَنا مِنَ ٱلْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَكانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْعُدُولِ[6] ٱلَّذِينَ لا يَتَكَلَّمُونَ فِيما لا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ . فَقالَ بَعْدَ[7] أَنِ ٱطَّلَعَ ٱلْمَلِكُ عَلَى خِيانَةِ ٱبْنِ آوَى لا يَعْفُوَنَّ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنْ عَفا عَنْهُ لَمْ يَطَّلِعِ ٱلْمَلِكُ بَعْدَها عَلَى خِيانَةِ خائِنٍ وَلا ذَنْبِ مُذْنِبٍ .

١ بمعنى الجواسيس ٢ منتشرة ٣ اثر ٤ اي اعطيته ٥ اي تعصب
٦ جمع عدل بمعنى عادل ٧ هي وما بعدها مفعول قال

فَأَمَرَ ٱلْأَسَدُ بِٱبْنِ آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَإِنْ لَمْ يُحْتَفَظْ بِهِ(١). فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ ٱلْمَلِكِ إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِٱلْأُمُورِ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرُ هٰذَا وَلَمْ يَعْرِفْ خِبَّهُ(٢) وَمُخَادَعَتَهُ. وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْفَحُ عَنْهُ بَعْدَ ٱلَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ. فَأَرْسَلَ ٱلْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى ٱبْنِ آوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ ٱلْعُذْرَ عَنْ أَمْرِهِ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ ٱلرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ ٱخْتَلَقَهَا(٣). فَغَضِبَ ٱلْأَسَدُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَمَرَ بِٱبْنِ آوَى أَنْ يُقْتَلَ * فَعَلِمَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجِلَ فِي أَمْرِهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى ٱلَّذِينَ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُرْجِئُوهُ(٤). وَدَخَلَتْ عَلَى ٱبْنِهَا فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ بِأَيِّ ذَنْبٍ أَمَرْتَ بِقَتْلِ ٱبْنِ آوَى فَأَخْبَرَهَا بِٱلْأَمْرِ. فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ عَجِلْتَ وَإِنَّمَا يَسْلَمُ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّدَامَةِ بِتَرْكِ ٱلْعَجَلَةِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ. وَٱلْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمَرَةَ ٱلنَّدَامَةِ بِسَبَبِ ضَعْفِ ٱلرَّأْيِ. وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي أُمُورِهِ نَظَرَ مُفَكِّرٍ كَانَ نَظَرُهُ كَنَظَرِ ٱلَّذِي يَكُونُ بِعَيْنَيْهِ سَبَلٌ(٥) فَيُخَيَّلُ لَهُ(٦) أَنَّ أَمَامَهُمَا كَهَيْئَةِ شَعْرَةٍ. وَكَانَ كَٱلرَّجُلِ ٱلْجَاهِلِ

١ اي يجعل تحت الحفظ ٢ يعني الخداع ٣ صنعها ٤ يؤخروه
٥ شبه غشاوة تعرض للعين ٦ يتوهم

الَّذِي يَسمَعُ صَوتَ البَعُوضَةِ فِي اللَّيلِ فَيظُنُّها لِشِدَّةِ صَوتِها شَيئًا فَإِذا وَصَلَت إِلَيهِ عَلِمَ أَنَّها لَيسَت بِشَيْءٍ. وَلَيسَ أَحَدٌ أَحوَجَ إِلَى التُّؤَدَةِ[1] وَالتَّثَبُّتِ مِنَ المُلُوكِ. فَإِنَّ المَرأَةَ بِزَوجِها وَالوَلَدَ بِوالِدَيهِ وَالمُتَعَلِّمَ بِالمُعَلِّمِ وَالجُندَ بِالقائِدِ وَالنَّاسِكَ بِالدِّينِ وَالعامَّةَ بِالمُلُوكِ وَالمُلُوكَ بِالتَّقوَى وَالتَّقوَى بِالعَقلِ وَالعَقلَ بِالتَّثَبُّتِ وَالأَناةِ[2]. وَرَأسُ الحَزمِ لِلمَلِكِ مَعرِفَةُ أَصحابِهِ وَإِنزالُهُم مَنازِلَهُم عَلَى طَبَقاتِهِم وَاتِّهامُهُ بَعضَهُم[3] عَلَى بَعضٍ فَإِنَّهُ لَو وَجَدَ بَعضُهُم إِلَى هَلاكِ بَعضٍ سَبِيلاً لَفَعَلَ

وَقَد جَرَّبتَ ابنَ آوَى وَبَلَوتَ[4] رَأيَهُ وَأَمانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ ثُمَّ لَم تَزَل مادِحًا لَهُ راضِيًا عَنهُ. وَقَد اتَّهَمتَهُ بِشَيْءٍ لا صِحَّةَ لَهُ وَلا تَعلَمُ صِدقَهُ مِن كَذِبِهِ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ عَمَلُ أَهلِ الكَذِبِ وَالحَسَدِ وَالخِيانَةِ مِن وُزَرائِكَ. لِأَنَّ المَلِكَ إِذا تَهاوَنَ فِي أَمرِ وُزَرائِهِ وَتَغافَلَ عَنهُم دَخَلَ عَلَيهِ فِي ذٰلِكَ ما تُكرَهُ عاقِبَتُهُ. وَالمَلِكُ أَخبَرُ مِن طَرِيقِ العَقلِ أَنَّ الأَشرارَ يَحسُدُونَ الأَخيارَ وَيَرقُبُونَهُم لِيُوقِعُوا بِهِم. وَلَيسَ يَنبَغِي لِلمَلِكِ

---

١ التأني ٢ التاني ايضاً ٣ اي شكه بهم ٤ اختبرت

أَنْ يَسْتَخْبِنَهُ بَعْدَ ٱرْتِضائِهِ إِيَّاهُ وَٱئْتِمانِهِ لَهُ . وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى ٱلْآنَ لَمْ يَطَّلِعْ لَهُ عَلَى خِيانَةٍ إِلَّا عَلَى ٱلْعِفَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ وَما كانَ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طابَقِ[1] لَحْمٍ . وَأَنْتَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حالِ ٱبْنِ آوَى . وَلْتَعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّضُ لِلَّحْمِ وَلا يَأْكُلُهُ فَكَيْفَ لِلَحْمٍ ٱسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ . وَلَعَلَّ ٱلْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذٰلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ٱبْنَ آوَى لَهُ خُصَماءُ هُمُ ٱلَّذِينَ ٱئْتَمَرُوا بِهٰذا ٱلْأَمْرِ وَهُمُ ٱلَّذِينَ ذَهَبُوا بِٱللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ . فَإِنَّ ٱلْحِدَأَةَ إِذا كانَ فِي رِجْلِها قِطْعَةُ لَحْمٍ ٱجْتَمَعَ عَلَيْها سائِرُ ٱلطَّيْرِ . وَٱلْكَلْبَ إِذا كانَ مَعَهُ عَظْمٌ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ٱلْكِلابُ . وَٱبْنُ آوَى مُنْذُ كانَ إِلَى ٱلْيَوْمِ نافِعٌ وَكانَ مُحْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنْفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ وَلِكُلِّ عَناءٍ[2] يَكُونُ لَكَ فِيهِ راحَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا

فَبَيْنَما أُمُّ ٱلْأَسَدِ تَقُصُّ عَلَيْهِ هٰذِهِ ٱلْمَقالَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ ثِقاتِهِ فَأَخْبَرَهُ بِبَراءَةِ ٱبْنِ آوَى . فَقالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنَّ ٱلْمَلِكَ بَعْدَ أَنِ ٱطَّلَعَ عَلَى بَراءَةِ ٱبْنِ آوَى حَقِيقٌ أَنْ لا

---

١ وعاء بطبخ به ٢ تعب

يَتَساهَلَ مع مَنْ سَعَى بِهِ[1] لِئَلَّا يَتَجَرَّأُوا عَلَى ما هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. وَلٰكِنْ يُعاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْ لا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ. وَلا تَحْتَقِرْ ما فَعَلُوا مَعَكَ فَإِنَّ ٱلْعُشْبَ وَإِنْ كانَ لا قُوَّةَ لَهُ يُصْنَعُ مِنْهُ ٱلْحَبْلُ ٱلَّذِي يُوثَقُ[2] بِهِ ٱلْفِيلُ. فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْعاقِلِ أَنْ يُراجِعَ[3] فِي أَمْرِ ٱلْكَفُورِ لِلْحُسْنَى وَٱلْجَرِيءِ عَلَى ٱلْغَدْرِ وَٱلزَّاهِدِ فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلَّذِي لا يُوقِنُ بِٱلْآخِرَةِ وَيَنْبَغِي أَنَّهُ يُجْزَى بِعَمَلِهِ. وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ ٱلْغَضَبِ وَفَرَطَ[4] ٱلْهَفْوَةِ وَمَنْ سَخِطَ بِٱلْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضاهُ بِٱلْكَثِيرِ. وَٱلْأَوْلَى لَكَ أَنْ تُراجِعَ ٱبْنَ آوَى وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ وَلا يُؤْيِسَنَّكَ[5] مِنْ مُناصَحَتِهِ ما فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْإِساءَةِ. فَإِنَّ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حالٍ مِنَ ٱلْأَحْوالِ وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِٱلصَّلاحِ وَٱلْكَرَمِ وَحُسْنِ ٱلْعَهْدِ وَٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفاءِ وَٱلْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَٱلسَّلامَةِ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلْبُعْدِ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلِٱحْتِمالِ لِلْإِخْوانِ وَٱلْأَصْحابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمُ ٱلْمَؤُونَةُ[6]. وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِٱلشَّراسَةِ وَلُؤْمِ ٱلْعَهْدِ وَقِلَّةِ ٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفاءِ وَٱلْبُعْدِ عَنِ ٱلرَّحْمَةِ

---

١ اي افسد عليه ٢ يقيد ٣ اي يقاوم ٤ مصدر فرط منه كلام مثلاً اي سقط ٥ يقطع املك ٦ اي الكلفة

وَٱلْوَرَعِ[1] وَٱتَّصَفَ بِٱلْجُحُودِ[2] لِثَوابِ ٱلْآخِرَةِ وَعِقابِها ٠ وَقَدْ عَرَفْتَ ٱبْنَ آوَى وَجَرَّبْتَهُ وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُواصَلَتِهِ فَدَعا ٱلْأَسَدُ بِٱبْنِ آوَى وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ خَيْرًا وَقالَ إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرادُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ٠ فَقالَ ٱبْنُ آوَى أَوَلَيْسَ هٰذا ٱلَّذِي خِفْتُ مِنْهُ فِي أَوَّلِ ٱتِّصالِي بِكَ وَٱلَّذِي لِأَجْلِهِ ٱمْتَنَعْتُ مِمَّا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ صُحْبَتِكَ وَتَوَلِّي خِدْمَتِكَ ٠ وَإِنَّ شَرَّ ٱلْأَخِلَّاءِ مَنِ ٱلْتَمَسَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ أَخِيهِ وَمَنْ كانَ غَيْرَ ناظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ أَوْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ لِأَجْلِ ٱتِّباعِ هَواهُ وَكَثِيرًا ما يَقَعُ ذٰلِكَ بَيْنَ ٱلْأَخِلَّآءِ ٭ وَقَدْ كانَ مِنَ ٱلْمَلِكِ إِلَيَّ ما عَلِمَ وَلا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى مَنْ عاقَبَهُ أَشَدَّ ٱلْعُقُوبَةِ مِنْ نَزْعِهِ عَنْ عَمَلِهِ أَوْ أَخْذِ مالِهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ٠ أَوْ مَنْ كانَ لِلْكَرامَةِ أَهْلًا فَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ ذٰلِكَ وَلَمْ يُعْطِهِ ما هُوَ أَهْلُهُ ٠ أَوْ كانَ مَظْلُومًا وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَمْرِهِ ٠ أَوْ كانَ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّمَعِ فَلَمْ يُصِبْ ما يَرْجُوهُ٠ أَوْ كانَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ ٱجْتَرَمُوا جَرِيمَةً[3] هُوَ مِنْها بَرِيءٌ فَأُخِذَ هُوَ بِها مِنْ بَيْنِهِمْ وَخُلِّيَ

---

١ التقوى ٢ الانكار ٣ اذنبوا ذنبا

سَبِيلُهُمْ * فَأَمْثَالُ هٰؤُلَآءِ لا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْحَبَهُمْ · وَأَنا أَيُّها ٱلْمَلِكُ أَحَدُ هٰؤُلَآءِ · فَلَعَلَّ ٱلْمَلِكَ يَقُولُ إِنَّ ٱبْنَ آوَى لا يَنْسَى ٱلَّذِي لَقِيَهُ مِنَ ٱلْهَوانِ فَيَقْتَصُّ مِنِّي · وَأَنا يَعْلَمُ ٱللّٰهُ أَنْ لَيْسَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ قَبْلِ هٰذا وَإِنَّما خَوْفِي أَنْ يَفْعَلُوا بِي ذٰلِكَ مَرَّةً أُخْرَى · فَلا يَغْلُظَنَّ عَلَى نَفْسِ ٱلْمَلِكِ ما أُخْبِرُهُ أَنِّي بِهِ غَيْرُ واثِقٍ وأَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ * وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْحَبَ مَنْ كانَ مِثْلِي وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُضَهُ أَصْلًا · فَإِنَّ ذا ٱلسُّلْطانِ[1] إِذا عَزِلَ كانَ مُسْتَحِقًّا لِلْكَرامَةِ فِي حالَةِ إِبْعادِهِ وَٱلإِقْصاءِ[2] لَهُ * فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلْأَسَدُ إِلَى كَلامِهِ ثُمَّ قالَ لَهُ إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِباعَكَ وَأَخْلاقَكَ وَجَرَّبْتُ أَمانَتَكَ وَوَفاءَكَ وَعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ مَحَلَ[3] بِكَ وَإِنِّي مُنْزِلُكَ مِنْ نَفْسِي مَنْزِلَةَ ٱلْأَخْيارِ ٱلْكُرَماءِ وَٱلْكَرِيمُ تُنْسِيهِ ٱلْخَلَّةُ[4] ٱلْواحِدَةُ مِنَ ٱلإِحْسانِ ٱلْخِلالَ ٱلْكَثِيرَةَ مِنَ ٱلإِساءَةِ · وَقَدْ عُدْنا إِلَى ٱلثِّقَةِ بِكَ فَعُدْ إِلَى ٱلثِّقَةِ بِنا فَإِنَّهُ كائِنٌ لَنا وَلَكَ بِذٰلِكَ غِبْطَةٌ وَسُرُورٌ * فَعادَ ٱبْنُ آوَى إِلَى وِلايَةِ ما كانَ يَلِي[5] وَضاعَفَ لَهُ ٱلْأَسَدُ ٱلْكَرامَةَ وَلَمْ تَزِدْهُ ٱلْأَيّامُ إِلَّا تَقَرُّبًا مِنْهُ

١ اي السلطة ٢ بمعنى الابعاد ٣ سعى ومكر ٤ اي الامر ٥ يتولى عليه

بابُ

ٱللَّبُؤَةِ(١) وَٱلإِسْوارِ(٢) وَٱلشَّعْهَرِ

قالَ دبشليمُ ٱلمَلِكُ لِبيدَبا ٱلفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذا قَدَرَ عَلَيْهِ بِما يُصِيبُهُ مِنَ ٱلضَّرَرِ وَيَكُونُ لَهُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ واعِظٌ وَزاجِرٌ عَنِ ٱرْتِكابِ ٱلظُّلْمِ وَٱلْعَداوَةِ لِغَيْرِهِ

قالَ ٱلفَيْلَسُوفُ إِنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلَى طَلَبِ ما يَضُرُّ بِٱلنَّاسِ وَما يَسُوءُهُمْ إِلَّا أَهْلُ ٱلْجَهالَةِ وَالسَّفَهِ(٣) وَسُوءِ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْعَواقِبِ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةِ وَقِلَّةِ ٱلْعِلْمِ بِما يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ مِنْ حُلُولِ ٱلنِّقْمَةِ وَبِما يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبِعَةٍ(٤) ما ٱكْتَسَبُوا مِمَّا لا تُحِيطُ بِهِ ٱلْعُقُولُ. وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرٍ بُغْضٍ بِٱتِّفاقٍ عَرَضَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبالُ(٥) ما صَنَعَ لَمْ يَسْلَمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي ٱلْعَواقِبِ لَمْ يَأْمَنِ ٱلْمَصائِبَ وَكانَ حَقِيقاً أَنْ لا يَسْلَمَ مِنَ ٱلْمَعاطِبِ(٦). وَرُبَّما

---

١ انثى الاسد ٢ الصياد ٣ بمعنى الجهل والطيش ٤ التبعة العاقبة السيئة ٥ سوء عاقبة ٦ المهالك

أَتَّعَظَ ٱلْجَاهِلُ وَٱعْتَبَرَ[١] بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ ٱلْمَضَرَّةِ مِنَ ٱلْغَيْرِ فَٱرْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى[٢] أَحَدًا بِمِثْلِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلظُّلْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَحَصَلَ لَهُ نَفْعُ مَا كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي ٱلْعَاقِبَةِ * وَمَثَلُ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱللَّبُوَةِ وَٱلْإِسْوَارِ وَٱلشَّعْهَرِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ لَبُؤَةً كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ وَلَهَا شِبْلَانِ[٣] . وَإِنَّهَا خَرَجَتْ فِي طَلَبِ ٱلصَّيْدِ وَخَلَّفَتْهُمَا فِي كَهْفِهِمَا . فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ[٤] عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا[٥] وَٱنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْفَظِيعِ ٱضْطَرَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَصَاحَتْ وَضَجَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَعْهَرٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ مِنْ صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا مَا هٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ وَمَا نَزَلَ بِكِ أَخْبِرِينِي بِهِ . قَالَتِ ٱللَّبُؤَةُ شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا وَنَبَذَهُمَا[٦] فِي ٱلْعَرَاءِ[٧] . قَالَ لَهَا ٱلشَّعْهَرُ لَا تَضِجِّي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ[٨] وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ مُكَافَأَةٍ

---

١ من العبرة وهو ما يجدّ به من امثاله ٢ اي يصيب ٣ الشبل ابن الاسد ٥ عطف وهجم ٥ ربطها حلقة على ركوبه ٦ طرحهما ٧ الفضاء ٨ خذي حقك منها

فَفاعِلُ ٱلْخَيْرِ يَحْمَدُهُ وَفاعِلُ ٱلشَّرِّ يَجْنِي ثَمَرَهُ. وَإِنَّ هٰذا ٱلْإِسْوارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكِ[1] شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ كُنْتِ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكِ مِثْلَهُ وَتَأْتِينَ مِثْلَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ كانَ يَجِدُ بِحَمِيمِهِ[2] وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ ما تَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ. فَٱصْبِرِي مِنْ غَيْرِكِ عَلَى ما صَبَرَ غَيْرُكِ عَلَيْهِ مِنْكِ. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ كَما تَدِينُ تُدانُ وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ ٱلثَّوابِ وَٱلْعِقابِ وَهُما عَلَى قَدْرِهِ فِي ٱلْكَثْرَةِ وَٱلْقِلَّةِ كَٱلزَّرْعِ إِذا حَضَرَ ٱلْحَصادُ أَعْطَى عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ

قالَتِ ٱللَّبُوَّةُ بَيِّنْ لِي ما تَقُولُ وَأَفْصِحْ لِي عَنْ إِشارَتِهِ. قالَ ٱلشَّعْهَرُ كَمْ أَتَى لَكِ مِنَ ٱلْعُمْرِ قالَتِ ٱللَّبُوَّةُ كَذا وَكَذا سَنَةً. قالَ ٱلشَّعْهَرُ ما كانَ قُوتُكِ فِيهِ. قالَتِ ٱللَّبُوَّةُ لَحْمَ ٱلْوَحْشِ. قالَ ٱلشَّعْهَرُ وَمَنْ كانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ. قالَتِ ٱللَّبُوَّةُ كُنْتُ أَصِيدُ ٱلْوَحْشَ وَآكُلُهُ قالَ ٱلشَّعْهَرُ أَرَأَيْتِ ٱلْوُحُوشَ ٱلَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ أَما كانَ لَها آباءٌ وَأُمَّاتٌ. قالَتْ بَلَى. قالَ ٱلشَّعْهَرُ فَما بالِي لا أَرَى وَلا أَسْمَعُ لِأُولٰئِكَ ٱلْآباءِ وَٱلْأُمَّاتِ مِنَ ٱلْجَزَعِ ما أَرَى وَأَسْمَعُ لَكِ. أَما[3] إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكِ ما نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكِ فِي ٱلْعَواقِبِ وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكِ فِيها

---

١ يفعل بك ٢ الحميم القريب الذي يهتم لامره ٣ حرف استفتاح

وَجَهالَتِكِ بِما يَرْجِعُ عَلَيْكِ مِنْ ضَرِّها * فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُوَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلامِ ٱلشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِها[1] وَأَنَّ عَمَلَها كانَ جَوْرًا وَظُلْمًا. فَتَرَكَتِ ٱلصَّيْدَ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ ٱلثِّمارِ وَٱلنُّسْكِ وَٱلْعِبادَةِ. فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَرَشانٌ[2] كانَ صاحِبَ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَكانَ عَيْشُهُ مِنَ ٱلثِّمارِ. قالَ لَها قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ ٱلشَّجَرَ عامَنا[3] هٰذا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ ٱلْماءِ. فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَها وَأَنْتِ آكِلَةُ ٱللَّحْمِ فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعامَكِ وَما قَسَمَ ٱللّٰهُ لَكِ وَتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ فَٱنْتَقَصْتِهِ[4] وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ[5]. عَلِمْتُ أَنَّ ٱلشَّجَرَ ٱلْعامَ أَثْمَرَتْ كَما كانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ وَإِنَّما أَتَتْ قِلَّةُ ٱلثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكِ. فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمارِ وَوَيْلٌ لِمَنْ عَيْشُهُمْ مِنْها ما أَسْرَعَ هَلاكَهُمْ إِذا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزاقِهِمْ وَغَلَبَهُمْ عَلَيْها مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيها حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتادًا لِأَكْلِها * فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُوَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلامِ ٱلْوَرَشانِ تَرَكَتْ أَكْلَ ٱلثِّمارِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ ٱلْعُشْبِ وَٱلْعِبادَةِ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْجاهِلَ رُبَّما

---

١ حرث اليهاس الدسـ ٢ طائر ٣ اسبه فى عاما ٤ اي احدث منه ٥ اسبه عالسو علبه

انصرفَ بِضُرٍّ يُصيبُهُ عَنْ ضُرِّ ٱلنَّاسِ كَٱللَّبُؤَةِ ٱلَّتي انصرفتْ لِما لقيتْ فِي شِبْلَيْها عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ ٱلثِّمارِ بِقَوْلِ ٱلْوَرَشانِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى ٱلنُّسْكِ وَٱلْعِبادةِ

وَٱلنَّاسُ أَحَقُّ بِحُسْنِ ٱلنَّظَرِ فِي ذٰلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ ما لا تَرْضاهُ لِنَفْسِكَ لا تَصْنَعْهُ لِغَيْرِكَ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ ٱلْعَدْلَ وَفِي ٱلْعَدْلِ رِضَى ٱللهِ تَعالَى وَرِضَى ٱلنَّاسِ

بابُ

إِيلاذَ وَبِلاذَ وَإِيراخْتَ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي ٱلْأَشْياءِ ٱلَّتي يَجِبُ عَلَى ٱلْمَلِكِ أَنْ يَلْزَمَ بِها نَفْسَهُ وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ بِها سُلْطانَهُ وَيَكُونُ ذٰلِكَ رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلاكَهُ[1] . ٱلْحِلْمُ أَمِ ٱلْمُرُوءَةُ أَمِ ٱلشَّجاعةُ أَمِ ٱلْجُودُ . قالَ بَيْدَبا إِنَّ أَحَقَّ ما يَحْفَظُ بِهِ ٱلْمَلِكُ مُلْكَهُ ٱلْحِلْمُ وَبِهِ تَثْبُتُ ٱلسَّلْطَنَةُ . وَٱلْحِلْمُ رَأْسُ ٱلْأُمُورِ وَمِلاكُها

[1] قوامه

وَأَجودُ ما كانَ فِي ٱلْمُلُوكِ

كَٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ مَلِكٌ يُدْعَى بَلاذَ وَكانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى إِيلاذَ وَكانَ مُتَعَبِّدًا ناسِكًا . وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ نامَ ذاتَ لَيْلَةٍ فَرَأَى فِي مَنامِهِ ثَمانِيَةَ أَحْلامٍ أَفْزَعَتْهُ فَٱسْتَيْقَظَ مَرْعُوبًا . فَدَعا بِٱلْبَراهِمَةِ وَهُمُ ٱلنُّسَّاكُ لِيُعَبِّرُوا رُؤْياهُ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ ما رَأَى فَقالُوا بِأَجْمَعِهِمْ لَقَدْ رَأَى ٱلْمَلِكُ عَجَبًا . فَإِنْ أَمْهَلْتَنا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْناهُ بِتَأْوِيلِهِ . قالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ أَمْهَلْتُكُمْ . فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ ٱجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ وَأْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ . وَقالُوا قَدْ وَجَدْتُمْ عِلْمًا واسِعًا تُدْرِكُونَ بِهِ ثَأْرَكُمْ وَتَنْتَقِمُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَّا بِٱلْأَمْسِ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَها هُوَ قَدْ أَطْلَعَنا عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلَنا تَفْسِيرَ رُؤْياهُ . فَهَلُمَّ نُغْلِظْ لَهُ ٱلْقَوْلَ وَيُخِفْهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ ٱلْفَرَقُ[1] وَٱلْجَزَعُ[2] عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ٱلَّذِي نُرِيدُ . وَنَأْمُرُهُ فَنَقُولُ ٱدْفَعْ إِلَيْنا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ . فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنا فِي كُتُبِنا فَلَمْ نَرَ أَنْ يُدْفَعَ عَنْكَ ما رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ وَما وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ هٰذا ٱلشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَمِّي لَكَ . فَإِنْ قالَ ٱلْمَلِكُ

---

١ الخوف ٢ خلاف الصبر

وَمَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا سَمُّوهُمْ لِي · قُلْنَا نُرِيدُ ٱلْمَلِكَةَ إِيرَاخْتَ أُمَّ جُوِيرَ ٱلْمَحْمُودَةَ أَكْرَمَ نِسَآئِكَ عَلَيْكَ · وَنُرِيدُ جُوِيرَ أَحَبَّ بَنِيكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ · وَنُرِيدُ كَالَ ٱلْكَاتِبَ صَاحِبَ سِرِّكَ وَسَيْفَكَ ٱلَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ وَٱلْفِيلَ ٱلْأَبْيَضَ ٱلَّذِي لَا تَلْحَقُهُ ٱلْخَيْلُ وَٱلْفَرَسَ ٱلَّذِي هُوَ مَرْكَبُكَ فِي ٱلْقِتَالِ · وَنُرِيدُ ٱلْفِيلَيْنِ ٱلْعَظِيمَيْنِ ٱللَّذَيْنِ يَكُونَانِ مَعَ ٱلْفِيلِ ٱلذَّكَرِ · وَنُرِيدُ ٱلْبُخْتِيَّ[1] ٱلسَّرِيعَ ٱلْقَوِيَّ · وَنُرِيدُ كَبَارِيُونَ ٱلْحَكِيمَ ٱلْفَاضِلَ ٱلْعَالِمَ بِٱلْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا * ثُمَّ نَقُولُ لَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَآءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَأُهُ ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ · فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ ٱلْحَوْضِ ٱجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْبَرَاهِمَةِ مِنَ ٱلْآفَاقِ ٱلْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَنَرْقِيكَ[2] وَنَتْفُلُ عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ عَنْكَ ٱلدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِٱلْمَآءِ وَٱلدُّهْنِ ٱلطَّيِّبِ · ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ ٱلْبَهِيِّ فَيَدْفَعُ ٱللهُ بِذٰلِكَ ٱلْبَلَآءَ ٱلَّذِي نَتَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ * فَإِنْ صَبَرْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّآئِكَ ٱلَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكَ وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاكَ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْبَلَآءِ وَٱسْتَقَامَ

---

۱ واحد البخت وهي الابل الخراسانية ۲ من اعمال السحر

لَكَ مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ وَٱسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْصَبَ⁽¹⁾ مُلْكُكَ إِوْ تَهْلِكَ . فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ شَرَّ قِتْلَةٍ

فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا ٱئْتَمَرُوا فِيهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّامِنِ وَقَالُوا لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا تَفْسِيرَ مَا رَأَيْتَ وَفَحَصْنَا عَنِ ٱلرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا . فَلْيَكُنْ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلطَّاهِرُ ٱلصَّالِحُ وَٱلْكَرَامَةُ . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُوَ بِنَا وَتُؤَمِّنَنَا . فَأَخْرَجَ ٱلْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ فَحَدَّثُوهُ بِٱلَّذِي ٱئْتَمَرُوا فِيهِ . فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ ٱلْحَيَاةِ إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ⁽²⁾ نَفْسِي . وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ وَٱلْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَلَسْتُ كُلَّ ٱلدَّهْرِ مَلِكًا . وَإِنَّ ٱلْمَوْتَ عِنْدِي وَفِرَاقَ ٱلْأَحْبَابِ سَوَآءٌ فَضْلًا عَمَّا أَرْتَكِبُهُ مِنَ ٱلْإِثْمِ فِي قَتْلِهِمْ * قَالَ لَهُ ٱلْبَرَاهِمَةُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ . فَٱحْتَفِظْ بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ هٰذَا ٱلَّذِي فِيهِ لَكَ ٱلرَّجَآءُ

---

١ يوخذ قهرًا ٢ مثل ونظير

ٱلْعَظِيمُ عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ ٱلَّذِينَ شَرُفْتَ وَكَرُمْتَ بِهِمْ وَلَا تَدَعِ ٱلْأَمْرَ ٱلْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ بِٱلضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَارًا[1] لِمَنْ تُحِبُّ * وَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ ٱلْحَيَاةَ مَحَبَّةً لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ مِنَ ٱلْأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ. وَإِنَّمَا قِوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ ٱللّٰهِ بِمُلْكِكَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَنَلْ مُلْكَكَ إِلَّا بِٱلْمَشَقَّةِ وَٱلْعَنَاءِ ٱلْكَثِيرِ فِي ٱلشُّهُورِ وَٱلسِّنِينَ وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ. فَٱسْتَمِعْ كَلَامَنَا وَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ مُنَاهَا[2] وَدَعْ مَا سِوَاهَا فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ * فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱسْتَجْرَأُوا عَلَيْهِ فِي ٱلْكَلَامِ ٱشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ[3] وَدَخَلَ إِلَى حُجْرَتِهِ فَخَرَّ[4] عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ ٱلسَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ ٱلْمَاءِ. وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ مَا أَدْرِي أَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي ٱلْهَلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي. وَلَنْ أَنَالَ ٱلْفَرَحَ مَا عِشْتُ وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ وَلَسْتُ بِٱلْمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي. وَإِنِّي لَزَاهِدٌ فِي ٱلْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيرَاخْتَ

١ تفضيلاً ٢ ما تتمناهُ ٣ من وسطهم ٤ سقط

وَجُوِيرَ. وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى ٱلْقِيامِ بِمُلْكِي إِذا هَلَكَ وَزِيرِي ايلاذُ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذا هَلَكَ فِيلِيَ ٱلْأَبْيَضُ وَفَرَسِيَ ٱلْجَوادُ وَكَيْفَ أُدْعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ مَنْ أَشارَ ٱلْبَراهِمَةُ بِقَتْلِهِ وَما أَصْنَعُ بِٱلدُّنْيا بَعْدَهُمْ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْحَدِيثَ فَشا فِي ٱلْأَرْضِ بِحُزْنِ ٱلْمَلِكِ وَهَمِّهِ. فَلَمَّا رَأَى إِيلاذُ ما نالَ[1] ٱلْمَلِكَ مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ فَكَّرَ فِي حِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقالَ ما يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ ٱلْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هٰذا ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي قَدْ نالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَنِي. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى إِيراخْتَ فَقالَ إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ ٱلْمَلِكَ إِلَى ٱلْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي وَرَأْيِي. وَأَراهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لا أَعْلَمُ ما هُوَ وَلا أَراهُ يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا. وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خالِيًا مَعَ جَماعَةِ ٱلْبَرْهَمِيِّينَ مُنْذُ لَيالٍ وَقَدِ ٱحْتَجَبَ عَنَّا فِيها. وَأَنا خائِفٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرارِهِ فَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِما يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ ٱلسُّوءُ. فَقُومِي وَٱدْخُلِي عَلَيْهِ فَٱسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَأَخْبِرِينِي بِما هُوَ عَلَيْهِ وَأَعْلِمِينِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ.

---

[1] اصاب

فَلَعَلَّ ٱلْبَرْهَمِيِّينَ قَدْ زَيَّنُوا لَهُ أَمْرًا وَحَمَلُوهُ عَلَى خِطَّةٍ[1] قَبِيحَةٍ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ خُلُقِ ٱلْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرُ ٱلْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا * فَقَالَتْ إِيرَاخْتُ إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ بَعْضُ ٱلْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ. فَقَالَ لَهَا إِيلَاذُ لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ ٱلْحِقْدَ فِي مِثْلِ هٰذَا وَلَا يَخْطُرَنَّ ذٰلِكَ عَلَى بَالِكِ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاكِ. وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَثِيرًا يَقُولُ مَا ٱشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلَتْ عَلَيَّ إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّيَ[2] ذٰلِكَ عَنِّي. فَقُومِي إِلَيْهِ وَٱصْفَحِي عَنْهُ وَكَلِّمِيهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ ٱلَّذِي يَجِدُهُ وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ فَإِنَّ بِذٰلِكَ لَنَا وَلِأَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَعْظَمَ ٱلرَّاحَةِ

فَٱنْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَتْ مَا ٱلَّذِي بِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَحْمُودُ وَمَا ٱلَّذِي سَمِعْتَ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَإِنِّي أَرَاكَ مَحْزُونًا فَأَعْلِمْنِي مَا بِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُوَاسِيَكَ[3] بِأَنْفُسِنَا. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِينِي غَمًّا وَحُزْنًا. فَإِنَّهُ

---

۱ اي امر ۲ أزيل ۳ نساويك

أَمْرٌ لا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِينِي عَنْهُ قالَتْ أَوَقَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ هٰذا. إِنَّما أَحْمَدُ ٱلنَّاسِ عَقْلاً مَنْ إِذا نَزَلَتْ بِهِ ٱلنَّازِلاتُ كانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطاً وَأَكْثَرَهُمْ(١) ٱسْتِماعاً مِنْ أَهْلِ ٱلنُّصْحِ حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ ٱلنَّازِلَةِ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْبَحْثِ وَٱلْمُشاوَرَةِ فَعَظِيمُ ٱلذَّنْبِ لا يُقْنِطُ(٢) مِنَ ٱلرَّحْمَةِ. وَلا تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئاً مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ فَإِنَّهُما لا يَرُدَّانِ شَيْئاً مَقْضِيّاً إِلَّا أَنَّهُما يُنْحِلانِ ٱلْجِسْمَ وَيَشْفِيانِ ٱلْعَدُوَّ. وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْمُصِيبَةِ عِبادَةٌ وَسَوْفَ تَحْمَدُ أَمْرَكَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي. قالَ لَها ٱلْمَلِكُ لا تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ(٣). وَٱلَّذِي تَسْأَلِينَنِي عَنْهُ لا خَيْرَ فِيهِ لِأَنَّ عاقِبَتَهُ هَلاكِي وَهَلاكُكِ وَهَلاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي. وَذاكَ أَنَّ ٱلْبَراهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ قَتْلِكِ وَقَتْلِ جُوِيرَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي وَلا خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَكُمْ وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهٰذا إِلَّا ٱعْتَراهُ ٱلْحُزْنُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ إِيراخْتُ جَزِعَتْ وَمَنَعَها عَقْلُها أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَزَعاً فَقالَتْ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لا تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ

---

١ اي أكثر الناس ٢ يقطع الامل ٣ رميتني في المشقة

اَلْفِدآءُ وَلَكَ فِي سِوايَ وَمِثْلِي ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ . وَلٰكِنِّي أَطْلُبُ مِنكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ حاجةً يَحْمِلُنِي عَلَى طَلِبَتِها حُبِّي لَكَ وَإِيثارِي إِيَّاكَ وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَما هِيَ . قالَتْ أَطْلُبُ مِنكَ أَنْ لا تَثِقَ بَعْدَها بِأَحَدٍ مِنَ ٱلْبَراهِمَةِ وَلا تُشاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِكَ ثُمَّ تُشاوِرَ فِيهِ ثِقاتِكَ[1] مِرارًا . فَإِنَّ ٱلْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلْحَدِيثِ إِذا لَقِيتَ جَوْهَرًا لا خَيْرَ فِيهِ فَلا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ . وَأَنْتَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لا تَعْرِفُ أَعْداءَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَراهِمَةَ لا يُحِبُّونَكَ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِٱلْأَمْسِ ٱثْنَي عَشَرَ أَلْفًا . وَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ هٰؤُلاءِ لَيْسُوا مِنْ أُولٰئِكَ . وَلَعَمْرِي ما كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْياكَ وَلا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْها . وَإِنَّما قالُوا لَكَ ما قالُوا لِأَجْلِ ٱلْحِقْدِ ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبّاءَكَ وَوَزِيرَكَ فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . وَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَنْ أَشارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ فَيَعُودُ ٱلْمُلْكُ إِلَيْهِمْ كَما كانَ . فَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ إِذا أُرِيدَ قَلْعُها

---

١ من تثق بهم

عُمُدَ أَوَّلاً إِلَى أُصُولِهَا وَمَا تَتَشَبَّثُ بِهِ فِي ٱلْأَرْضِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ قُلِعَتْ فَهَانَ قَلْعُهَا . فَٱنْطَلِقْ إِلَى كَبَارِيُونَ ٱلْحَكِيمِ فَهُوَ فَطِنٌ عَالِمٌ فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَٱسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ ٱلْغَمِّ . فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى كَبَارِيُونَ ٱلْحَكِيمِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ وَقَامَ مُطَأْطِئًا[1] ٱلرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحَكِيمُ مَا بَالُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَمَالِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ ٱللَّوْنِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ قَصَصْتُهَا عَلَى ٱلْبَرَاهِمَةِ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذٰلِكَ عَظِيمُ أَمْرٍ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحَكِيمُ إِنْ شِئْتَ قَصَصْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَكَ وَإِنْ شِئْتَ قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا رَأَيْتَ جَمِيعِهِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ بَلْ مِنْ فِيكَ[2] أَحْسَنُ . قَالَ ٱلْحَكِيمُ لَا يَحْزُنْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ هٰذَا ٱلْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ *

---

١ خافضاً ٢ فمك

أَمَّا ٱلسَّمَكَتَانِ ٱلْحَمْرَاوَانِ ٱللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى ذَنَبَيْهِمَا فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ هَيْمُونَ بِعِقْدَيْنِ مُكَلَّلَيْنِ بِٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ ٱلْأَحْمَرِ قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا ٱلْوَزَّتَانِ ٱللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ بَلْخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِثْلُهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا ٱلْحَيَّةُ ٱلَّتِي رَأَيْتَهَا تَدِبُّ عَلَى رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَى فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ صَنْجِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصِ ٱلْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ * وَأَمَّا ٱلدَّمُ ٱلَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَازَرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوَانٍ يُضِيءُ فِي ٱلظُّلْمَةِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ بِٱلْمَاءِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ رِهْزِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيَابِ كَتَّانٍ مِنْ لِبَاسِ ٱلْمُلُوكِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ عَلَى جَبَلٍ أَبْيَضَ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَيْدُورَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ ٱلْخَيْلُ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى

رَأْسِكَ شَبِيهًا بِٱلنَّارِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ ٱلْأَرْزَنِ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِإِكْلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ* وَأَمَّا ٱلطَّائِرُ ٱلَّذِي رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ فَلَسْتُ مُفَسِّرًا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ وَلَيْسَ بِضَارِّكَ فَلَا تَوْجَلَنَّ مِنْهُ وَلٰكِنَّ فِيهِ بَعْضَ ٱلسُّخْطِ وَٱلْإِعْرَاضِ عَمَّا تُحِبُّهُ * فَهٰذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . وَأَمَّا هٰذِهِ ٱلْبُرُدُ[1] وَٱلرُّسُلُ فَإِنَّهَا تَأْتِيكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعًا فَتَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ سَجَدَ لِكَبَارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتِ ٱلْبَشَائِرُ بِقُدُومِ ٱلرُّسُلِ فَخَرَجَ ٱلْمَلِكُ فَجَلَسَ عَلَى ٱلسَّرِيرِ وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ وَجَاءَتْهُ ٱلْهَدَايَا كَمَا أَخْبَرَهُ كَبَارِيُونُ ٱلْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ عَجَبُهُ وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كَبَارِيُونَ وَقَالَ مَا وُفِّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى ٱلْبَرَاهِمَةِ فَأَمَرُونِي بِمَا أَمَرُونِي بِهِ* وَلَوْلَا أَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى تَدَارَكَنِي لَهَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ . وَكَذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ ٱلْأَخِلَّاءِ ذَوِي ٱلْعُقُولِ . وَإِنَّ إِيرَاخْتَ أَشَارَتْ بِٱلْخَيْرِ فَقَبِلْتُهُ وَرَأَيْتُ بِهِ ٱلنَّجَاحَ .

---

۱ جمع بريد بمعنی رسول

فَضَعُوا ٱلْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا ٱخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيلَاذَ خُذِ ٱلْإِكْلِيلَ وَٱلثِّيَابَ وَٱحْمِلْهَا وَٱتْبَعْنِي بِهَا . وَدَعَا ٱلْمَلِكُ إِيرَاخْتَ وَحُورَقْنَاهَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِإِيلَاذَ دَعِ ٱلْكُسْوَةَ وَٱلْإِكْلِيلَ بَيْنَ يَدَيْ إِيرَاخْتَ لِتَأْخُذَ أَيَّهَا شَاءَتْ . فَوُضِعَتِ ٱلْهَدَايَا بَيْنَ يَدَيْ إِيرَاخْتَ فَأَخَذَتْ مِنْهَا ٱلْإِكْلِيلَ وَأَخَذَتْ حُورَقْنَاهُ كُسْوَةً مِنْ أَفْخَرِ ٱلثِّيَابِ وَأَحْسَنِهَا * وَإِنَّ إِيرَاخْتَ صَنَعَتْ لِلْمَلِكِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَرُزًّا بِحَلَاوَةٍ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِٱلصَّحْفَةِ وَٱلْإِكْلِيلُ عَلَى رَأْسِهَا وَٱتَّفَقَ أَنَّ حُورَقْنَاهَ لَبِسَتْ تِلْكَ ٱلْكُسْوَةَ وَمَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ فَٱلْتَفَتَ ٱلْمَلِكُ إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ إِنَّكِ جَاهِلَةٌ حِينَ أَخَذْتِ ٱلْإِكْلِيلَ وَتَرَكْتِ ٱلْكُسْوَةَ ٱلَّتِي لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِثْلُهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيرَاخْتُ مَدْحَ ٱلْمَلِكِ لِحُورَقْنَاهَ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهَا وَتَجْهِيلَهَا هِيَ وَذَمَّ رَأْيِهَا أَخَذَهَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْغَيْرَةُ وَٱلْغَيْظُ فَضَرَبَتْ بِٱلصَّحْفَةِ رَأْسَ ٱلْمَلِكِ فَسَالَ ٱلْأَرُزُّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ ذٰلِكَ تَمَامَ تَعْبِيرِ ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي عَبَّرَهَا كَبَارِيُونُ * فَقَامَ ٱلْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ وَدَعَا بِإِيلَاذَ وَقَالَ أَلَا تَرَى وَأَنَا مَلِكُ ٱلْعَالَمِ كَيْفَ حَقَّرَتْنِي هٰذِهِ ٱلْجَاهِلَةُ وَفَعَلَتْ بِي مَا تَرَى

فانطلق بها واقتلها ولا ترحمها

فخرج إيلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتّى يسكن عنه الغضب. فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء. وليس الملك بصابر عنها وقد خلّصته من الموت وعملت أعمالاً صالحة ورجاؤنا فيها عظيم. ولست آمنه أن يقول لِمَ لم تؤخّر قتلها حتى تراجعني. فلست قاتلها حتّى أنظر رأي الملك فيها ثانيةً. فإن رأيته نادماً حزيناً على ما فعل جئت بها حيّة وكنت قد عملت عملاً عظيماً وأنجيت إيراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتّخذت عند عامّة الناس بذلك يداً[1]. وإن رأيته فرحاً مستريحاً مصوّباً رأيه في الذي فعله فقتلها لا يفوت * ثمّ انطلق بها إلى منزله ووكّل بها خادماً من أمنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتّى ينظر ما يكون من أمر الملك. ثمّ خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال أيّها الملك إنّي قد أمضيت أمرك في إيراخت. فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب وذكر جمال إيراخت

[1] نعمة

وَفَضْلَهَا وَٱشْتَدَّ أَسَفُهُ عَلَيْهَا وَجَعَلَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَنْهَا وَيَتَجَلَّدُ. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَسْتَحِي أَنْ يَسْأَلَ إِيلَاذَ أَحَقًّا أَمْضَى أَمْرَهُ فِيهَا أَمْ لَا. وَرَجَا لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيلَاذَ أَنْ لَا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ. وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيلَاذُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ ٱلَّذِي بِهِ. فَقَالَ لَهُ لَا تَهْتَمَّ وَلَا تَحْزَنْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ مَنْفَعَةٌ وَلٰكِنَّهُمَا يُنْحِلَانِ ٱلْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ. فَٱصْبِرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا. وَإِنْ أَحَبَّ ٱلْمَلِكُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ. قَالَ حَدِّثْنِي

قَالَ إِيلَاذُ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ. فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارَى[1] مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ نِعِمَّا رَأَيْتَ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا[2] حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا. فَٱنْطَلَقَ ٱلذَّكَرُ فَغَابَ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَنَضُمَرَ[3] فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصًا. فَقَالَ لَهَا أَلَيْسَ

---

١ الفلوات ٢ رطبًا ٣ صغر حجمه

كُنَّا جَمَعْنا رَأْينا عَلَى أَنْ لا نأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ. فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّها ما أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَتَنَصَّلُ[1] إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْها وَجَعَلَ يَنْقُرُها حَتَّى مَاتَتْ. فَلَمَّا جاءَتِ ٱلْأَمْطارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كانَ. فَلَما رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ نَدِمَ. ثُمَّ اضْطَجَعَ إِلَى جانِبِ حَمامَتِهِ وَقالَ. ما يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ. وَإِذا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلا أَقْدِرُ عَلَى تَدارُكِ[2] ما فاتَ. ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ[3] طَعامًا وَلا شَرابًا حَتَّى ماتَ إِلَى جانِبِها

وَٱلْعاقِلُ لا يَعْجَلُ فِي ٱلْعَذابِ وَٱلْعُقُوبَةِ وَلا سِيَّما مَنْ يَخافُ ٱلنَّدامَةَ كَما نَدِمَ ٱلْحَمامُ ٱلذَّكَرُ * وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ ٱلْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ مِنَ ٱلْعَدَسِ فَوَضَعَ ٱلطَّبَقَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لِيَسْتَرِيحَ. فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ. فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ فِي طَلَبِها فَلَمْ يَجِدْها وَٱنْتَثَرَ ما كانَ فِي يَدِهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ أَجْمَعُ *

---

١ تتبرأ ٢ تلافي ٣ يأكل

وَأَنْتَ أَيْضًا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِنْدَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ تَدَعُهُمْ وَتَطْلُبُ مَا لا تَجِدُ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ فَقَالَ إِيهًا[1] إِيلاذُ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ وَتَعَلَّقْتَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ كَانَ مِنِّي وَلَمْ تَتَثَبَّتْ فِي ٱلْأَمْرِ. قَالَ إِيلاذُ إِنَّ ٱلَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لا يَخْتَلِفُ هُوَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلا ٱخْتِلافَ لِقَوْلِهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتَ. قَالَ إِيلاذُ ٱثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا. ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَٱلَّذِي لا يَعْمَلُ ٱلْخَيْرَ قَطُّ. لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا وَنَعِيمَهَا قَلِيلٌ وَنَدَامَتَهُمَا إِذَا يُعَايِنَانِ ٱلْجَزَاءَ طَوِيلَةٌ لا يُسْتَطَاعُ إِحْصَاؤُهَا * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَئِنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لا أَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا. قَالَ إِيلاذُ ٱثْنَانِ لا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا. ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْبِرِّ كُلَّ يَوْمٍ وَٱلَّذِي لَمْ يَأْثَمْ قَطُّ * قَالَ ٱلْمَلِكُ مَا أَنَا بِنَاظِرٍ إِلَى إِيرَاخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ. قَالَ إِيلاذُ ٱثْنَانِ لا يَنْظُرَانِ. ٱلْأَعْمَى وَٱلَّذِي لا عَقْلَ لَهُ. وَكَمَا أَنَّ ٱلْأَعْمَى لا يَنْظُرُ ٱلسَّمَاءَ وَنُجُومَهَا وَلا يَنْظُرُ ٱلْبُعْدَ وَٱلْقُرْبَ كَذٰلِكَ ٱلَّذِي

---

١ كلمة استكفاف اي كفى

لا عَقْلَ لَهُ لا يَعْرِفُ ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْقَبِيحِ وَلا ٱلْمُحْسِنَ مِنَ ٱلْمُسِيءِ * قالَ ٱلْمَلِكُ لَوْ رَأَيْتُ إِيراخْتَ لَٱشْتَدَّ فَرَحِي . قالَ إِيلاذُ ٱثْنانِ هُما ٱلْفَرِحانِ ٱلْبَصِيرُ وَٱلْعالِمُ . فَكَما أَنَّ ٱلْبَصِيرَ يُبْصِرُ أُمُورَ ٱلْعالَمِ وَما فِيهِ مِنَ ٱلزِّيادَةِ وَٱلنُّقْصانِ وَٱلْبَعِيدِ وَٱلْقَرِيبِ . فَكَذٰلِكَ ٱلْعالِمُ يُبْصِرُ ٱلْبِرَّ وَٱلْإِثْمَ وَيَعْرِفُ أَعْمالَ ٱلْآخِرَةِ وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجاتُهُ وَيُهْدَى إِلَى صِراطٍ[1] مُسْتَقِيمٍ * قالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَشْتَفِ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى إِيراخْتَ بَعْدُ . قالَ إِيلاذُ ٱثْنانِ لا يَشْتَفِيانِ أَبَدًا . مَنْ يَكُونُ هَمُّهُ جَمْعَ ٱلْمالِ وَٱدِّخارَهُ . وَمَنْ يَأْمُلُ ما لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُ ما لا يَجِدُ * قالَ ٱلْمَلِكُ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَباعَدَ مِنْكَ يا إِيلاذُ وَنَأْخُذَ ٱلْحَذَرَ وَنَلْزَمَ ٱلِٱتِّقاءَ[2] . قالَ إِيلاذُ ٱثْنانِ يَنْبَغِي أَنْ يُتَباعَدَ مِنْهُما . ٱلَّذِي يَقُولُ لا بِرَّ وَلا إِثْمَ وَلا عِقابَ وَلا ثَوابَ وَلا شَيْءَ عَلَيَّ مِمّا أَنا فِيهِ . وَٱلَّذِي لا يَكادُ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمّا لَيْسَ لَهُ بِمُحَلَّلٍ وَلا أُذُنَهُ عَنِ ٱسْتِماعِ ٱلسُّوءِ وَلا نَفْسَهُ عَنْ خاصَّةِ غَيْرِهِ وَلا قَلْبَهُ عَمّا تَهُمُّ بِهِ[3] نَفْسُهُ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْحِرْصِ * قالَ ٱلْمَلِكُ صارَتْ يَدِي مِنْ إِيراخْتَ صِفْرًا[4] . قالَ إِيلاذُ أَرْبَعَةُ أَشْياءَ أَصْفارٌ . ٱلنَّهْرُ

---

١ طريق ٢ التوقي ٣ تريد فعلته ٤ فارغة

ٱلَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَآءٌ وَٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلِكٌ وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ وَٱلْجَاهِلُ ٱلَّذِي لَا يَعْرِفُ ٱلْخَيْرَ مِنَ ٱلشَّرِّ * قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ يَا إِيلَاذُ لَتَتَلَقَّى ٱلْجَوَابَ[1] . قَالَ إِيلَاذُ ثَلَاثَةٌ يُلَقَّوْنَ ٱلْجَوَابَ . ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي يُعْطِي وَيَقْسِمُ مِنْ خَزَائِنِهِ . وَٱلْمَرْأَةُ ٱلْمُهْدَاةُ[2] إِلَى مَنْ تَوَدُّ مِنْ ذَوِي ٱلْحَسَبِ[3] . وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَالِمُ ٱلْمُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ أَهْلَكْتَ إِيرَاخْتَ يَا إِيلَاذُ بِغَيْرِ حَقٍّ . قَالَ إِيلَاذُ ثَلَاثَةٌ هُمُ ٱلزَّائِغُونَ عَنِ ٱلْحَقِّ . ٱلَّذِي يَلْبَسُ ٱلثِّيَابَ ٱلْبِيضَ ثُمَّ يَنْفُخُ بِٱلْكِيرِ[4] فَيُسَوِّدُهَا بِٱلدُّخَانِ . وَٱلْقَصَّارُ[5] ٱلَّذِي يَلْبَسُ ٱلْجَوْرَبَيْنِ[6] ٱلْجَدِيدَيْنِ وَرِجْلَاهُ أَبَدًا فِي ٱلْمَآءِ . وَٱلَّذِي يَقْتَنِي ٱلْفَرَسَ ٱلْكَرِيمَ لِلرُّكُوبِ ثُمَّ يَلْتَهِي عَنْهُ فَلَا يَرْكَبُهُ فَيَبْطَرُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَيْتَنِي أَنْظُرُ إِلَى إِيرَاخْتَ قَبْلَ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا . قَالَ إِيلَاذُ ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ . مَنْ لَا وَرَعَ[7] لَهُ وَهُوَ يَرْتَجِي ثَوَابَ ٱلْأَبْرَارِ . وَٱلْبَخِيلُ ٱلَّذِي يَلْتَمِسُ بِبُخْلِهِ أَنْ يَنَالَ مَنْزِلَةَ ٱلسَّخِيِّ . وَٱلْفَاجِرُ ٱلَّذِي يَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَيَأْمُلُ أَنْ رُوحَهُ مِنْ أَرْوَاحِ ٱلشُّهَدَآءِ[8] * قَالَ ٱلْمَلِكُ أَنَا ٱلَّذِي جَنَيْتُ[9]

---

١ تلهمه يريد سرعة جوابه واصابته ٢ المزفوفة ٣ اي المفاخر ٤ الزق الذي ينفخ فيه الحداد ٥ الذي يبيض الثياب ٦ الجورب ما يلبس في الرجل قبل النعل ٧ تقى ٨ الذين يموتون في سبيل الله ٩ جررت عليها الذنب

عَلَى نَفْسِي وَجَرَرْتُ ٱلْبَلَاءَ إِلَيْهَا. قَالَ إِيلَاذُ أُولَئِكَ فِي ٱلنَّاسِ خَمْسَةٌ. ٱلَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلْقِتَالِ وَهُوَ أَعْزَلُ[١]. وَٱلْبَخِيلُ يَجْمَعُ مَالَهُ فِي مَنْزِلِهِ وَلَا أَحَدَ مَعَهُ فَيَقْصِدُهُ ٱللُّصُوصُ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَأْخُذُونَ مَالَهُ. وَٱلْكَبِيرُ يَخْطُبُ ٱلصَّغِيرَةَ وَٱلْقَبِيحُ يَخْطُبُ ٱلْجَمِيلَةَ. وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي تُحِبُّ وَلَدَهَا وَهُوَ شَاطِرٌ[٢] عَارِمٌ[٣] فَهِيَ تَسْتُرُ أُمُورَهُ وَتُخْفِيهَا ثُمَّ هُوَ يَكُونُ تَعَبًا لَهَا وَوَبَالًا[٤] عَلَيْهَا *

قَالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ وَضَعْتُ ٱلْأَمْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فِي قَتْلِي إِيرَاخْتَ. قَالَ إِيلَاذُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ. وَهُمُ ٱلطَّائِرُ ٱلَّذِي يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ خَوْفًا مِنْ سُقُوطِهَا عَلَيْهِ. وَٱلْكُرْكِيُّ ٱلَّذِي يَقُومُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَضَعُ ٱلثَّانِيَةَ عَلَى ٱلْأَرْضِ خَوْفَ أَنْ يَخْسِفَهَا. وَٱلْغَنِيُّ ٱلْبَخِيلُ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ يَخَافُ عَلَى مَالِهِ مِنَ ٱلنَّفَادِ. كَٱلْخَرَاطِينِ[٥] ٱلَّتِي طَعَامُهَا ٱلتُّرَابُ تَقْصِدُ ٱلْإِقْلَالَ مِنَ ٱلْأَكْلِ مِنْهُ لِئَلَّا يَنْفَدَ[٦] وَيَفْنَى. وَكَٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي يَلَغُ[٧] مِنَ ٱلنَّهْرِ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعُبُّ[٨] مِنْهُ حِذَارَ أَنْ يَجِفَّ. وَٱلْخُفَّاشُ ٱلَّذِي يَطِيرُ بِٱللَّيْلِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِٱلنَّهَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَصْطَادَهُ

---

١ بدون سلاح ٢ الشاطر من اعيا اهله خبثًا ٣ شرس ٤ سوء عاقبة
٥ الديدان الحمر التي تكون في التراب الندي ٦ يفرغ ٧ الولوغ شرب الكلب ٨ العبّ شرب الدواب

اَلنَّاسُ لِحُسْنِهِ وَهُوَ أَقْبَحُ اَلطَّيْرِ * قَالَ اَلْمَلِكُ لَمْ أَحْزَنْ قَطُّ حُزْنِي عَلَى إِيراخْتَ. قالَ إِيلاذُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ إِذا كُنَّ فِي اَلْمَرْأَةِ كانَتْ أَهْلًا أَنْ يُحْزَنَ عَلَيْهَا. إِذا كانَتْ عَفِيفَةً. كَرِيمَةَ اَلْحَسَبِ وَاَلنَّسَبِ. عاقِلَةً. جَمِيلَةً. مُوافِقَةً لِزَوْجِها مُحِبَّةً لَهُ * قالَ اَلْمَلِكُ لَيْسَ تَأْخُذُنِي سِنَةٌ[1] وَلا نَوْمٌ مِنْ حُزْنِي عَلَى إِيراخْتَ. قالَ إِيلاذُ اثْنانِ لا يَهْجَعانِ[2] وَلا يَسْتَرِيحانِ. اَلْكَثِيرُ اَلْمالِ وَلَيْسَ لَهُ خازِنٌ وَلا أَمِينٌ. وَاَلشَّدِيدُ اَلْمَرَضِ وَلا طَبِيبَ لَهُ

ثُمَّ إِنَّ إِيلاذَ لَمَّا رَأَى اَلْمَلِكَ قَدِ اشْتَدَّ بِهِ اَلْأَمْرُ سَكَتَ. فَقالَ لَهُ اَلْمَلِكُ ما بالُكَ يا إِيلاذُ سَكَتَّ. قالَ أَيُّها اَلْمَلِكُ إِنِّي قَدْ تَجاسَرْتُ عَلَيْكَ فِيما امْتَحَنْتُكَ بِهِ إِرادَةَ أَنْ أَعْلَمَ ما آلَ[3] إِلَيْهِ أَمْرُكَ فِي إِيراخْتَ. وَأَرانِي قَدْ تَجاوَزْتُ طَوْرِي[4] فِي ذٰلِكَ وَبانَ لِي مِنْ حِلْمِكَ وَعَقْلِكَ ما أَذْهَلَنِي إِذْ لَمْ يَبْدُ مِنْكَ مَعَ ما اجْتَرَأْتُ بِهِ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ اَلْغَضَبِ وَلا تَغَيَّرَتْ عَنْ حالِكَ. وَها أَنا شاكِرٌ لِعَفْوِكَ وَصَفْحِكَ وَتَجاوُزِكَ[5] عَنِّي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنِّي إِلَّا نُصْحًا لِلْمَلِكِ وَاسْتِطْلاعًا لِأَمْرِهِ[6]

١ نعاس ٢ ينامان ٣ رجع ٤ قدري ٥ بمعنى صفحك ٦ طلبًا للاطلاع عليه

فَٱعفُ عَنِّي إِن شِئْتَ أَوْ فَعاقِبْنِي بِما تَراهُ فَإِنَّ إِيراخت بِٱلْحَياةِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ فَرَحُهُ وَقالَ يا إِيلاذُ إِنما مَنَعَنِي مِنَ ٱلْغَضَبِ ما أَعْرِفُ مِنْ نَصِيحَتِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ وَكُنْتُ أَرْجُو لِمَعْرِفَتِي بِعِلْمِكَ أَنْ لا تَكُونَ قَدْ قَتَلْتَ إِيراخْتَ . فَإِنَّها وَإِنْ تَكُنْ أَتَتْ عَظِيماً وَأَغْلَظَتْ فِي ٱلْقَوْلِ لَمْ تَأْتِهِ عَداوَةً وَلا طَلَبَ مَضَرَّةٍ وَلٰكِنَّها فَعَلَت ذٰلِكَ لِلْغَيْرَةِ . وَقَدْ كانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُعْرِضَ عَنْ ذٰلِكَ وَأَحْتَمِلَهُ . وَلٰكِنَّكَ يا إِيلاذُ أَرَدْتَ أَنْ تَخْتَبِرَنِي وَتَتْرُكَنِي فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِها . وَقَدِ ٱتَّخَذْتَ عِنْدِي أَفْضَلَ ٱلْأَيادِي(1) وَأَنا لَكَ شاكِرٌ فَٱنْطَلِقْ فَأْتِنِي بِها * فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ فَأَتَى إِيراخْتَ وَأَمَرَها أَنْ تَتَزَيَّنَ فَفَعَلَتْ ذٰلِكَ وَٱنْطَلَقَ بِها . فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لِلْمَلِكِ ثُمَّ قامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقالَتْ أَحْمَدُ ٱللهَ تَعالَى ثُمَّ أَحْمَدُ ٱلْمَلِكَ ٱلَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ . قَدْ أَذْنَبْتُ ٱلذَّنْبَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي لَمْ أَكُنْ لِلْبَقاءِ أَهْلاً بَعْدَهُ فَوَسِعَهُ حِلْمُهُ وَكَرَمُ طَبْعِهِ وَرَأْفَتُهُ . ثُمَّ أَحْمَدُ إِيلاذَ ٱلَّذِي أَخَّرَ أَمْرِي وَأَنْجانِي مِنَ ٱلْهَلَكَةِ لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ ٱلْمَلِكِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ

---

1 جمع يد بمعنى النعمة

جَوْهَرِهِ وَوَفَاءِ عَهْدِهِ * وَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِإِيلاذَ مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي وَعِنْدَ إِيرَاخْتَ وَعِنْدَ ٱلْعَامَّةِ إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أَمَرْتُ بِقَتْلِهَا . فَأَنْتَ ٱلَّذِي وَهَبْتَهَا لِيَ ٱلْيَوْمَ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَاثِقًا بِنَصِيحَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ وَقَدِ ٱزْدَدْتَ ٱلْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيمًا . وَأَنْتَ مُحَكَّمٌ فِي مِلْكِي[1] تَعْمَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ فَقَدْ جَعَلْتُ ذٰلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيلاذُ أَدَامَ ٱللّٰهُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُلْكَ وَٱلسُّرُورَ فَلَسْتُ بِمَحْمُودٍ عَلَى ذٰلِكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ . لٰكِنَّ حَاجَتِي أَنْ لَا يَعْجَلَ ٱلْمَلِكُ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلْجَسِيمِ ٱلَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ ٱلْغَمَّ وَٱلْحُزْنَ وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلنَّاصِحَةِ ٱلْمُشْفِقَةِ ٱلَّتِي لَا يُوجَدُ فِي ٱلْأَرْضِ مِثْلُهَا . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ بِحَقٍّ قُلْتَ يَا إِيلاذُ وَقَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكَ وَلَسْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَلًا كَبِيرًا وَلَا صَغِيرًا فَضْلًا عَنْ مِثْلِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي سَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْمُؤَامَرَةِ[2] وَٱلنَّظَرِ وَٱلتَّرَدُّدِ وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلرَّأْيِ

ثُمَّ أَحْسَنَ ٱلْمَلِكُ جَائِزَةَ إِيلاذَ وَمَكَّنَهُ مِنْ أُولٰئِكَ

---

١ اي مملكتي ٢ المشاورة

ٱلْبَرَاهِمَةِ ٱلَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحْبَابِهِ فَأَطْلَقَ فِيهِمِ ٱلسَّيْفَ. وَقَرَّتْ عَيْنُ ٱلْمَلِكِ وَعُيُونُ عُظَمَاءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمِدُوا ٱللّٰهَ وَأَثْنَوْا عَلَى كَبَارِيُونَ لِسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ لِأَنَّ بِعِلْمِهِ خَلَصَ ٱلْمَلِكُ وَوَزِيرُهُ ٱلصَّالِحُ وَٱمْرَأَتُهُ ٱلصَّالِحَةُ

بَابُ

ٱلنَّاسِكِ وَٱلضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلَّذِي يَدَعُ صُنْعَهُ ٱلَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيُشَاكِلُهُ(١) وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُدْرِكُهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الذِي كَانَ عَلَيْهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّدًا

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ ٱلْكَرْخِ نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ. فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَعَا ٱلنَّاسِكُ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ لِيُطْرِفَهُ(٢) بِهِ فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعًا. ثُمَّ قَالَ

١ يكون من شكله اي يلائمهُ ويصلح لهُ ٢ يتحفهُ و يطعمهُ

ٱلضَّيْفُ ما أَحْلَى هٰذا ٱلتَّمرَ وَأَطْيَبَهُ فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلادِي ٱلَّتِي أَسْكُنُها وَلَيْتَهُ كانَ فِيها • ثُمَّ قالَ أَرَى أَنْ تُساعِدَنِي عَلَى أَنْ آخُذَ مِنْهُ ما أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنا فَإِنِّي لَسْتُ عارِفًا بِثِمارِ أَرْضِكُمْ هٰذِهْ وَلا بِمَواضِعِها • قالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ لَيْسَ لَكَ فِي ذٰلِكَ راحَةٌ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ لا يُوافِقُ أَرْضَكُمْ • مَعَ أَنَّ بِلادَكُمْ كَثِيرَةُ ٱلْأَثْمارِ فَما حاجَةٌ مَعَ كَثْرَةِ ثِمارِها إِلَى ٱلتَّمرِ مَعَ وَخامَتِهِ[1] وَقِلَّةِ مُناسَبَتِهِ لِلْجَسَدِ • ثُمَّ قالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ إِنَّهُ لا يُعَدُّ سَعِيدًا مَنْ طَلَبَ ما لا يَجِدُ • وَإِنَّكَ سَعِيدُ ٱلْجَدِّ[2] إِذا قَنِعْتَ بِٱلَّذِي تَجِدُ وَتَزْهَدُ فِيما لا تَجِدُ * وَكانَ هٰذا ٱلنَّاسِكُ يُحْسِنُ ٱلْعِبْرانِيَّةَ فَسَمِعَهُ ٱلضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِها مَرَّةً فَٱسْتَحْسَنَ كَلامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعالَجَ فِي ذٰلِكَ نَفْسَهُ أَيّامًا • فَقالَ ٱلنَّاسِكُ لَهُ ما أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلامِ ٱلْعِبْرانِيَّةِ فِي مِثْلِ ما وَقَعَ فِيهِ ٱلْغُرابُ • قالَ ٱلضَّيْفُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلنَّاسِكُ زَعَمُوا أَنَّ غُرابًا رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُها وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَها فَراضَ[3] عَلَى ذٰلِكَ نَفْسَهُ

١ عدم موافقته ٢ الحظ ٣ اي مرّن

فلمْ يقدِرْ عَلَى إحكامِها وَأَيِسَ[١] مِنْها وَأَرادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى مِشيتهِ ٱلَّتِي كانَ عَلَيْها فَإِذا هُوَ قَدِ ٱخْتَلَطَ مَشْيُهُ وَتَخَلَّعَ فِيهِ وَصارَ أَقْبَحَ ٱلطَّيْرِ مَشْياً

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِما رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسانَكَ ٱلَّذِي طُبِعْتَ عَلَيْهِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى لِسانِ ٱلْعِبْرانِيَّةِ وَهُوَ لا يُشاكِلُكَ[٢]. وَأَخافُ أَنْ لا تُدْرِكَهُ وَتَنْسَى لِسانَكَ وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِساناً. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ يُعَدُّ جاهِلاً مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ما لا يُشاكِلُهُ وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُؤَدِّبْهُ عَلَيْهِ آباؤُهُ وَأَجْدادُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَعْرِفْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَذَوِي قَرابَتِهِ فَإِنَّ ٱلْعاقِلَ لا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ[٣]

وَٱلْوُلاةُ أَيُّها ٱلْمَلِكُ وَأَرْبابُ[٤] ٱلْأَمْرِ أَوْلَى بِٱلِٱنْتِباهِ إِلَى هٰذا ٱلشَّأْنِ وَمَنْعِ حُدُوثِهِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ لِأَنَّ فِيهِ مَضَرَّةً لَهُمْ بِما يُجَرِّئُ ٱلْأَنْفُسَ عَلَى مُنازَعَتِهِمْ فِي مَنازِلِهِمْ وَيُغْرِيها[٥] بِمُقاوَمَتِهِمْ فِي أَحْكامِهِمْ لِما فِيهِ مِنْ إِطْماعِ ٱلسَّفَلَةِ[٦] فِي مَراتِبِ أَهْلِ ٱلطَّبَقَةِ ٱلْعالِيَةِ وَمُزاحَمَةِ ٱللَّئِيمِ لِلْكَرِيمِ وَٱلْجاهِلِ

---

١ قطع الامل ٢ يشابهك ويناسبك ٣ قدره ٤ اصحاب
٥ يهيجها ويرعها ٦ الادنياء

لِلْعَالِمِ وَٱلْخَامِلِ (١) لِلنَّسِيبِ وَٱلدَّنِيءِ لِلشَّرِيفِ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يُفْضِي إِلَى تَشَوُّشِ ٱلْعَالَمِ وَفَسَادِ ٱلْأُمُورِ وَٱخْتِلَاطِ ٱلطَّبَقَاتِ وَضَيَاعِ ٱلْمَرَاتِبِ وَٱلْأَقْدَارِ . وَٱلْأُمُورُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ تَجْرِي عَلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ يَنْتَهِي إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْخَطِيرِ ٱلْجَسِيمِ (٢) مِنْ مُزَاحَمَةِ ٱلْمَلِكِ عَلَى مُلْكِهِ وَمُضَادَّتِهِ فِيهِ ،

بَابُ

ٱلسَّائِحِ وَٱلصَّائِغِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ . فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلَّذِي يَضَعُ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ عَلَيْهِ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَيْسَ أَضْيَعُ مِنْ جَمِيلٍ يَصْنَعُ مَعَ غَيْرِ شَاكِرٍ وَلَا أَخْسَرُ مِنْ صَانِعِهِ . كَمَا أَنَّهُ لَا بَذْرًا أَنْمَى مِنْ بَذْرِ ٱلْجَمِيلِ فِي قُلُوبِ ٱلشَّاكِرِينَ وَلَا تِجَارَةَ أَرْبَحُ مِنْ تِجَارَتِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ جَدِيرٌ ان يَصْنَعَ ٱلْمَعْرُوفَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّهُ إِنْ ضَاعَ ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ لَا يَضِيعُ عِنْدَ ٱللّٰهِ .

---

١ العيرا المشهور ٢ كلاهما بمعنى العظم

ولا سيما إلى ذوي الشكر والوفاء كيف كانت منزلتهم فلعله احتاج إليهم يوماً من الدهر فيكافئوه عليه * غير أن الملوك وغيرهم من ذوي العقول إذا تعمدوا بمعروفهم أحدًا يختصونه به ينبغي لهم أن يضعوه موضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله[1] ولا يقوم بشكره . فينبغي للملوك أن لا يصطفوا[2] أحدًا إلا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره . فإن من أقدم[3] على المشهور بالاستقامة والعفة واسترسل إليه من غير اختبار ولا تجربة كان مخاطرًا في ذلك مشرفًا منه على هلاك وفساد . ألا ترى أن الطبيب الرفيق العاقل لا يكتفي في مداواة المريض بالمعاينة فقط . لكنه لا يقدم على علاجه إلا بعد تعرف أحواله والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فإذا عرف ذلك كله أقدم على معالجته . ولا ينبغي أن يختصوا بذلك قريباً لقرابته ولا أحدًا من خاصتهم لشرفه إذا كان غير محتمل للصنيعة[4] فإنه إنما شرف بتشريفهم إياه . ولا أن يمنعوا معروفهم وجميلهم عن بعيد لبعده أو خامل لخموله إذا كان

---

١ يحتاله وشكره ٢ يختاروا ٣ جرو وجسر ٤ المعروف

عارِفًا بِحَقِّ مـا يُصطَنَعُ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ ما أُنْعِمَ عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ لا يَنْبَغِي لِذِي ٱلْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَحَدًا مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى ٱلْبَهائِمِ وَلٰكِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَبْلُوَهُمْ[1] وَيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكُونَ مـا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ ما يَرَى مِنْهُمْ فَقَدْ يَكُونُ ٱلْخَيْرُ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ ٱلشَّرُّ وَٱلشَّرُّ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ ٱلْخَيْرُ

وَإِنَّ طَبائِعَ ٱلْخَلْقِ أَيُّها ٱلْمَلِكُ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ ٱللّٰهُ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَناحَيْنِ أَوْ يَسْبَحُ فِي ٱلْماءِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلإِنْسانِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَرُبَّما تَحَذَّرَ ٱلْعاقِلُ مِنَ ٱلنَّاسِ فَلَمْ يَأْمَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَأَخَذَ ٱبْنَ عِرْسٍ فَأَدْخَلَهُ فِي كُمِّهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ ٱلآخَرِ وَأَخَذَ ٱلطَّيْرَ ٱلْجارِحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَإِذا صادَ شَيْئًا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا . وَمِنَ ٱلنَّاسِ ٱلْبَرُّ[2] وَٱلْفاجِرُ[3] وَمِنْ هٰؤُلاءِ كُلُّ كَفُورٍ كَنُودٍ[4] حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ ٱلْبَهائِمِ وَٱلسِّباعِ وَٱلطَّيْرِ ما هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحاماةً عَنْ حُرْمَةٍ[5] وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَقَدْ مَضَى فِي ذٰلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ ٱلْحُكَماءِ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

---

١ يعني يختبرهم ٢ المحسن الطيب ٣ العاصي الشرير ٤ يعني كفور ٥ عهد

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً(١) فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ. وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى الرَّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ وَالْحَيَّةِ وَالْقِرْدِ وَالْبَبْرِ. فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ. فَقَدْ قِيلَ لَمْ يُؤْجَرْ مَأْجُورٌ بِأَعْظَمَ مِنْ أَجْرِ مَنِ اسْتَحْيَا نَفْسًا هَالِكَةً وَلَا عُوقِبَ مُعَاقَبٌ بِأَشَدَّ مِنْ عِقَابِ مَنْ كَفَّ عَنْ ذٰلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ مِمَّا خَلَا ذَهَابَ نَفْسِهِ * فَأَخَذَ حَبْلًا وَأَدْلَاهُ إِلَى الْبِئْرِ فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً فَالْتَفَّتْ بِهِ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ، ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ لَا تُخْرِجْ هٰذَا الرَّجُلَ مِنَ الرَّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ شُكْرِ الْإِنْسَانِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقِرْدُ إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نُوَادَرَخْتُ. فَقَالَ لَهُ الْبَبْرُ أَنَا أَيْضًا فِي أَجَمَةٍ(٢) إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ. قَالَتِ الْحَيَّةُ وَأَنَا فِي سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ وَاحْتَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى

١ بئرًا ٢ غابة

نأتيك فنجزيك بما أسديت[1] إلينا من المعروف. فلم يلتفت السائح إلى ما ذكروا له من قلة شكر الإنسان وأدلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له وقال لقد أوليتني[2] معروفاً فإن مررت يوماً من الدهر بمدينة نوادرخت فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ واسمي فلان لعلي أكافئك بما صنعت إلي من المعروف. فانطلق الصائغ إلى مدينته وانطلق السائح إلى وجهته[3] * فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه واعتذر إليه وقال إن القرود لا يملكون شيئاً ولكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته

ثم إن السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخر له ساجداً وقال له إنك قد أوليتني معروفاً فاطمئن ساعة حتى آتيك. فانطلق الببر فدخل في بعض الحيطان إلى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها[4] فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو * فقال في نفسه هذه

---

١ احسنت ٢ اي قلدتني وأمللتني ٣ الجهة التي يقصدها ٤ ما تزدان به من المصوغات

ٱلْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هٰذَا ٱلْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ أَتَيْتُ إِلَى ٱلصَّائِغِ
فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هٰذَا ٱلْحَلْيَ فَيَسْتَوْفِي
ثَمَنَهُ فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَٱنْطَلَقَ
ٱلسَّائِحُ فَأَتَى إِلَى ٱلصَّائِغِ فَلَمَّا رَآهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ إِلَى
بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِٱلْحَلْيِ [1] مَعَهُ عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ ٱلَّذِي صَاغَهُ لِٱبْنَةِ
ٱلْمَلِكِ . فَقَالَ ٱلصَّائِغُ ٱطْمَئِنَّ [2] حَتَّى آتِيَكَ بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى
لَكَ مَا فِي ٱلْبَيْتِ ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي .
أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَأَدُلَّهُ عَلَى ذٰلِكَ فَتَحْسُنُ مَنْزِلَتِي
عِنْدَهُ . فَٱنْطَلَقَ إِلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنِ ٱلَّذِي قَتَلَ
ٱبْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلْيَهَا عِنْدِي فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ وَأَتَى بِٱلسَّائِحِ .
فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْحَلْيَ مَعَهُ لَمْ يُمْهِلْهُ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ
بِهِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَيُصْلَبَ * فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ جَعَلَ ٱلسَّائِحُ
يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ لَوْ أَنِّي أَطَعْتُ ٱلْقِرْدَ وَٱلْحَيَّةَ وَٱلْبَبْرَ
فِيمَا أَمَرَتْنِي بِهِ وَأَخْبَرَتْنِي مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ
أَمْرِي إِلَى هٰذَا ٱلْبَلَاءِ وَجَعَلَ يُكَرِّرُ هٰذَا ٱلْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ
مَقَالَتَهُ تِلْكَ ٱلْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ فَٱشْتَدَّ عَلَيْهَا

[1] الحلية [2] اي استرح

أَمْرُهُ فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ. فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ ابْنَ الْمَلِكِ فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَرَقَوْهُ(١) لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا

ثُمَّ مَضَتِ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتٍ(٢) لَهَا مِنَ الْجِنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَّتْ لَهُ وَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ وَتَرَاءَتْ(٣) لَهُ وَقَالَتْ إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيَكَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا. وَانْطَلَقَتِ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ السِّجْنَ وَقَالَتْ لَهُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَى هٰذَا الْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِعْنِي وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ مِنْ سُمِّهَا وَقَالَتْ لَهُ إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْقِهِ مِنْ مَاءِ هٰذَا الْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَاصْدُقْهُ فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى*

وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ السَّائِحُ الَّذِي حُبِسَ ظُلْمًا. فَدَعَا الْمَلِكُ بِالسَّائِحِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ فَقَالَ لَا أُحْسِنُ الرُّقَى وَلٰكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى فَسَقَاهُ

١ عالجوهُ بعلاج الملسوع ٢ صديقة ٣ تظاهرت

فَبَرِئَ ٱلْغُلامُ. فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ فَشَكَرَهُ ٱلْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً وَأَمَرَ بِٱلصَّائِغِ أَنْ يُصْلَبَ فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَٱنْحِرافِهِ عَنِ ٱلشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ ٱلْفِعْلَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْقَبِيحِ

ثُمَّ قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ فَفِي صَنِيعِ ٱلصَّائِغِ بِٱلسَّائِحِ وَكُفْرِهِ[1] لَهُ بَعْدَ ٱسْتِنْقَاذِهِ إِيَّاهُ وَشُكْرِ ٱلْبَهَائِمِ لَهُ وَتَخْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ عِبْرَةٌ لِمَنِ ٱعْتَبَرَ وَفِكْرَةٌ لِمَنِ ٱفْتَكَرَ وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلْاحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْوَفَاءِ وَٱلْكَرَمِ قَرُبُوا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ صَوَابِ ٱلرَّأْيِ وَجَلْبِ ٱلْخَيْرِ وَصَرْفِ[2] ٱلْمَكْرُوهِ

بَابُ

ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ. فَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَا يُصِيبُ ٱلْخَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَتَثَبُّتِهِ

---

١ انكاره ٢ اي ابعاد

فِي ٱلْأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ فَمَا بَالُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجَاهِلِ يُصِيبُ ٱلرِّفْعَةَ وَٱلْخَيْرَ وَٱلرَّجُلِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ ٱلْبَلَاءَ وَٱلضُّرَّ * قَالَ بَيْدَبَا كَمَا أَنَّ ٱلْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِقَلْبِهِ وَلَا يَمْشِي إِلَّا بِحِسِّهِ مَعَ ٱلْمُهْلَةِ وَٱلتَّأَنِّي. كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَ فِي ٱلْأُمُورِ بِعَيْنِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْبَصِيرَةِ وَٱلْعِلْمِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ وَٱلْأَنَاةِ فَقَلَّ أَنْ يَعْثُرَ عَلَى هٰذَا. غَيْرَ أَنَّ ٱلْقَضَاءَ وَٱلْقَدَرَ قَدْ يَغْلِبَانِ عَلَى ذٰلِكَ كَمَا قَدْ يَعْثُرُ ٱلْبَصِيرُ وَيَسْلَمُ ٱلضَّرِيرُ. وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ[1] ٱصْطَحَبُوا فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ أَحَدُهُمْ ٱبْنُ مَلِكٍ وَٱلثَّانِي ٱبْنُ تَاجِرٍ وَٱلثَّالِثُ ٱبْنُ شَرِيفٍ ذُو جَمَالٍ وَٱلرَّابِعُ ٱبْنُ أَكَّارٍ[2]. وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعِ غُرْبَةٍ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلثِّيَابِ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا ٱلَى طِبَاعِهِ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ ٱلْخَيْرُ. فَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ إِنَّ أَمْرَ ٱلدُّنْيَا كُلَّهُ بِٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ. وَٱلَّذِي قُدِّرَ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى

---

١ النفر ما بين الثلاثة الى العشرة ٢ حرّاث

كُلِّ حالٍ وَالصبرُ لِلقضاءِ وَالقدرِ وَانتظارُهما أفضلُ الأمورِ * وَقالَ ابنُ التاجرِ العقلُ أفضلُ مِن كُلِّ شيءٍ * وقالَ ابنُ الشريفِ الجمالُ أفضلُ مِمَّا ذُكِرَ * ثُمَّ قالَ الأكَّارُ ليسَ في الدنيا أفضلُ مِنَ الاجتهادِ في العملِ * فلمَّا قَرُبوا مِن مدينةٍ يُقالُ لها مِطْرُونُ جلسوا في ناحيةٍ مِنها يتشاوَرونَ . فقالوا لابنِ الأكَّارِ انطلِقْ فاكتسِبْ لنا بِاجتهادِكَ طعامًا لِيومِنا هذا . فانطلقَ ابنُ الأكَّارِ وسألَ عن عملٍ إذا عمِلَهُ الإنسانُ يكتسبُ فيهِ طعامَ أربعةِ نفرٍ . فعرفوهُ أنْ ليسَ في تلكَ المدينةِ شيءٌ أعزّ[1] مِنَ الحطبِ وكانَ الحطبُ مِنها على فرسخٍ[2] . فانطلقَ ابنُ الأكَّارِ فاحتطبَ[3] طُنًّا[4] مِنَ الحطبِ وأتى بِهِ المدينةَ فباعَهُ بدرهمٍ واشترى بِهِ طعامًا . وكتبَ على بابِ المدينةِ عملُ يومٍ واحدٍ إذا جَهَدَ بِهِ الرجلُ بدنَهُ قيمتُهُ درهمٌ . ثُمَّ انطلقَ إلى أصحابِهِ بالطعامِ فأكلوا .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ قالوا ينبغي لِلذي قالَ أنَّهُ ليسَ شيءٌ أعزّ[5] مِنَ الجمالِ أنْ تكونَ نوبتُهُ * فانطلقَ ابنُ الشريفِ ليأتيَ[6]

---

١ أي اقل ٢ ثلاثة اميال ٣ زجمع حطبًا ٤ حزمة ٥ أي اشرف وافضل
٦ أي وقتة

ٱلْمَدِينَةَ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ أَنَا لَسْتُ أُحْسِنُ عَمَلًا فَمَا يُدْخِلُنِي ٱلْمَدِينَةَ. ثُمَّ ٱسْتَحَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ. وَهَمَّ بِمُفَارَقَتِهِمْ فَٱنْطَلَقَ حَتَّى أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ فَغَلَبَهُ ٱلنَّوْمُ فَنَامَ. فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ وَبَصُرَ بِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ أَنْ يُصَوِّرَهُ وَيَكْتَسِبَ مِنْ صُورَتِهِ إِذَا عَمِلَ مِنْهَا صُوَرًا وَبَاعَهَا فَأَيْقَظَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُصَوِّرَهُ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ أَجَازَهُ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ. فَخَرَجَ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي مِئَةَ دِرْهَمٍ وَأَتَى بِٱلدَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ * فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلتَّاجِرِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ فَٱطْلُبْ لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هٰذَا شَيْئًا. فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ ٱلْبَحْرِ كَثِيرَةِ ٱلْمَتَاعِ قَدْ قَدِمَتْ إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلتُّجَّارِ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ. فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ٱرْجِعُوا يَوْمَنَا هٰذَا لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ ٱلْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرَخِّصُوهُ عَلَيْنَا مَعَ أَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَسَيُرَخَّصُ.

فخالف ابنُ التاجرِ الطريقَ وجاءَ إلى أصحابِ المركبِ فابتاعَ منهم ما فيهِ بمئةِ ألفِ درهمٍ نسيئةً[1] وأظهرَ أنّهُ يريدُ أن ينقلَ متاعهُ إلى مدينةٍ أخرى. فلمّا سمعَ التجّارُ ذلكَ خافوا أن يذهبَ ذلكَ المتاعُ من أيديهم فأربحوهُ على ما اشتراهُ ألفَ درهمٍ وأحالَ عليهم أصحابَ المركبِ بالباقي وحملَ ربحهُ إلى أصحابهِ وكتبَ على بابِ المدينةِ عقلُ يومٍ واحدٍ ثمنهُ ألفُ درهمٍ * فلمّا كانَ اليومُ الرابعُ قالوا لابنِ الملكِ انطلقْ أنتَ واكتسبْ لنا بقضائكَ وقدرِكَ فانطلقَ ابنُ الملكِ حتّى أتى إلى بابِ المدينةِ فجلسَ على دكّةٍ[2] في بابِ المدينةِ٬

واتّفقَ بالقدرِ أن ماتَ ملكُ تلكَ الناحيةِ ولم يخلّفْ ولدًا ولا أحدًا ذا قرابةٍ. فمرّوا عليهِ بجنازةِ الملكِ ولم يحزنْهُ وكلّهم يحزنونَ ولم يلتفتْ إليهم ولم يكترثْ لما هم فيهِ. فأنكروا حالهُ وشتمهُ البوّابُ وقالَ لهُ مَن أنتَ يا لئيمُ وما يجلسكَ على بابِ المدينةِ ولا نراكَ تحزنُ لموتِ الملكِ ولا تهتمُّ وطردهُ البوّابُ عنِ البابِ. فلمّا ذهبوا

---

١ إلى أجل ٢ مسطبة

عادَ ٱلْغُلامُ فجلَسَ مكانَهُ. فلمَّا دفنوا ٱلْملكَ وَرجعوا بصُرَ بهِ ٱلْبوَّابُ فغضبَ وقالَ لهُ أَلَمْ أَنهكَ عنِ ٱلْجلوسِ في هٰذا ٱلْموضعِ وَأَخذَهُ فحبسهُ. فلمَّا كانَ منَ ٱلْغدِ وَقدِ ٱجتمعَ أَهلُ تلكَ ٱلْمدينةِ يتشاوَرُونَ في منْ يملِّكونهُ عليهِمْ وَيختلفونَ بينهمْ إِذْ دخلَ ٱلْبوَّابُ فقالَ لهمْ إِنّي رأَيتُ أَمسِ غلامًا جالسًا على ٱلْبابِ ولَمْ أَرَهُ يحزنُ لحزننا كأَنَّ ٱلْأَمرَ ليسَ عندَهُ بعظيمٍ وتلوحُ عليهِ لوائحُ ٱلْعزَّةِ وَٱلشَّرفِ. فكلَّمتُهُ فلَمْ يجبْني فطرَدتهُ عنِ ٱلْبابِ فلمَّا عدْتُ رأَيتُهُ جالسًا فأَدخلتُهُ ٱلسجنَ مخافةَ أَنْ يكونَ عينًا(١) * فبعثَ أَشرافُ ٱلْمدينةِ إِلى ٱلْغلامِ فجآءُوا بهِ وَسأَلوهُ عنْ حالهِ وما أَقدمهُ إِلى مدينتهمْ. فقالَ أَنا ٱبنُ ملكِ فويرانَ. وَإِنَّهُ لمَّا ماتَ والدي غلبني أَخي على ٱلْملكِ وقدْ كانَ أَبي عهدَ إِليَّ(٢) بهِ فغصبني إِيَّاهُ فهربْتُ منْ يدهِ حذرًا على نفسي حتَّى ٱنتهيتُ إِلى هٰذهِ ٱلْغايةِ. فلمَّا ذكرَ ٱلْغلامُ ما ذكرَ منْ أَمرهِ عرفهُ بعضُ منْ كانَ يغشى(٣) بلادَ أَبيهِ منهمْ وَأَثنوا على أَبيهِ خيرًا * ثمَّ إِنَّ ٱلْأَشرافَ ٱختاروا ٱلْغلامَ أَنْ يملِّكوهُ عليهمْ وَرضوا

---

١ جاسوسًا ٢ اوصى لي ٣ اي يزور

بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ سُنَّةٌ إِذَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا حَمَلُوهُ عَلَى فِيلٍ أَبْيَضَ وَطَافُوا بِهِ حَوَالَيِ ٱلْمَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ مَرَّ بِبَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَرَأَى ٱلْكِتَابَةَ عَلَى ٱلْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِنَّ ٱلِاجْتِهَادَ وَٱلْجَمَالَ وَٱلْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ ٱلْإِنْسَانَ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مِنَ ٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ٱعْتَبِرْ ذٰلِكَ بِمَا سَاقَ ٱللّٰهُ إِلَيَّ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْخَيْرِ * ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ ٱلَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَحْضَرَهُمْ فَأَشْرَكَ صَاحِبَ ٱلْعَقْلِ مَعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَضَمَّ صَاحِبَ ٱلِاجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ ٱلزَّرْعِ وَوَلَّى صَاحِبَ ٱلْجَمَالِ إِحْدَى مَصَالِحِهِ

ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذَوِي ٱلرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ أَمَّا أَصْحَابِي فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ ٱلَّذِي رَزَقَهُمُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ ٱلْخَيْرِ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ ٱللّٰهِ وَقَدَرِهِ . وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذٰلِكَ وَتَسْتَيْقِنُوهُ فَإِنَّ ٱلَّذِي مَنَحَنِي ٱللّٰهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدَرٍ وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا ٱجْتِهَادٍ . وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعَيِّشُنِي مِنَ ٱلْقُوتِ فَضْلًا

عَنْ أَنْ أُصِيبَ هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ. وَمَا كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أَكُونَ بِهَا لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا وَجَمَالًا وَأَشَدُّ ٱجْتِهَادًا وَأَحْزَمُ رَأْيًا فَسَاقَنِي ٱلْقَضَاءُ إِلَى أَنِ ٱعْتَزَزْتُ بِقَدَرٍ مِنَ ٱللّٰهِ * وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَمْعِ شَيْخٌ فَنَهَضَ حَتَّى ٱسْتَوَى قَائِمًا وَقَالَ إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامِ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ. وَلٰكِنِ ٱلَّذِي بَلَغَ بِكَ ذٰلِكَ وُفُورُ عَقْلِكَ وَحُسْنُ ظَنِّكَ. وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا لَكَ وَقَدْ عَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَ وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ. وَٱلَّذِي سَاقَ ٱللّٰهُ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ لِمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلرَّأْيِ. وَإِنَّ أَسْعَدَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مَنْ رَزَقَهُ ٱللّٰهُ رَأْيًا وَعَقْلًا. وَإِنَّمَا أَحْسَنَ ٱللّٰهُ إِلَيْنَا بِقَضَائِهِ إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ * ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ فَحَمِدَ ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ شَأْنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَمَا ذَكَرْتَ. وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ أَحَدَ ٱلسُّيَّاحِ حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ

إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَائِحًا رَجُلًا

مِنْ أَشرافِ ٱلنَّاسِ. فَلَمَّا بَدا لِي رَفْضُ ٱلدُّنيا فارَقْتُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ وَقَدْ كانَ أَعطانِي مِنْ أُجرَتي دِينارَيْنِ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِما وأَستَبْقِيَ ٱلْآخَرَ فَأَتَيْتُ ٱلسُّوقَ فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ ٱلصَّيَّادِينَ زَوْجَيْ هُدْهُدٍ ساوَمْتُهُ فِيهِما لِأُطْلِقَهُما فَأَبَى ٱلصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُما إِلَّا بِدِينارَيْنِ فَٱجتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِما بِدِينارٍ واحِدٍ فَأَبَى. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَشْتَرِي أَحَدَهُما وَأَتْرُكُ ٱلْآخَرَ. ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُما يَكُونانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَأُفَرِّقُ بَيْنَهُما. فَأَدْرَكَتْنِي لَهُما رَحْمَةٌ فَتَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللهِ وَٱبْتَعْتُهُما بِدِينارَيْنِ. وَأَشْفَقْتُ[1] إِنْ أَرسَلْتُهُما فِي أَرْضٍ عامِرَةٍ أَنْ يُصادا وَلا يَستَطِيعا أَنْ يَطِيرا مِمَّا لَقِيا مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْهُزالِ[2] وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِما ٱلْآفاتِ[3]. فَٱنطَلَقْتُ بِهِما إِلَى مَكانٍ كَثِيرِ ٱلْمَرْعَى وَٱلْأَشْجارِ بَعِيدٍ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱلْعُمْرانِ فَأَرسَلْتُهُما فَطارا وَوَقَعا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ. فَلَمَّا صارا فِي أَعلاها شَكَرا لِي وَسَمِعْتُ أَحَدَهُما يَقُولُ لِلْآخَرِ لَقَدْ خَلَّصَنا هٰذا ٱلسَّائِحُ مِنَ ٱلْبَلاءِ ٱلَّذِي كُنَّا فِيهِ وَٱسْتَنْقَذَنا وَنَجَّانا مِنَ ٱلْهَلَكَةِ وَإِنَّا لَخَلِيقانِ[4] إِنْ نُكافِئَهُ بِفِعْلِهِ. وَإِنَّ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ

١ خفت ٢ رثة الجسم ٣ اي الحوادث الرديئة ٤ اهلان

جَرَّةً مملوءةً دنانيرَ أفلا ندلُّه عليها فيأخُذَها . فقلتُ لهما كيفَ تدُلّانِني على كنزٍ لم تَرَهُ العيونُ وأنتما لم تبصِرا الشبكةَ . فقالا إنَّ القضاءَ والقدرَ الذي يتسلَّطُ على القمرِ والشمسِ فيكسِفُهما وعلى الحوتِ في قعرِ البحرِ فيصطادُ إذا نزلَ صرفَ العيونَ عن موضعِ الشيءِ وغشّى على البصرِ . وإنّما صرفَ القضاءُ أعيُنَنا عن الشركِ ولم يصرفْها عن هذا الكنزِ لتنتفعَ أنتَ به . فاحتفرتُ واستخرجتُ البرنيَّةَ وهي مملوءةٌ دنانيرَ فدعوتُ لهما بالعافيةِ وقلتُ لهما الحمدُ للهِ الذي علَّمكما مما رأى وأنتما تطيرانِ في السماءِ وأخبرتماني بما تحتَ الأرضِ . فقالا لي أيُّها العاقلُ أما تعلمُ أنَّ القدرَ غالبٌ على كلِّ شيءٍ لا يستطيعُ أحدٌ أن يتجاوزَهُ

فليعرفْ أهلُ النظرِ في الأمورِ أنَّ جميعَ الأشياءِ بقدرِ اللهِ وقضائِهِ وأنَّ الإنسانَ لا يجلبُ إلى نفسِهِ محبوبًا ولا يدفعُ عنها مكروهًا إلّا بإذنِ اللهِ تعالى * فلتثقْ نفوسُ أهلِ الفكرِ بذلكَ وتطمئنَّ إليهِ فإنَّ في ذلكَ راحةً للمبتلى وداعيًا لمن تؤاتيهِ المقاديرُ إلى شكرِ ربِّ العالمينَ

باب

الحمامة والثعلب ومالك الحزين(١)

وهو آخر الكتاب

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل. فاضرب لي مثلاً في شأن الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه. قال الفيلسوف إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين. قال الملك وما مثلهن

قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء. فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة فلا يمكنها ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحقها(٢). وكانت إذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فإذا انقاض(٣) وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعهد(٤) ذلك منها لوقت قد علمه ريثما(٥) ينهض فراخها فوقف بأصل النخلة فصاح بها وتوعدها(٦) أن يرقى إليها أو تلقي إليه فراخها فتلقيها إليه. فبينما هي ذات

---

١ طائر من طيور الماء ٢ علوها ٣ خرج منه الفرخ ٤ تفقد وعرف
٥ مهلتما ٦ تهددها

يَوْمٍ وَقَدْ أَدْرَكَ لَها فَرْخانِ إِذْ أَقْبَلَ مالِكٌ ٱلْحَزِينُ فَوَقَعَ عَلَى ٱلنَّخْلَةِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْحَمامَةَ كَئِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ ٱلْهَمِّ قالَ لَها يا حَمامَةُ ما لِي أَراكِ كاسِفَةَ ٱلْبالِ[1] سَيِّئَةَ ٱلْحالِ. فَقالَتْ لَهُ يا مالِكُ ٱلْحَزِينُ إِنَّ ثَعْلَباً دُهِيتُ بِهِ كُلَّما كانَ لِي فَرْخانِ جاءَنِي يَتَهَدَّدُنِي وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَأَفْرَقُ مِنْهُ[2] فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرْخَيَّ. قالَ لَها مالِكٌ ٱلْحَزِينُ إِذا أَتاكِ لِيَفْعَلَ ما تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ لا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فَٱرْقَ[3] إِلَيَّ وَغَرِّرْ بِنَفْسِكَ[4] فَإِذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ وَأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي * فَلَمَّا عَلَّمَها مالِكٌ ٱلْحَزِينُ هٰذِهِ ٱلْحِيلَةَ طارَ فَوَقَعَ عَلَى شاطِئِ نَهْرٍ. وَأَقْبَلَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي عَرَفَ فَوَقَفَ تَحْتَ ٱلنَّخْلَةِ ثُمَّ صاحَ كَما كانَ يَفْعَلُ فَأَجابَتْهُ ٱلْحَمامَةُ بِما عَلَّمَها مالِكٌ ٱلْحَزِينُ. فَقالَ لَها أَخْبِرِينِي مَنْ عَلَّمَكِ هٰذا. قالَتْ عَلَّمَنِي مالِكٌ ٱلْحَزِينُ * فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مالِكاً ٱلْحَزِينَ عَلَى شاطِئِ ٱلنَّهْرِ فَوَجَدَهُ واقِفاً. فَقالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ يا مالِكُ ٱلْحَزِينُ إِذا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قالَ عَنْ شِمالِي. قالَ فَإِذا أَتَتْكَ عَنْ شِمالِكَ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قالَ أَجْعَلُهُ

---

١ كئيبة النفس ٢ اخاف ٣ اصعد ٤ عرضها للهلكة

عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي . قالَ فَإِذا أَتَتْكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَكُلِّ ناحِيةٍ أَيْنَ تَجْعَلُهُ . قالَ أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَناحِيَّ . قالَ وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَناحَيْكَ . ما أُراهُ[1] يَتَهَيَّأُ[2] لَكَ . قالَ بَلَى . قالَ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ فَلَعَمْرِي يا مَعْشَرَ الطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمُ اللهُ عَلَيْنا إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي ساعةٍ واحِدةٍ مِثْلَ ما نَدْرِي فِي سَنَةٍ . وَتَبْلُغْنَ ما لا نَبْلُغُ وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ . فَهَنِيئًا لَكُنَّ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَناحِهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ مَكانَهُ فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ[3] هَمْزَةً دَقَّ[4] عُنُقَهُ . ثُمَّ قالَ يا عَدُوَّ نَفْسِهِ تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمامةِ وَتُعَلِّمُها الْحِيلةَ لِنَفْسِها وَتَعْجِزُ عَنْ ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ . ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ * أَلْهَمَنا اللهُ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْتَمِرِينَ[5] لِما يَأْمُرُونَ وَالْمُنْتَصِحِينَ بِما يَنْصَحُونَ

فَلَمَّا انْتَهَى الْمَنْطِقُ بِالْفَيْلَسُوفِ إِلَى هٰذا الْمَوْضِعِ سَكَتَ الْمَلِكُ . فَقالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ أَيُّها الْمَلِكُ عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَلَكْتَ الْأَقالِيمَ السَّبْعةَ وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَظًّا وَبَلَغْتَ ما أَمَّلْتَهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرةِ فِي سُرُورٍ مِنْكَ

١ أظنه ٢ أي يتيسر ٣ ضغطه ٤ كسر ٥ الممتثلين

وَقُرَّةِ عَيْنٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِكَ وَمُساعَدةِ ٱلْقَضَآءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَ . فَإِنَّهُ قَدْ كَمَلَ فِيكَ ٱلْحِلْمُ وَٱلْعِلْمُ وَحَسُنَ مِنْكَ ٱلْعَقْلُ وَٱلنِّيَّةُ وَتَمَّ فِيكَ ٱلْبَأْسُ وَٱلْجُودُ وَٱتَّفَقَ مِنْكَ ٱلْقَوْلُ وَٱلْعَمَلُ . فَلا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ وَلا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلا عَيْبٌ . وَقَدْ جَمَعْتَ ٱلنَّجْدَةَ(١) وَاللِّينَ فَلا تُوجَدُ جَبانًا عِنْدَ اللِّقَآءِ وَلا ضَيِّقَ ٱلصَّدْرِ عِنْدَ ما يَنُوبُكَ(٢) مِنَ ٱلْأَشْيَآءِ

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هٰذا ٱلْكِتابِ شَمْلَ بَيانِ ٱلْأُمُورِ وَشَرَحْتُ لَكَ جَوابَ ما سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْها تَزَلُّفًا(٣) إِلَى رِضاكَ وَٱبْتِغآءً لِطاعَتِكَ فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذٰلِكَ غايَةَ نُصْحِي وَٱجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ فِطْنَتِي * وَٱللّٰهُ تَعالَى يَقْضِي حَقِّي بِحُسْنِ ٱلنِّيَّةِ مِنْكَ فِي إِعْمالِ فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ فِيما وَضَعْتُ لَكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ . مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ ٱلْمَنْصُوحُ بِأَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ مِنَ ٱلنَّاصِحِ وَلا ٱلْآمِرُ بِٱلْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ ٱلْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ * فَٱفْهَمْ ذٰلِكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ وَلا حَوْلَ(٤) وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللّٰهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ

إنتهى

١ البأس والشدة ٢ يصيبك ٣ تقربًا ٤ قدرة

٩٥٦٤

وكان الفراغ من تمثيلها على هذه الصورة في منتصف شهر آب سنة اربع وثمانين وثماني مئة والف والحمد لله اولاً واخراً

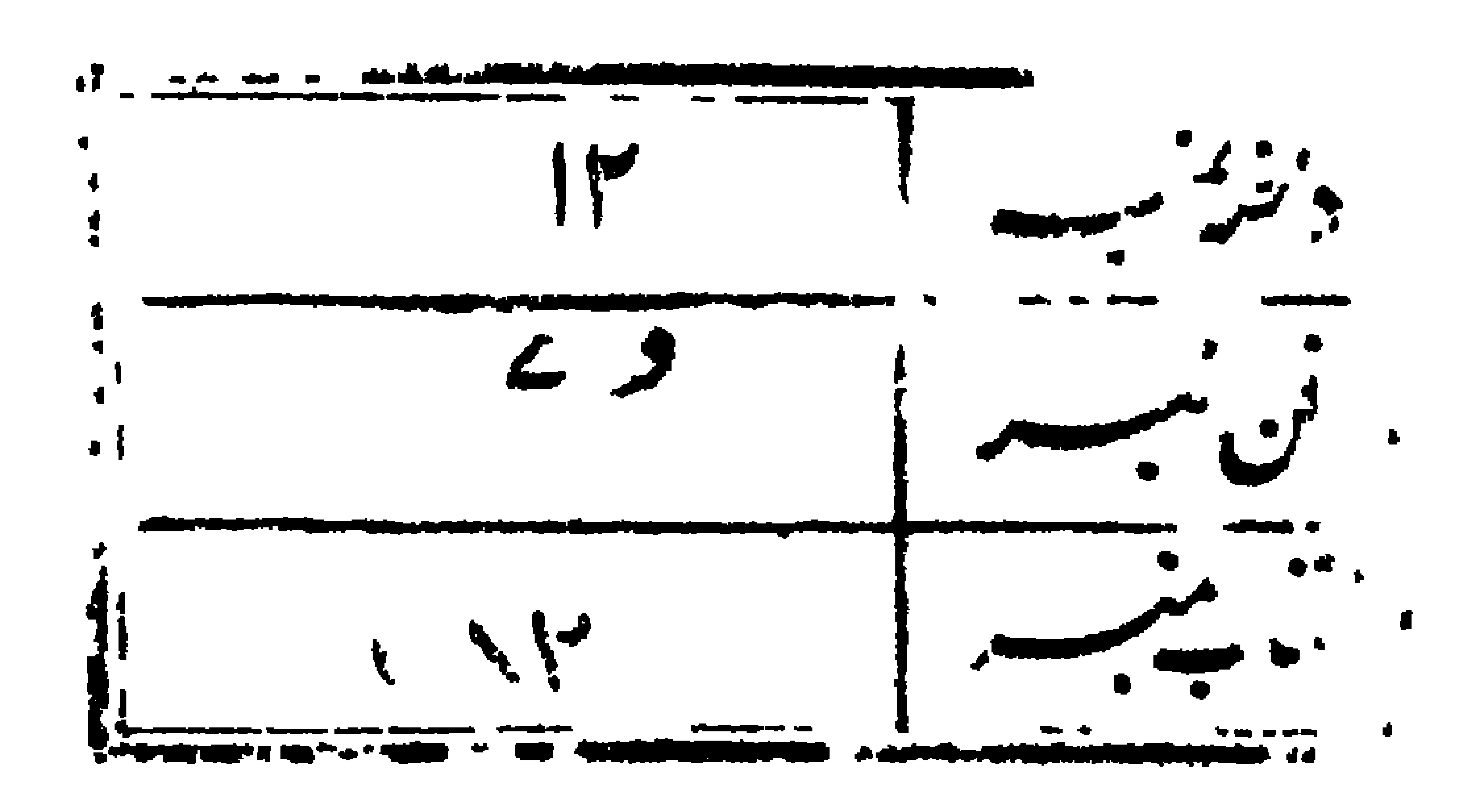
فهرس

تنبيه

قد أُضيف الى هذه الطبعة تحسينات جمّة من مثل الاستقصاء في تفسير الفاظهِ اللغوية حيث اعتُبِر فيهِ فهم أصغر تلميذ فبلغت الالفاظ المفسرة ما يقرب من الفي لفظة كلها من الالفاظ المهمة المتداولة بين الكُتّاب وهي مؤونة ليست بقليلة في ذهن التلميذ كما لا يخفى . وحيث بعُد العهد باللفظة المفسَّرة قليلاً كُرِّر تفسيرها تجديداً للتذكرة . وسوى ذلك تحسيناتٌ أُخر كلها مما يأْول الى ملاءمة الكتاب لكل مشرب وموافقتهِ لكل مأْرب ان شاء الله تعالى

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	٤	مَخرَجُ	مُخرَجَ
٣	٧	سفرَ	سفرُ
٢٢	١١	أَحَدَهُمْ	أَحَدُهُمْ
٤٩	١٥	فَسَرَّ	فَسُرَّ
٨٠	٣	اَلْوَلَدَ	اَلْوَلَدِ
١١٣	١٣	دِمنَةُ يُقالُ	دِمنَةُ بَلْ يُقالُ
١٧٦	١١	وَإِنَّهُ	وَأَنَّهُ
١٧٦	١٢	يُواصِلُ	يُواصِلُهُ
١٨٠	١٧	الكنس	الكذب
٢٢٢	١٩	والدلالة	والدالة
٢٢٧	١٧	الظرف	الظريف
٣٣٦	٥	تَحِبُّ	تُحِبُّ
٣٥٢	١١	اَلْمَدِينَةَ	اَلْمَدِينَةُ



دفتر نمبر	۱۲
فن نمبر	و ۷
کتب نمبر	۹۱۳